



الدكتور خليل أحمد خليفة

دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر

في نحو

اللغة

وتراكيبها

منهج وتطبيق



hamarabe.blogspot.com





فِي نَحْوِ الْمَعْدَةِ وَتَرَاكِبِهَا
(منهج وتطبيق)

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لعالم المعرفة - جدة



إدارة النشر والتوزيع
lisanarabs.blogspot.com



جدة - المملكة العربية السعودية - ص. ٧ - ٥٣٦ - بوليا زلفكر
تلكم ٤٠١٧٠٩ شوركو لبس بي نتوت: ٦٨٧٧٢٩٠ (-٢) - ٦٨٧٧١٢٢ (-١)

دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر

في نحو اللغة وتراكيبها

(منهج وتطبيق)

تأليف
الدكتور خليل أحمد عمارة



www.lisanarabi.blogspot.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لغة العرب
lisanarabs.blogspot.com

إهداء

إلى رمز المودة والرحمة وعنوانها المشالي ،
والى آيات الله البريئة ، ومهج القلب وريحانه ،
زينة الحياة الدنيا ،
إلى :

هناء ، ولبنى ومعاذ وليلى ولينة .

رجعاً لمعان بليغة تعلمتها منهم ،
وفاء لعمادة غامرة يحيطونني بها ،
وتقديرًا لصبرهم على ابتعادي عنهم .

أبو معاذ



lisanarabs.blogspot.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تكوّنت فكرة هذا الكتاب عندما كنت اناقش مع احد العلماء الألمان Vanimann ، (اثناء مشاركتنا في المؤتمر الدولي الثالث للبحث في تراكيب اللغة الذي عقد في مدينة پوزن في بولندا سنة ١٩٨٠ م) فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب اللغوية بعامه، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات من بينها اللغة العربية، فنصت هذه الفكرة وصقلت، ثم اتبعت فرصة مناقشتها بالتفصيل: جزءاً جزءاً، مع احد اشهر علماء اللغة المعاصرين، مؤسس علم النحو الوظيفي الجديد Functional Grammar، استاذ علم اللغة في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة، Prof. S. Kuno، فزود بنصح سديد، ورأي قويم في عدد من النقاط، فاقدم لها الشكر الصادق. ولجامعة اليرموك التي يسرت اللقاء بها.

واما الاستاذان الفاضلان اللذان ما بجلا بما عندهما من رأي حصيف سديد، وقدمتا من النصيح في مناقشتها ما يشير الى حرص على العلم وتشجيع للعلماء، الاستاذ الدكتور Prof. S. AL-ANI، استاذ علم الاصوات في جامعة انديانا - الامريكية، والاستاذ الدكتور يوسف الهليس، استاذ علم الاصوات في الجامعة الاردنية. فلها الشكر.

واما استاذي العالم الفاضل الدكتور تمام حسان الذي اثار لي الطريق طالباً في قاعة الدرس (في مرحلة الماجستير)، وحرص على متابعة هذه الانارة بعطاء لا يتضب، آخذه وانا استاذ جامعي، فاتفق معه واختلف، وهو يلاطفتني ويرشدني ارشاد الاب ابنه، فاذا اجد

لأقول غير الشكر الصادق من طالب لاشأفه. ولا أنسى الزملاء:
الدكتور محي الدين رمضان، والدكتور علي الحمد، والدكتور حنا
حداد، والدكتور حسني محمود، اساتذ الدراسات اللغوية والنحوية في
جامعة اليرموك، وأخي الدكتور محمد يعقوب التركستاني، استاذ فقه
اللغة في جامعة الملك عبد العزيز والدكتور عبد الهادي الفضلي،
والدكتور عبد المحسن قحطاني والدكتور طارق نجم في جامعة الملك عبد
العزيز. فلهم شكر لما قدموه من كلمات المطاء.

ولا اغفل طلبتي في جامعة اليرموك بعامة، وطلبة الدراسات العليا
منهم بخاصة، الذين وجدت عندهم رغبة صادقة في الطلب والتلقي
ونظرة حسيصة لما يأخذون اويدهم عون، اراهم طلبة اليوم علماء الغد -
ان شاء الله -، واما طلبتي في جامعة الملك عبد العزيز بمكة، فأنني
اقدم لهم شكراً مع دعاء ان ينفعهم الله بكل علم قويم، وان ينفع بهم.
ربما كان من غير المؤلف ان يقدم الكاتب الشكر قبل ان يعرف
بالكتاب، ولكنني كنت انتظر لحظة الانتهاء منه لأفرغ لذوي الحقوق
شيئاً من حقوقهم.

اما الكتاب فيعرض وجهة نظر في دراسة الاساليب اللغوية في اللغة
العربية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته، مع الاهتمام الكبير
«بالمعنى» الذي تتضمنه التراكيب اللغوية لإبرازها على أسس مستقاة من
اللغة العربية، واتخاذ نواة لاعادة ترتيب ابواب النحو العربي، لدراسة
لغوية دلالية، فقد عرضنا فيه نظرة جديدة للنظرية التوليدية
التحويلية، استعملنا فيها المصطلحات بمكان محددة جديدة، ومهدنا لهذه
الفكرة بفصلين كانت حاجة طلبتنا (في جامعة اليرموك، وفي جامعة
الملك عبد العزيز) اليها ماسة، عرضنا في الأول جانباً من دراسة
التراكيب عند علماء العرب القدماء، ثم عن تطور الدراسات اللغوية

بعامة واللغة العربية بخاصة، وما اعترضها من عقبات في كل ميدان.
وفي الفصل الثاني عرضنا نبذة موجزة وافية عن حياة أهم اعلام
النهضة اللغوية المعاصرة، وعن نظرياتهم وفلسفة هذه النظريات، ودور
كل منها في الدرس اللغوي المعاصر، الذي اخذ يشغل الباحثين في
الشرق والغرب، وبيننا مداً تأثر كل عالم بغيره في بناء نظريته، ثم
ناقشنا كل نقطة - ما وسع المقام - من الأسس الرئيسة التي اعتمد
عليها كل منهم. وللحق، لقد كان هذا الفصل من أكثر الفصول مشقة في
الحصول على المراجع والمصادر التي كتبها هؤلاء الاعلام، او كتبت عنهم
وعن نظرياتهم، وما أكثرها!! وما أوسعها!!.

والله أسأل ان ينفع به، وان يعفو عما فيه من زلل.

جدة في ٢١/٣/١٤٠٤ هـ

١٩٨٣/١٢/٢٥ م.

الدكتور خليل أحمد خليفة

الفصل الأول

دراسات

في علم اللغة العام

اهتم الباحثون والدارسون منذ زمن ليس بالقريب، باللغة، لمعرفة
اصلها ونشأتها وطبيعتها، وكيف تتكون تراكيبها، وبالمعاني التي تؤديها
التراكيب، وبالوظيفة التي تقدمها اللغة في المجتمع وللمرد، ولو تتبعنا
تاريخ المجتمعات البشرية المعروف، لوجدنا ان اللغة من ابرز الظواهر
التي نالت الاهتمام في البحث والتفكير، اهتمت الفلاسفة والمفكرين في
حلقات الدرس، واهتم الباحثين الشادين، وتفكير الناس كل الناس،
تفكير الرجل غير المثقف في بيته او مع اعضاءه في المرحى، او وراء
محراثه تجره دابته في المزرعة او الحقل، كل يفكر في اجابة لأسئلة تعبر
الذهن احياناً، وتستقر فيه احياناً أخرى، اما ونحن البشر ننحدر كلها
من آدم وحواء، فلماذا هذا التعدد في لغات ابناء آدم وحواء؟ وما لغة
آدم وحواء اصلاً؟ وكيف كانت لها؟ أبوحى وتوقيف، أم تطبيقاً
«للحاجة ام الاختراع»؟. اهتم العلماء بهذا الميدان، تحركهم دوافع
متباينة كثيرة، منها الاجتماعية، ومنها السياسية، ومنها الاقتصادية،
ومنها القومية، ومنها الدينية، فخلط هذا تراثاً هائلاً تراكم مع مر
العصور، فيه الفث ومنه السمين، فيه المناقشات العلمية الجادة الواعية
للقضايا الرئيسة في اللغة واصولها، ذلك فيما كتبه الفلاسفة اليونان
والرومان القدماء، من افلاطون في النصف الاول من القرن الرابع قبل
الميلاد، وارسطو (ت: ٣٢٢ ق.م) وشيشرون (ت: ٤٣ ق.م) ويوليوس
قيصر (ت: ٤٤ ق.م) وقارون (ت: ٢٧ ق.م) الى غيرهم في المصور
المتلاحقة، وكانت هناك مناقشات اقل عمقاً وابعد عن الدقة العلمية،
تقوم معظمها على محاولات لربط اللغة بالسحر والشعوذة لامور دينية.
بقي امر الدراسة اللغوية هكذا بين اندفاع بقوة وتراجع وجود، حتى
كان النشاط العلمي القوي لدراسة اللغة العربية على يد ابي الاسود

الدؤلي (ت: ٦٩ هـ)، وذلك فيما تذكره الروايات عن المحاولة الاولى لوضع النحو العربي، وفيما قام به من نقط الاعراب في المصحف الشريف. ولما لم يكتب الله لهذا العمل ان يصل اليه، شأنه شأن محاولات ابي عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي (ت: ١١٧ هـ)، وعيسى بن عمر (ت: ١٤٩ هـ)^(١)، ولا ان ينقل احد من اصحاب كتب التراجم شيئاً منها يساعد في الكشف عن طبيعة هذه المحاولات، او مساهمة اصحابها في معالجة اللغة، فاننا نرى ان الابداع اللغوي والمناقشة الواعية قد برزت مسجاً واضح المعالم في طرق معالجة قصايا اللغة والنحو، على يد الخليل بن احمد (ت: ١٧٥ هـ) وتلميذه سيبويه (ت: ١٨٠ هـ)، منهجاً سار عليه كل من شاء ان يدرس اللغة قديماً والى يومنا هذا^(٢).

(١) يقول ابن النديم عن كتابي عيسى بن عمر: «وهذا الكتابان ما وقفا اليه ولا رأيت احداً يذكر انه رآهما، وقد فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة، ولم تقع الى احد علماه ولا خبرنا احداً قال انه رآهما».

(٢) عني عن تفصيل القول في ان ما جاء بعد سيبويه ظلوا في اطار النهج الذي حددته في كتابه، على الرغم من وجود بعض الاختلافات الجزئية التي اثارها بعض من جاءوا بعد سيبويه وتخصصوا في كتابه دراسة او تدريباً كالبرد الذي شغل نفسه بكتاب سيبويه، فألف كتاباً سماه: «الرد على سيبويه»، مما دفع ابن ولاد (ت: ٣٣٢ هـ) للدفاع عن سيبويه في كتاب سماه: «الانصار لسيبويه من البرد»، والى البرد كتاباً آخر (الفتصب) صممه الابواب الصوتية والصرفية والنحوية التي اشتمل عليها كتاب سيبويه، وان الناظر في كتاب الفتصب بتحقيق الشيخ عبد الحلق عصية، يرى ان الكتابين في الحقيقة لا يختلفان كثيراً، ولا يمتش، سعيد بن مسعدة (ت: ٢٢١ هـ) الذي يمدد السوراني الطريق الى كتاب سيبويه (طبقات النحويين ص ٣٩)، الا ان كتاب سيبويه بقي المؤلف الذي اثر على الحياة من بعده والمهج الذي ساروا عليه، وان نظرة الى اعمال ابن السراج (ت: ٣١٦ هـ) والرجاج (ت: ٣١١ هـ) وابن خورشويه (ت: ٣٢٠ هـ) وابن جني (ت: ٣٩١ هـ) تبين اهتمام هؤلاء العلماء بكتاب سيبويه وتأثيرهم به وبمعهجه. ومن الواضح كذلك ان اصحاب الكتب التعليمية في النحو مثل كتاب «الجمال» للرجاجي (ت: ٣٢٧ هـ)، وكتاب «اللوحة» في النحو لابن السراج، وكتاب «الايضاح والتكملة» لابي علي العارسي، وكتاب «اللمع لابن جني»، واعمال اصحاب المنظومات التعليمية في النحو واشهرهم ابن مالك =

على الرغم من هذا الاهتمام الكبير بدراسة اللغة ومناقشة قصاياتها في بحوث كثيرة، إلا أن ذلك ما زاد على أن كان حجر الأساس لقيام الساء اللغوي المتين، وعلى أن كان سجعاً صادقاً لوقائع التفكير اللغوي انداك، وميداناً للتطبيق عند اللغوي المعاصر، فقامت النهضة اللغوية التي احدثت في الآونة الاخيرة تعد الركيزة الرئيسة التي توظف نتائجها وحلاصة تفكير العلماء فيها في مختلف جوانب الدراسات الاساسية.

ظلت الدراسات اللغوية في اللغة العربية - كما هي في غير العربية - مريجاً من فروع علم اللغة المختلفة مع عناية خاصة بالجانب التركيبي للجميل، كيف تبني التراكيب وكيف ترتب فيها الكلمات، وبالحركات التي تعطى لكل كلمة بحسب موقعها في التركيب الجملي، وقد كان من بين علماء اللغة أو الباحثين فيها من وجه جهده الى البحث في اصل اللغة ونشأتها وخصائصها، تارة في غير تأثر بالمهج النحوي الذي ساد آنذاك، واخرى متأثراً به واقفاً تحت سلطته وسلطانه، ما أن يخرج منه حتى يعود اليه، كما نجد في كتاب الخصائص لابن جني. علم يُعرف مصطلح علم اللغة في التراث العربي مشيراً - في جانب - الى مهج علمي مستقل لدراسة اللغة، وانما استخدم ليشير الى البحث في اصل اللغة ونشأتها وما إن كانت توقيماً أو اصطلاحاً أو تقليداً ومحاكاة^(١)، وفي جانب آخر الى جمع الألفاظ وتبويبها في صناعة المعاجم، يقول صاحب مفتاح السعادة: «علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر

(١) (ت: ٩٢٩هـ) والصابان (ت: ١٢٠٦هـ) التي قد ساروا فيها على المنهج الذي سار عليه سيويه في كتابه مع زيادة في المصطلحات النحوية، ونجراً الابواب النحوية لغرض التعليم أو للتوسع في الشرح، واحقاقاً للحق نقول: لولا هذه الدراسات الجادة الفسبة التي قدمها علماء العربية قدعموا بها الدرس اللغوي بقوة وعمق، لما استطاع باحث علم اللغة المعاصر (الباحث في اللغة العربية بخاصة)، أن يصل الى ما يصل اليه من الفوايس والقواعد والاسس العلمية في وصف اللغة وإبرار ما في تراكيبها من معنى (١) وانظر، السيوطي، الزهر ٢٥/١.

المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعمّا حصل من تراكيب كل جوهر، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي^(١)، ويقول في موضع آخر مشيراً إلى موضوع علم اللغة «وموضوعة جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعاني الجزئية... .. وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب^(٢)». فلم اللغة عند صاحب مفتاح السعادة كما هو عند غيره من اللغويين القدماء، علم يبحث في وضع القواعد السعوية لدفع الخطأ والاحتراز منه، وفي القوانين الصرفية وكيفية اشتقاق الكلمات أو وضعها طبقاً لموازن ترتضيها العربية، ثم تصنيف هذه الكلمات في معاجم ككتاب «العين» الذي يعد من أقدم المعاجم العربية، سار فيه صاحبه على منهج صوتي صرفي، رتب حروف العربية فيه طبقاً لخارجها، مبتدئاً باصوات الحلق ومنتهاً بالحروف الشفهية، عاداً الحروف الأصول في الكلمة الواحدة ومطرحاً الزوائد^(٣). وبناء على هذا المدلول فقد كانت كلمة «اللغوي» في الدراسات اللغوية العربية قديماً تشير إلى من يقوم باعداد المادة التي يقوم النحوي بالنظر فيها وتقليبها لاستنباط القواعد والقوانين، أي ان مهمة اللغوي كانت مهمة وصفية يعتمد عليها النحوي في وضع القوانين والقواعد المياريّة، يقول السيوطي: «أعلم ان اللغوي شأنه ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما السعوي فشأنه ان يتصرف فيما ينقله اللغوي ويتيسر عليه»^(٤).

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ١٠٠/١.

(٢) السابق ١٠١/١.

(٣) انظر كتاب العين، وانظر Haywood, Arabic Lexicography

(٤) المرمر ٥٩/١

أما فقه اللغة فتوجد في التراث العربي القديم كتابين يحملان هذا المصطلح عنواناً بارزاً، أحدهما لابن فارس، صاحب نظرية التوقيف في أصل اللغة (ت: ٣٩٥هـ)، وعنوان كتابه «الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»، والآخر للثعالبي، أبي منصور (ت: ٤٣٠هـ)، وعنوانه «فقه اللغة وسر العربية»، ولكن أحداً من هذين لم يشرح معنى مصطلح فقه اللغة، ولا ما الذي أراد به. ولكن إذا حاولنا أن نتبين ما رمى إليه هذان العالمان بهذا المصطلح مما اشتمل عليه كل من الكتابين من موضوعات، فإننا نجد في كتاب ابن فارس مجموعة من الأبحاث لا يجمع بينها رابط، وربما كان الكتاب في أصله مجموعة من الأفكار التي كانت تشغل ذهن صاحبها، فافرغها في كتاب. ففيه أبحاث عن أصل لغة العرب، وعن اختلاف اللغات، والاحتجاج باللغة، وعن الخط العربي، وفيه كذلك أبحاث عن الفعل والحرف، ودراسة بعض الأدوات والحروف.

أما كتاب الثعالبي، فهو في الواقع كتابان جمعها صاحبها في كتاب واحد من قسمين، يضم أولها، وهو الذي عناه بعنوان الكتاب «فقه اللغة»، مجموعات من الألفاظ التي تتناول شيئاً بعينه، كالألفاظ الخاصة بالثياب، وبالطعام، وبخلق الإنسان، وبأسماء الإنسان والنبات والشجر... وغيرها، مع الإشارة إلى الألفاظ التي دخلت إلى العربية عن أصل غير عربي.

وفي القسم الثاني الذي يشير إليه العنوان «سر العربية» مجموعة من الأبحاث التي تتعلق بالنحو والصرف والبلاغة، كالقديم والتأخير، والاضافة، والاستعارة، والتذكير والتأنيث، والنمات، والاشتقاق... الخ، وكما هو واضح فإن محتويات الكتابين لا تشير إلى معنى محدد أو ميدان واضح في الدراسات اللغوية، وقد كان ابن جني (٣٩٢هـ) عندما وسم كتابه باسم «الخصائص» أقرب إلى منلول فقه اللغة عند

اللغويين القدماء، وهو معرفة خصائص العربية وتميزاتها.

في الثلاثينات من هذا القرن أخذ مصطلح «فقه اللغة» يشير إلى مدلول كلمة فيلولوجي *Philology* في الدراسات الغربية، وهو معنى غير محدد ولا متفق على مدلوله بدقة عند اللغويين الغربيين، فقد كان - عند بعضهم - يشير إلى نشر النصوص والتفوش القديمة^(١) ويشير عند آخرين إلى معنى رديف لمصطلح علم اللغة *Linguistics*، ومنهم من عده العلم السذي يبحث في قواعد النحو والصرف. *Syntax and Morphology*، وغيرهم عدوه العلم الذي يبحث في نقد النصوص الأدبية ومقارنتها بما في لغات أخرى، من حيث مصونها وما فيها من المعاني والقواعد النحوية والمباني الصرفية والصور البلاغية، بالإضافة إلى بحث تاريخ هذه اللغة أو تلك^(٢).

فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة؟ وما موضوعاته؟. هناك عدة عقبات تعترض طريق من يريد تعريف علم اللغة أو تحديد موضوعاته، وربما كان من أهم هذه العقبات أن هذا العلم يعد من العلوم الحديثة التي نشأت منذ زمن ليس بالبعيد، ومن العقبات كذلك، أن هذا العلم ينمو ويتطور بسرعة كبيرة، بسرعة لا تسمح لمصطلحاته بأن تصبح قماماً ولا لنظرياته بأن تستقر على تحديد نهائي لموضوعاتها أو جوانب البحث فيها، وقد أخذت تتجه آراء العلماء المحدثين إلى حصره في الميادين التالية:

علم الأصوات *Phonology*، علم الصرف *Morphology*، علم التراكيب *Syntax*، علم المعاجم *Lexicology*، وعلم الدلالة *Semantix*، وقد سارت

(1) F. Schnabel, Deutsche Geschichte am neunzehnten Jahrhundert, Bücherei Band 207 1965 PP 99-102

(2) J. B. Carroll, The Study of Language, Harvard Univ. Press, 1960, PP. 3-5, 64-70

في حط مواز لهذه الحقول التي تعد حقول تخصص دقيق في ميدان علم اللغة العام، مجموعة من الدراسات التي تعد ميدان دراسة لغوية منبثقة من المعنى القديم لمصطلح «فقه اللغة» أو «خصائص اللغة»، وتتصل بعلم اللغة العام بسبب^(١)، ومنها:

علم اللغة العام: *General Linguistics*، وهو العلم الذي يبحث في النظريات اللغوية العامة، ومناهج البحث فيها، اعتماداً على تحليل التراكيب إلى العناصر التي تتكون منها، إلى فونيات تنتظم لتكوّن مجموعة من المورفيات، وهذه تنتظم بدورها لتكوّن الجملة التي تعدّ وحدة التعام والتعاطب بين المتكلم والسامع، ووحدة الإفصاح فيها يجري بين الفرد ونفسه. وقد تعددت مناهج العلماء في النظر إلى الجملة وتحليلها، فمنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بمعرفة الوازع أو الدافع الذهني عند المتكلم، الحافز الذي دفعه للنطق بهذا التعبير أو ذاك، ثم يقوم بتحليل الجملة في ضوء ذلك^(٢)، ومنهم من يرى أن عليه أن ينظر إلى الجملة على أنها الدافع الذي يظهر تصرفاً سلوكياً عند السامع، وفي ضوء هذا التصرف يستطيع الباحث تحليل الجملة^(٣)، ومنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بتحليل الجملة من الجملة ذاتها إلى الوحدات المكونة لها، من الأكبر إلى الأصغر في ضوء القواعد التوليدية التحويلية *Generative and Transformational Grammar*^(٤).

ويبحث هذا الميدان من ميادين علم اللغة كذلك في معرفة الخصائص الرئيسة التي تكوّن لغة ما، وفي وضع الأسس الأولية للتحليل اللغوي

(١) R. H. Robins, *General Linguistics: An Introductory Survey*, Longman, انظر 1964.

(٢) E. Safer, *Language*, PP. 25 - 6 انظر

(٣) L. Bloomfield, *Language*, PP. 23 - 34 انظر

(٤) N. Chomsky, *Syntactic Structure*, وانظر

القائم على فهم الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والمجمية في تلك اللغة، وفي المعاني المختلفة التي تؤديها الجملة، في المعاني التي يصنعها السحاة في ابواب نحوية تدخل فيها جل بعينها، وليس كل الجمل التي تعيد هذه المعاني، كالاستفهام، والنداء، والتعجب... وغيرها^(١).

علم اللغة التقابلي: Contrastive Linguistics

وهو احد ميادين علم اللغة التطبيقي، Applied Linguistics، الذي يعد الجانب العملي التطبيقي للدراسات اللغوية التقابلية، اذ انها تمثل جانبه النظري، فيه يقوم الباحث بدراسة مقابلة لظاهرة لغوية معينة في لغتين او لهجتين، لإثبات الشبه والفرق بينهما. ورصد ما يراء، واصفاً كل ما يتعلق بتلك الظاهرة في اللغتين او اللهجتين، كل واحدة على حدة في مستويات التحليل: الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وذلك لوضع حلّ للصعوبات التي تعترض من يريد تعلم لغة غير لغته، بصرف النظر عن المروق المردية عند الدارسين، فيقوم الباحث بتحديد اوجه التشابه بين اللهجتين او اللغتين في الظاهرة اللغوية التي حددها، في الاصوات، بتحديد المتائل ووضعها في قائمة، ورصد غير المتائل واعطائه الرموز التي اتفق عليها العلماء، او بأش يرمز لها برموز يبينها للفارء، ويقوم بالعمل ذاته في المستوى الصرفي وكيفية بناء الكلمة، ثم على المستوى التركيبي وكيف تتحد الكلمات لتكوّن حلاً. وكيف يمكن للكلمات ان تعبر عن معاني يريد بها المتكلم بالتقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث، والتعريف، والتنكير، وتوظيف النبر والتنغم، Sound Pitch, Stress and intonation، فمثلاً يستعمل المتحدث باللغة العربية المعاصرة اداة التعريف في لغته بطريقة تختلف عن استعمال المتحدث بالانجليزية، فيقول، مثلاً: الرجل المجتهد....، ونجدد عندما يود

(١) واسطر، S. Ullmann, Principles of Semantics, Oxford, 1957.

التعبير عن الفكرة ذاتها باللغة الانجليزية يقول: The industrious man . في حين ان The في اللغة الانجليزية تعني ما تعنيه (ال) المهدية في اللغة العربية، وان من عاش مناً في بريطانيا خاصة - حيث يحافظون على سلامة اللغة الانجليزية - لا يدرك انه عندما يقول: I came by the bus، يُسأل عن هذه الحافلة التي ذكر بأنه قد أتى بها، The bus، فيدرك أن عليه ان يقول: ...by bus، ونضع مثلاً آخر، نأخذه من التقديم والتأخير (الترتيب) بين المتلازمين، النعت، والنموت، فالنعت في العربية تابع يتبع منعوته ولا يتقدم عليه: اخذت الكتاب الجديد، بينما يجب في الانجليزية ان يسبق النعت منعوته: I took the newbook، ولعل الترتيب بين النعت والنموت في العربية وعدم مراعاته هو الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يعتورها الغموض، فنقول: بقالة الجامعة الجديدة، مدرسة جامعة اليرموك النموذجية، فينصرف ذهن السامع الى ان المقصود في الاولى هو البقالة وفي الثانية هو المدرسة، وقد يذهب الى ان المقصود بالنعت هو الجامعة في الاولى، وانه «جامعة اليرموك» في الثانية، اي ان النعت تابع للنكرة التي اصبحت معرفة بالاضافة، او انه تابع للمعرفة مع ابقاء النكرة نكرة في الذهن وفي المعنى الذي توحى به الكلمة. ومثل ذلك يمكن ان يقال عن المائلة بين العربية والانجليزية في توظيف التسخير لنقل الجملة من معنى الى معنى آخر، نقول، مثلاً: حضر علي Ali Came ← بصفة صوتية مستوية، فتكون الجملة خبرية، ولكن اذا ما عبر المتكلم اللفة الى صاعدة فان المعنى لا يحالة متغير الى معنى الاستعظام



ظلت الدراسات اللغوية التقابلية حتى اوائل الستينات من هذا القرن تساهم في وضع الكتب ورسم مناهج التدريس، يتنبأ الباحثون

بالأخطاء التي يمكن الوقوع فيها في ضوء دراساتهم للظواهر المماثلة وبرسمون للدارسين الذين يرغبون تعلم لغة جديدة، منهجاً يسرون عليه مقالاً بمنهج في لغتهم الأم، مع مراعاة العادات اللغوية التي يكون الدارس قد اكتسبها في لغته، فينبه إليها، ذلك لأن أصحاب هذا المنهج يرون أن اللغة عادة مكتسبة كأيّة عادة اجتماعية أخرى^(١)، وفي أوائل الستينات من هذا القرن اتجهت الأنظار إلى نظرية جديدة يتزعمها العالم اللغوي الأمريكي N. Chomsky، وهي النظرية التوليدية التحويلية Generative and Transformational Grammar^(٢)، التي يرأسها صاحبها واتباعه القاعدة الرئيسة التي يعتمد عليها أصحاب المدرسة السلوكية، وبها يؤكدون أن اللغة عادة مكتسبة تنمو وتتطور بمرور الزمن حيث يكتسب الإنسان كلمات جديدة ومعاني جديدة، وهذا ما ينقضه أصحاب مذهب تشومسكي في نقطة رئيسة في مدرستهم، فيرون أن اللغة فطرية تقوم على عدد من العمليات العقلية الداخلية^(٣).

علم اللغة التاريخي: Historical Linguistics

لقد عكف عدد من الباحثين في القديم ومن المحدثين على دراسة أصل اللغة ونشأتها، ولكن هذه الجهود لم تصل إلى نتائج علمية يمكن الاعتماد عليها^(٤)، فاتجه العلماء والباحثون إلى البحث في اللغات القديمة كالمندية، كما فعل كل من بواس وسابير وبلومفيلد، التي عدّها العلماء الأصل الذي أبشفت عنه لغات الأسرة الهندية الأوروبية كلها، واتجهوا كذلك إلى البحث في اللغة السامية الأولى بحثاً عن الأصل الذي صدرت

(١) انظر L. Bloomfield, Language, PP. 23 - 34.

(٢) انظر N. Chomsky, Aspect of Theory of Syntax.

(٣) سمعنا القول في هذا في نظرية تشومسكي.

(٤) انظر Mario Pei, The Story of Language.

عنه لغات الاميرة السامية، ولكن نتائج ابحاث العلماء في اللغات القديمة لم ترد على ان حددت بعض ملامح هذه اللغات وواجه التقارب والتساعد بينها، ومن هنا فقد اتجه علم اللغة التاريخي الى السحث في تاريخ علوم اللغة، كالأصوات وتطور انظمتها، والصرف وتطور ابنىته، ودخول المعردات من لغة الى لغة، وتاريخ كلمات اللغة وتطور معانيها الدلالية في المعصور المتعاقبة في ضوء استعمالها في المجتمع من حيث الانتشار والدلالة، والعوامل المؤثرة في هذا الانتشار، او المؤدية الى دخول كلمات من لغة اخرى، ثم ارتباط كلمات اللغة بالتطور الحضاري للامة التي تستعملها.

ويعنى هذا الميدان من الدراسات اللغوية بدراسة القواعد النحوية وتطورها من زمن لآخر، وبدراسة تطور المصطلحات النحوية واللغوية وما تشير اليه من المعاني في كل عصر وفي اعمال النحاة في المعصور المتعاقبة. وكذلك يعنى بتاريخ اللهجات واستقلالها عن اللغة الام او بتأثيرها بها.

علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

ذكرنا فيما سبق ان اصحاب المذهب التاريخي في دراسة اللغة قاموا بتصنيف اللغات الى مجموعتين لفوشين كبيرتين يطلقون عليها:

(أ) اسرة اللغات الهندية الاوروبية، وتضم معظم لغات شبه القارة الهندية وايران، بالاضافة الى اللغات المستعملة في القارة الاوروبية.

(ب) اسرة اللغات السامية، وتشمل العربية (الشمالية والجنوبية)، والعبرية والحبشية والآرامية والاكادية، والفينيقية والاجريتية وغيرها. فاعتاداً على رصد اوجه التماثل والاختلاف بين هذه اللغات وما يتفرع عنها من لهجات تتباين بمرور الزمن حتى تصبح لغات في المستويات او الانظمة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية، اعتاداً على رصد

ذلك قام العلماء بافتراض لغة قديمة انحدرت منها هذه اللغات فشأت الفروع التي أصبحت: الرومانية والجرمانية والسلافية والهندية والايروبية^(١)، وتحت كل فرع من هذه الفروع وجد عدد من الفصائل الجرمانية: الانجليزية والدغاركية، النوردية والالمانية، وغيرها والعربية والاسبانية والاطالية والرومانية المبتقة عن اللاتينية وتنتهي الى اصل واحد هو الاصل الروماني. وهناك مجموعة من الفصائل الاخرى التي تنتمي الى مجموعة واحدة من اسرة واحدة وهي الروسية والاكراية والسلوفاكية والتشيكية والبولندية والبلغارية ولغة الصرب، وما يتفرع منها من لهجات، وتنتمي الى السلافية، ثم الهندية وتشمل عدداً من اللغات....

وميدان الباحث في علم اللغة المقارن ان يقابل بين الظواهر اللغوية المختلفة والانظمة التي تؤدي هذه الظواهر، الصوتية والصرفية والمعجمية... في الفروع التي تنتمي الى اصل لغوي واحد^(٢)، لبيان الصلات التاريخية، ورصد نقاط التلاقي والافتراق بينها.

علم اللغة الوصفي: Descriptive Linguistics

ظلت الدراسات اللغوية المقارنة هي الميدان الذي تنصرف اليه هم الباحثين للمقابلة بين لغتين من اصل واحد ودراستهما، الى ان نشر كتاب العالم السويسري دي سوسير de Saussure بعد وفاته بثلاث سنوات، سنة ١٩١٦ م، بعنوان: Course de Linguistique Général، الكتاب الذي حمل البذرة الاولى للمنهج الوصفي في دراسة اللغة، فأحدثت الدراسات اللغوية تتأثر بأراء هذا العالم الذي رأى ان الدراسات اللغوية القديمة وانصراف اصحابها الى البحث في اصل اللغات

(١) انظر، S. Potter, Language in The modern World, Pelican Book, 1962

(٢) وانظر، E. H. Roberts, A Short History of Linguistics, London, 1967

وشأتها، وفي اللغات الاصول وما تفرع منها من هروع، لم تأب بنتائج علمية منسقة، ونباءاً على نتائج ابحاث هذا العالم، اتجه الباحثون الى البحث في اللغة الواحدة في زمن بعينه Synchronick، اعتقاداً على ان لكل لغة مجموعة من الوحدات الصوتية تتألف منها مجموعة كلمات معجم تلك اللغة، وعليها يقوم البحث الصرفي والبحث المعجمي فيها، ومنها تتألف الجمل التي تسير طبقاً لقواعد معينة في الاستعمال اللغوي الاجتماعي للتعبير عن المعاني الثقافية والحضارية المختلفة^(١).

بعد ان عرضنا عدداً من أهم ميادين الدراسة اللغوية ومناهج البحث اللغوي بإيجاز، المناهج التي ظل كل منها يعد في فترة من الزمن رديفاً لمصطلح علم اللغة، نجد لزماً ان نعيد السؤال: ما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة؟ ولكن قبل الاجابة نرى ان نعرض طرقاتاً آخر من آراء بعض اللغويين العرب القدماء. يرى ابن جني ان اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اعراضهم^(٢)، وهذا الرأي يضم نقطتين رئيسيتين هما: ان اللغة مجموعة من الاصوات (الفونيات) التي تنتظم في كلمة والكلمة تنتظم مع الكلمة فتكون جملة، وان الجمل التي تنتظم فيها الكلمات تكون في مجموعها ما يسمى باللغة التي تمير عن المعاني التي في ذهن المتكلم ويحتاج في احراجها، لنقلها الى السامع او ليمصع عن مشاعره الداخلية واحساسه بموضوع معين، الى تلك الجمل او الى هذه اللغة. فاللغة اذاً، اهم وسيلة اتصال بين المرسل الذي يعبر نطقاً Vocally، او كتابة Graphically، والمستقبل الذي يستقبل الرسالة المرسلة في الهواء عن طريق جهاز السمع، او مكتوبة فيستقبلها عن طريق احدى الحواس الأخرى. وقد يستعمل المرسل اللغة للتعبير عما في

(١) وسعر من آراء هذا العالم بريد من التفصيل في فصل قادم.

(٢) الخصائص: ٣٣/١.

نفسه من مشاعر واحاسيس يخرجها منطوقة دون ان يهدف توصيلها الى مستمع. ولما كانت اللغة هي النظام الصوتي للاتصال او للتعبير الاساسي، فانه ينظر اليها من جانبين اولهما: الجانب الشكلي Formal الذي يعنى بالتركيب اللغوي في مستوياته الثلاثة:

(أ) الصوتي Phonology، ويدرس فيه الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقاً لمعايير، منها: الهواء المدفع من الرئتين عبر جهاز النطق عند النطق بكل صوت Sound Waves، ثم دراسة هذه الاصوات واستخراج خصائصها باستخدام عدد من الاجهزة. المعقدة كالاسبيكتروجراف Spectrograph، والادسولوجراف Oscillograph، ثم تحليل هذه الاصوات تحليلاً فونولوجياً Phonological analysis بحيث تدرس فيه وظيفة هذه الاصوات Function في الكلمات فتميز بين كلمة واخرى، ويترتب على ذلك اختلاف معنى الكلمات^(١).

(ب) المستوى الصرفي Morphology، وفيه ينظر الى بنية الكلمة، وقسمها الذي تلتحق به (من اقسام الكلم)، ثم الى تصريفها، وما يمكن فيها من معنى الزمن ان كانت فعلاً، او معنى التذكير او التأنيث او الافراد او التثنية او الجمع.... الخ.

(ج) المستوى التركيبي Syntax، وفيه يقوم الباحث بالتركيز على الجملة وتركيبها، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وزيادة، وغير ذلك^(٢).

ويبدو أن معظم علماء اللغة العربية القدماء، وكثيرين من المحدثين، يسطرون الى السهو على انه هو علم اللغة، ففي القرن الأول من الهجرة،

(١) وانظر P. H. Matthews, Morphology, an introduction to the theory of word-structures, 1973, PP. 196-201

(٢) وسعرض هذه المصطلحات ودورها في المعنى بمقنن «عامر التحويل».

اندفع عدد من العلماء بدوافع دينية وسياسية واجتماعية^(١)، لاستقراء كثير من شواهد العربية؛ لاستنباط قواعدها، وعلى الرغم من ان هذا الاستنباط قد سار في اتجاهين متوازيين وكوّن مدرستين مختلفتين في كثير من تخريج الظواهر اللغوية وتعميد القواعد بناء على هذا التحريج او الاختلاف في طريقة تناول المادة اللغوية، الا ان وجهة نظر المدرستين قد التقى عند القول بأن النحو علم العربية الى ان جاء ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) وترك مجموعة من الآراء اللغوية الرائدة في ميادين الصوت والصرف واللهجات العربية وخصائصها، وتداخل اللغات وتأثرها ببعض، فكانت ميداناً خصباً للدارسين وما تزال الى يومنا هذا من اكثر البحوث عمقاً وادراكاً لانظمة اللغة. وبما هو بين واصح ان التركيز على المادة النحوية بقواعدها وقوانينها وتطبيقاتها عند كثير من الدارسين القدماء والمحدثين، جعلها تكون بمثابة الرديف لمصطلح علم اللغة ودراسته، وجعل من يقرأ كتاباً في علم اللغة يتوقع ان يعرض كاتبه مجموعة من القواعد والقوانين التي تتعلق بالحركة الاعرابية وتخريجها وتوجيهها بطريقة حديثة لتيسر تعليمها وتعلمها. فاخذ النحو يعني - عند الدارسين - اعراب الكلمات في الجمل والتفنن في تخريج الحركة التي لا عامل لها في الجملة، يطلون او يتأولون، وان لم يكن لتلك الجملة معنى، فلو طلبنا من طالب جامعي في الجامعات العربية ان يعرب الجملة التالية مثلاً: - كما يقول الدكتور غام حسان - : شقاً الشاقىء الشقاء بمشقائه. فانه سيبدأ بالتفكير في الحركة الاعرابية ورصد المرفوع وربطه بأبواب الرفع في النحو، وكذلك المنصوب والمجرور فيقول:

(١) وانظر: غام حسان، التراث اللغوي عند العرب، مجلة فصول، العدد الاول، ١٩٨١، ص ٨٧.

شأ: فعل ماض مبني على الفتح:
الشاقي: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
الشفقة: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.
الباء: حرف جر.

مشقة: اسم مجرور بالباء وعلامة جر... وهو مضاف
والضمير: ضمير متصل مبني في محل جر.

والاعراب طبقاً لهذا الفهم وسيلة تفكيك الجملة الى قوالب واجراء
ميتة لا حياة فيها، ودون معرفة السبب الذي من اجله يتم هذا
التحليل او التمكيك، واذا ما قرأنا ما يقوله بعض اللغويين العرب
القدماء «الاعراب فرع المعنى»، فاننا نرى ان على القارئ العرب،
او المحلل المفكك ان لا يبدأ بتحليل الجملة الا بعد ان يعرف معناها،
فيقوم بالاعراب في ضوء المعنى، او يقوم بالاعراب لابرار الجوانب
الخفية في المعنى، اذ أن الاعراب وسيلة من وسائل المعنى وخدام من
خدمه. فالتحوي - على ذلك - هو المحور الاساس في اللغة لمعرفة المعاني
التي في الجمل، ولمعرفة الابواب التي تنتمي اليها الجمل او تصنف فيها،
ومهمة النحو ان يعطي مجموعة من القواعد الخاصة بالكلمة وارتباطها
مع غيرها في الجملة، وارتباط الجملة بعبرها من جل النص اللغوي،
مبينة على استقرار واسع للغة، استقرار يسمح بوضع القاعدة ثم تدوير
وضعها والدفاع عنه بالشواهد، ثم الكشف عن امكان اتباع هذه القاعدة
لتجنب الوقوع في الخطأ عند استعمال اللغة، وليس كما هو مستقر في
اذهان كثير من المعلمين والمتعلمين ان نحو اية لغة هو كتاب النحو (او
(القواعد) المؤلف فيها^(١).

اما الجانب الثاني فهو الجانب الوظيفي Functional approach.

(١) انظر: F Palmer, Grammar, Pelican Books, 1973, P 11

وتتم فيه دراسة الوظيفة التي تقوم بها الكلمة في موقعها في الجملة، ومعرفة ما ان كانت الكلمة قد وقعت في موقعها الاصل او اخذت حركتها الاصل قياساً على ما جاء عن العرب، او تغير شيء من هذا، وادراك قد تغير مما المعنى الذي كان له التغيير، كذلك معرفة قوانين انتقال الجملة بالتسليم الذي تنطق به من معنى الى معنى آخر. وقد فصلنا القول في هذا في عناصر التحويل.

اما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين منذ دي سوسير الى يومنا هذا فهو العلم الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها، دراسة علمية دقيقة تعطي وصفاً دقيقاً تاماً لانظمة اللغة، وكيف تعمل هذه الانظمة او الاجهزة، اعتياداً على ملاحظة الظواهر اللغوية ثم دراستها ووضع النظريات لتعليل الملاحظات، ثم وضع النظريات موضع التجريب الدقيق بالتطبيق لمعرفة ما ينطلق من اللغة على القواعد والقوانين وما يخرج عليها، ولمعرفة اسهام هذه القواعد والقوانين او النظريات مع الاستعمال اللغوي، ثم الكشف عن خصائص تلك اللغة، ووضع القواعد التي تمكن من يرغب في تعلمها من ان يجذب حذو اهلها دون أن يقع في الخطأ^(١)، يقول تشوسكي: «ان نحو أية لغة في الحقيقة - هو افتراضات تتعلق بالمبادئ الاساس لتكوين الجملة في تلك اللغة، وتمثل مجموعة من القواعد المفترضة المتعلقة بالمادة المجموعة^(٢)، علم اللغة كما ذكرنا هو دراسة اللغة في ذاتها وبدون تأثر بعناصر آخر او بمبادئ بحث تاريخية او تقابلية او....، ولذاتها، اي لغير حاجة الوصول الى نتائج تتعلق بمبدأان بحث آخر.

(١) انظر: N. F. Terwilliger, *Meaning and mind, a study in the Psychology of Language*, Oxford, 1962, P. 195.

وانظر: N. Chomsky, *Aspects of the theory of syntax*, P. 219.

(٢) السابق

ويبدو ان النحاة واللغويين العرب القدماء في المرحلة الاولى من
الدرس اللغوي، قد ساروا على المنهج اللغوي الذي مرتصيه الدراسات
اللغوية الحديثة، ولكن نقاطاً معينة أدخلت في المنهج فأدت الى وهن في
بعض النتائج، ومن هذه النقاط:

١ - الخلط في مرحلة الجمع (جمع الشواهد اللغوية): فقد قام النحاة
العرب القدماء بجهد كبير مرموق لجمع مادة الاستقراء اللغوي من
الأعراب في البادية، ومن الشعراء الذين كانوا يقدون الى البصرة والى
الكوفة، فيما بعد، لعرض بضاعتهم على النحاة، ولكن النحاة لم يفصلوا
بين ما كان يردهم من هذه القبيلة او تلك، فظهرت نتائج هذا الخلط
عند وضع القواعد النحوية، فجاءت قواعدهم مستوعبة اكبر عدد من
الشواهد المتائلة، واحرجوا ما لا يماثلها واطلقوا عليه «شاذ»^(١)، مع
ان الذين يطلقوا به هم من العرب الاقحاح العصحاء، وربما كان من بين
هؤلاء الأعراب من قد احتج النحاة بشعرهم الذي كان يلقي باللغة
المشتركة (لغة السوق او المستدى الادبي) لقواعد نحوية. ولو جمع النحاة
المادة اللغوية وصنفوها ينسبون ما جاء من كل قبيلة الى افرادها على
حدة، لما كان من الضرر بمكان ان نخرج بتفسير او تخريج مقنع لكثير
من الشواهد التي لا نجد لها تخريجاً الا بالقول «شاذ»، او كما كان
الفارسي يقول: شاذ لا يقاس عليه وهو كثير في كلامهم، وبتخريج
للسواهد التي اذا وقعت في القرآن الكريم لا نجد ماصاً من التأويل
العميد كما هو الحال في «ان هذان لساخران» وفي «ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى....». فقد كان الشعراء يدركون
ان هناك اختلافات في اللهجات بين القبائل، وكان احدهم اذا اراد
ان ينظم شعراً للمنافسة به في الأسواق، نظمها باللغة الادبية

(١) وبخاصة لغة الحرة.

المشركة بين القبائل، وإذا ما قال شعراً في قبيلته جاء به متفقاً مع لهجتهم وعاداتهم اللغوية، وكان من بين أفراد القبيلة من حفظ مثل هذا الشعر كما هو، فلم يكن خطأ ولا مخالفاً لما هم عليه في لهجتهم، متساقلوه إلى أن وصل إلى النحاة الذين حكموا عليه بالشذوذ لأنه يخالف لما عندهم من قواعد، ولأنه كان قليلاً، وإن يكن في الحقيقة ليس بقليل، إذ ليس من اليسير أن يسلّم الباحث بأن شاعراً ما جاء بالمتشابه وفيه الألف في حالاته كلها: الرفع والنصب والجاء في بيت واحد أو اثنين أو عشرة فقط، وليس من المعقول أن يكون قال هذه الأبيات القليلة مخالفاً ما عليه قبيلته دون أن يصوبوه فصلاً عن أن يمحطوا دون تصويب، ولكن النحاة اسقطوا كثيراً من الأشعار التي وردتهم مخالفة في تراكيبها أو حركات الأعراب فيها، ما كانت عليه قواعدهم التي أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها.

٢ - الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على قبائل معينة: اسد، وتميم، وقيس وهذيل وبعض الطائيين وبعض كنانة، ورفض القبائل الأخرى بحجة أنها كانت ذات علاقة تجارية أو علاقة مجاورة بالاقاليم التي لم تكن تتكلم العربية، ونحن نعلم أن لغة قريش كانت هي اللغة المشتركة، والتي كانت قد صقلت بأن دخلت فيها الكلمات التي كان أصحابها يمدون إلى ديار قريش للتجارة أو التعمد أو لأنها المركز الحضاري النشط في شبه الجزيرة العربية آنذاك، فيقولون ويأخذ منهم القرشيون ما يتحسنون، بالإضافة إلى أن قريشاً كانت أوسع القائل احتكاكاً بالعرب وبغير العرب في الجزيرة وخارج الجزيرة في رحلاتها التجارية في الصيف والشتاء. فإن اقتصار النحاة في جمع المادة اللغوية على قبائل محدودة محدودة، جعل قواعدهم محدودة لا تجد فيها تفسيراً للظواهر التي لا توجد في غير لهجات هذه القبائل.

(١) انظر الأضاح ٥٧ والمرمر ٢٢/٤، ٢١٢.

(٢) المرمر ٢٢/٦.

٣ - الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على زمن معين ينتهي بأبراهيم ابن هرمة، أو بيشارين برد، في حين ان اللغة في نظامها المعجمي والصرفي متطورة متجددة لتتمكن من سد حاجة مستعملها في التعبير عما يحول في انفسهم في اطار نظامها اللذين يجب ان يكونا ثابتين التركيبي الحوي، والصوتي، فان للمتحدث بالعربية ان يشتق مجموعة كلمات من مجموعة اصوات اللغة للتعبير عن شيء جديد ترتبط هذه الكلمات بما تعبر عنه بسبب، مع مراعاة قواعد القياس الصرفي، ثم يضع هذه الكلمات في جمل ثم يحول هذه الجمل الى جمل أحر مقدماً او مؤخراً، حاذفاً او... مع مراعاة قواعد القياس في التركيب على ما جاء عند العرب. فان الكلمات التالية مثلاً: عمان، اريد، الى، اليرموك، جامعة، يحضر، صباحاً، ليتعلم، محمد، من، في. تتنظم في جملة واحدة تبدأ بالفعل (يحضر)، يتبعه الفاعل (محمد)، يليه المكار الذي يخرج منه، ثم الذي يذهب اليه مع الروابط التي تشير الى البداية في المكان والنهاية فيه، لتصبح: (من عمان الى اريد)، ثم الزمان الذي يحضر فيه (صباحاً)، ثم العرض من المحصور (ليتعلم)، ثم المكان الذي يتعلم فيه مع الرابط الذي يشير اليه (في جامعة اليرموك)، لتصبح الجملة: يحضر محمد من عمان الى اريد صباحاً ليتعلم في جامعة اليرموك، ويمكن ان تحول هذه الجملة لتعبر عما في نفس المتكلم من اهمية لجره من اجزاها، فيقدم ويؤخر، ولكنها في كل مرة تعبر عن معنى فيه شيء من الاختلاف عما يسفه او يليه، من غير ان يفرح على مقتضى قواعد التقديم او التأخير في العربية في عصر معين^(١).

(١) انظر تفصيل القول في هذه النقطة في مقالنا في المجلة المربية للعلوم الاساسية عدد ٨ مجلد ٢، ١٩٨٢، درآي في بعض انماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، وانظر كذلك:

J. Greenberg, Some Universals of grammar With Particular reference to the order of meaningful elements, 1963. P. 78.

٤ - الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون: وضع النحاة القدماء عدداً من المصطلحات التي اخذت قتل ابواباً نحوية، وقد كان هدفهم من هذه الابواب او المصطلحات وصف اساليب اللغة وما تتضمنه هذه الاساليب من معاني، ولكنها انحرفت فيما بعد الى جزء واحد مما اهتم به النحاة وهو الحركة الاعرابية، وتمنن النحاة في اعطاء البررات لهذه الحركة، فوصفوا نظرية المامل، وقسموا الكلمات في الجملة الى عوامل وممولات، فما كان من الممولات لمامل مذكور ربط به، وان جاء على غير ما يعمل العامل احتالوا بمامل مقدر محذوف، او محذوف لا يجوز اظهاره او....، ولا غرض من هذا التقدير او التأويل الا تبرير الحركة الاعرابية ليس غير، وكثيراً ما يؤدي اظهار ذاك المقدر الى تغيير في المعنى الذي قصد به التركيب، فكان اهتمام النحاة بالمصطلح النحوي وتبرير الحركة أكثر من اهتمامهم بالمعنى، فأصبح هذا الاهتمام عند النحاة المتأخرين هدفاً يسمون اليه حتى إن من كان يستمع اليهم يناقشون النحو آنذاك لا يجد ما يميز به الا ما عبر به احد الأعراب الذين قدموا الى حلقة احد النحاة وسمعهم فقال: ما لي اراكم تتحدثون في لغتنا بشيء ليس من لغتنا.

وربما كان هذا هو الذي دفع عبد القاهر الجرجاني الى اعادة النظر في النحو الذي هو عنده التطبيق او النظم، والذي يضم عنده كذلك المعنى بالاضافة الى سلامة المبنى^(١)، ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة في ضوء ما يراه الجرجاني لقلنا: ضرب موسى عيسى صاحباً امام المسجد تأدياً له.

عيسى: هو الشخص الذي وقع الضرب عليه.

موسى: هو الشخص الذي اوقع الضرب على عيسى.

(١) وانظر: دلائل الاعجاز من ٣٧٦، ٤١٧ - ٤١٨.

وانظر فصل النحو بين الصناعة والمعرفة في كتاب قام حسان: الاصول.

ضرب: هو الحدث الذي اوقعه موسى على عيسى.

صباحاً: هو الرمان الذي اوقع موسى الضرب فيه على عيسى.

امام الميبد: هو المكان الذي اوقع موسى الضرب فيه على عيسى.

تأديباً له: هو الغرض الذي اوقع موسى الضرب له على عيسى.

ولا نطن الا ان القارئ قادر على تنظيم كلمات الجملة وربطها بالجزء الذي اراده عبد القاهر، وان لم تكن قد وضعت امامه مباشرة، في حين اننا لو اخذنا تحليل جملة قصيرة، فان امر اعادة الجملة في ضوء المصطلحات النحوية امر ليس باليسير:

: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

:فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى.

:مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

فاذا استطعنا ان نضم هذا التحليل الذي يضبط سلامة البنية الشكلية في الجملة الى ذاك التحليل الذي يحقق الوصول الى المعنى، فان امر الوصول الى المعنى الدلالي للجملة يصبح امراً ميسوراً، وامر الانصراف عن اعراب الجمل التي لا معنى لها مأموناً^(١).

هـ - الاقتصار في تقعيد اللغة وتقنيها على اللغة المكتوبة، بينما الأصل في اللغة ان تكون منطوقة، وبالمطلق يستطيع المتكلم ان يعبر بتركيب جلي واحد عن معاني متعددة، ولما كان النحاة قد اهتموا في تقعيد القواعد كل ما يتعلق بالنبر والتنظيم، نتيجة اعتقادهم على اللغة المكتوبة، فاننا لا نجد لهذين المنصرين اللذين اخذا يبرزان بوضوح في الدراسات اللغوية المعاصرة وبخاصة في الغرب، لا نجد لها اثرأ عند محاة العربية الا فيما يتعلق بالاستفهام محذوف الاداة، وان التعمتيم الى التسعم فيه غير منصوص عليه ولا اثر لاشارة مباشرة اليه.

(١) انظر: عناصر التحصيل، في النعم التالي من هذا الكتاب.

ومن نرى ان كثيراً من الاساليب النحوية واللغوية تقوم على النغمة الصوتية، او تلعب النغمة الصوتية فيها دوراً رئيساً، كما في الاستفهام والتعجب والانسكار والتهكم، والاختصاص والاعزاء والتحذير.... وسفصل القول في هذا في: التنعيم عنصر من عناصر التحويل^(١).

٦ - قدسية الكتاب النحوي، القدسية التي دفعت كل من يرغب في وضع مؤلف في هذا الميدان ليشر بضرورة السير على المنهج الذي سار عليه سلفه، بل وعليه ان يغالي في فلسفة المصطلحات النحوية وعملها واثرها في الشكل مع اهمال المضمون، وليت الامر قد توقف على كتاب سيبويه الذي لا تجد فيه من التعقيد ما تجده في مؤلفات المتأخرين، وليتهم اخذوا بقول من قال: من اراد ان يؤلف كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح، اذاً لما كان هذا العدد من المؤلفات والشروح وشروح الشروح، والهوامش والتعليقات والمواشي، وهي كلها في جوهرها تسير على منهج واحد، قائم على فكرة بعينها، وهي العامل وما يترتب عليه، ونرى ان الباحث في كتب النحو وشروحها من بعد سيبويه الى ابن هشام لا يجد اختلافاً كبيراً في المنهج، وان كان واجداً اختلافاً في المصطلحات النحوية التي يستعملها النحاة، مع ان الخليل - رحمه الله - لم يقصد لهذه القواعد ان تأخذ شيئاً من تلك القدسية، يقول: «ان العرب قد نطقت على سجيبتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله، واعتلت انا بما عندي.... فان سحت لفيري علة لما علمته من النحو هي البقي مما ذكرته بالعلول فليأت بها^(٢)»، ففتح بذلك الباب على مصراعيه لى شاء ان يبحث في المادة اللغوية التي جمعت في زمنه مطلقاً بالطريقة التي لا تخرج العربية عن المنهج

(١) وانظر K AMAIREH, «Various elements ascertaining meaning in Arabic Grammar» in Journal of Semitic Studies Vol. 26, No. 1.

(٢) الايضاح في علل النحو - الزجاجي، ص ٦٦.

السليم في تحقيق المبنى والمعنى أو الشكل والمضمون. وربما كانت هذه
الندسية للكتاب والنهج هي التي أدت إلى طمس المحاولات التي قام بها
بعض النحاة واللغويين، أو إلى طمس الآراء التي قال بها هؤلاء، بل
والى أبعد من ذلك، إلى رد آراء أهل الكوفة مع أنها في كثير مما قامت
عليه تسم بالوصفية ومحاولة إبراز ما في التراكيب من معنى اعتقاداً على
التقديم والتأخير والحذف والزيادة.... وغيرها.

الفصل الثاني

أعلام النخضة بالدرّيس اللغوي
في الغرب

•

قلنا ان الدراسات اللغوية قد دخلت مرحلة طويلة من الركود والبعد عن البحث العلمي الدقيق اذا استثنينا الدراسات اللغوية العربية التي قامت بجهود نقر لم يكونوا يعرفون الملل في سبيل خدمة كتاب الله، وقد كانت دراستهم، وستبقى، ماثلة شاهدة لهم بطول الباع في خدمة العربية بعامة والدراسات اللغوية بخاصة، غلت هذه المرحلة من الركود العلمي حتى كان عصر النهضة الاوروبية، فاتجه العلماء الغربيون لدراسة اللغات الشرقية، العربية والعبرية بخاصة، ومقارنتها باللغات المعروفة عندهم آنذاك كاللاتينية والفرنسية والانجليزية وغيرها، فبهزم ما وجدوه في العربية من تقدم في نظامي الأصوات والتراكيب، فيما تركه الخليل وسيبويه والعارابي وابن سينا وابن جني والمجرجاني. فتناولوا اللغة يبحثون فيها معتمدين على ما توصلوا اليه في نتائج البحوث السيكولوجية للوصول الى المعنى الذي يريده المتكلم، بالاضافة الى تركيزهم على الدراسات الوصفية القائمة على التحليل اللغوي الوصفي في انظمة اللغة الصوتية والصرفية والتوكيبية، وبمناهج جديدة مطورة، فشأت، عندهم في الدراسات اللغوية، مجموعة مدارس تختلف احداها عن الأخرى باختلاف وجهة نظر علماء كل مدرسة في تحليل الموضوع او البحث عن المعنى. وقد اعتمد مؤسسو هذه المدارس على افكار وآراء العالم السويسري دي سوسير الذي يُعد بحق المؤسس الأول لعلم اللغة المعاصر، وامام نخبة النهضة اللغوية الحديثة. وسنعرض هنا بآبار آراء هذا العالم وآراء ابرز العلماء الذين جاءوا بعده واعتمدوا على آرائه وكوبوا مدارسهم التي دفعت الدرس اللغوي الحديث الى الامام.

فردينا ندي سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣ م) F. De Saussure

ولد في جنيف سنة ١٨٥٧ م، وعاش حياته بين برلين، حيث التقى بعدد من أشهر العلماء الذين كانوا يبحثون في اللغة، وباريس حيث عمل مديراً للدراسات اللغوية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وحيث التي محاضراته في علم اللغة العام، المحاضرات التي جمعها تلميذاه Bally و Sechehay، ونشرها بعد وفاته بثلاث سنوات بعنوان *Cours de Linguistique Générale*، فتضمنت أهم آراء هذا العالم ومذهبه في دراسة اللغة، وتقوم على تقسيم اللغة الى مجموعة من الثنائيات: تقوم الاولى على ان السيميولوجيا حلقة من المؤسسات الاجتماعية قائمة على مجموعة من الاشارات، تنتظم في اطار ومنهج، وتمكن أفراد المجتمع من الاتصال فيما بينهم، وتقوم الثانية على تحديد العنصر الرئيس في اللغة ميدان البحث والدراسة، وهو القدرة على انتاج الكلام، قدرة منيئة من الخلفية السيكولوجية والسوسيولوجية والفلسفية عند المتكلم والمجتمع، وفي ممرز عن الدراسات التاريخية القائمة على البحث في اصل اللغات ونشأتها وتطورها. ثم يوظف سوسير هذا التحديد ليقارن بين اللغة بصفة عامة، والتي هي القدرة على انتاج الكلام باشارات رمزية، وكل لغة من لغات البشر على حدة، في وحدتها اللغوية وقواعدها وقوانينها من جهة، وبين الانتاج العردي للغة ما على لسان متحدث بها مع مراعاة هذه القواعد والفوانين، ومع عدم الخروج عليها بحال. وبدا تبرر نقطة ذات قيمة اكبر في مذهب سوسير، وهي التمييز بين اللغة والكلام، فاللغة - ويقوم علم اللغة بدراستها مهملأ الكلام - انتاج جماعي، وصعته الجماعة التي تستعمل هذا النمط من الاتصال الرمزي الاشاري في اذهان المتكلمين بها، فاحتُرنت في اذهانهم بالقوة، بدلائنها على ما تشير اليه، وبما احيطت به من أطر نفسية واجتماعية وحضارية وتاريخية. اما الكلام فهو الانتاج المحسوس الذي ينتجه الفرد

في المواقع المتعددة في حياته اليومية، أي أنه هو التجسيد المحسوس للغة، وهو النموذج الذي يقوم الباحث اللغوي برصده من عدد من الافراد في مجتمع يريد الباحث دراسة لغته، ليصل الى وضع قواعد وقوانين لتلك اللغة. وترتب على هذه النقطة كاملة نقطة اخرى في مذهب سوسير، وهي التفريق في دراسة اللغة بين مناهج التحليل التي تعتمد على وصف اللغة في زمن محدد Diachronic Grammar لابرار اهم خصائصها ولرصد قواعدها وقوانينها وكيفية انتظام مبانيها الصرفية والتركيبية. والمناهج التاريخية Synchronic التي تبحث في اللغة في عصور تاريخية متلاحقة متتابعة لابرار التطور والتغير الذي يجري على اللغة بمرور الزمن. وهنا تلتحق نقطة اخرى من نقاط نظرية سوسير السابقة عليها، وهذه اقتضت ما يترتب عليها، وهاتان: ان دي سوسير يرى ان الرمز اللغوي رمز محسوس اعتباطي اجتماعي متوارث له صورة سمعية (لنا هو منطوق)، واخرى ذهنية يرتبط بها الرمز فتشير الى مدلول اجتماعي، وبذا فالرمز اللغوي يختلف عن غيره من الرموز التي لا تعتمد على النطق وان كانت ترتبط بمدلول ذهني اجتماعي. ويرى كذلك ان للغة بُعدين تقوم عليهما: البعد الخارجي، وهو الشكل، ويرتبط بأطر خارجية تتصل بالمجتمع وتاريخه، وبموقعه الجغرافي، وبإنتاجه الادبي وصراعه السياسي، وغير ذلك. والبعد الداخلي، وهو الجوهر أو المضمون، وهو الذي يمثل النظام الذاتي الدقيق للغة. ويعتمد هذا البعد على ان الوحدات التي تكوّن اللغة تكتسب قيمتها الدلالية اللغوية بتمييزها عن بعضها اعتماداً على ما فيها من فروق.

ظلت آراء دي سوسير التي نشرت في كتابه *Course in general Linguistics* موضع اهتمام العلماء الذين جاءوا بعده فضلاً عن أولئك الذين عاصروه، بين منتقديه براء قد خرج على افكار المنهج التاريخية وحطتها السائدة آنذاك، أو أنه ما زاد على ان اشار الى بدعيات

معلومة معروفة، كالرمز اللغوي، واعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول دون أن يضع لها تفسيراً علمياً دقيقاً مقصداً. ومادح يرى في هذا الخروج قيمة تجديدية ارمى بها صاحبها معالم مدرسة جديدة في الدراسات اللغوية الوصفية، وكان من بين هؤلاء وأولئك كبار علماء العصر: جاكسون وترويتسكوي وبلومفيلد ومي وجسبيرسن وبيشنيست، ومن العلماء من نظر الى آراء سوسر نظرة اعتدال، فرفضوا اعطاء حكم، بحجة عدم امكان الاعتماد على الكتاب المذكور Course لمعرفة آراء سوسر ومذهبه اللغوي، اذ أن هذا الكتاب ثم اصلاً يجمع اعمال سوسر على تلاميذه من ١٩٠٦ - ١٩٠٨ م، وليس هناك من سبيل لتوثيق نصوص هذه المحاضرات التي لم يُمَثَر على مسوداتها بعد رحيل صاحبها. ونسباً بصدد مناقشة هذا الرأي الذي فنده العلماء العرسيون بالتفصيل وردوا عليه.

ادوارد سابير (١٨٨٤ - ١٩٣٩ م) Edward Sapir

ولد في لاوتبورغ، ثم سافر الى الولايات المتحدة وهو طفل صغير، مدرس في نيويورك، ثم التحق بجامعة كولومبيا حيث درس اللغة الجرمانية، ثم اهتم اهتماماً كبيراً باللغات الهندو - اوروبية، فتعلمها وبحث فيها، بتوجيه من العالم الامريكي بواس F. Boas، العالم المعروف في ميدان السلالات البشرية، فاصبحت هذه اللغات هي ميدان تخصص سابير فيها بعد، ثم انتقل من كولومبيا الى جامعة كاليفورنيا، ثم الى جامعة بنسلفانيا حيث زاد اهتمامه باللغات الهندية، وحيث زاد عدد القبائل الذين علم لغاتهم، ومنها اليانا Yana، والبايوت Baiute، والنوتكا Nootka، والاثاباسكان Athabaskan وغيرها.

وبعد ان كانت مواهبه قد صقلت واتسعت ثقافته اللغوية والادبية والتاريخية كتب كتابه الذي اشتهر به وعرف اكمالو لم يكتب غيره، Language, New York, 1921، وبعد هذا الكتاب بحق احد الكتب

الرئيسة والدعامات الاساس التي قام عليها علم اللغة المعاصر، وبه يُمد ساير احد مؤسسي علم اللغة المعاصر في الغرب بعامة، وفي الولايات المتحدة الامريكية بخاصة.

يتحدث ساير في هذا الكتاب عن عدد من البنود اللغوية الهامة. فيتحدث عن الفونيم او ما يسميه الأطر الصوتية او التهاذج الصوتية Sound-Patterns، ويرى ان في كل لغة نظاماً داخلياً محدوداً يوازي النظام الصوتي فيها، يصل اليه الباحث او الممثل اللغوي بتحليل متعدد الخطوات، معتمداً على الفروق الصوتية ذات الصفات المميزة، وذات القيمة السيكولوجية الدلالية اللغوية Points in the Pattern، مما جعل العلماء فيما بعد يعدونه من اصحاب المذهب السيكولوجي، الذي يعتمد في فهم الفونيم على الشعور اللغوي لدى المتكلم وعلى وعيه لما يقول، خلافاً لما كان سائداً عند الباحثين قبله، من ان الاصوات ترتبط من حيث تطورها وصفاتها باطار مادي آلي.

وسنحاول هنا ان نأخذ عدداً من النقاط الهامة في نظريته، نستخلصها من كتابه Language، ونحدث عنها بإيجاز. يتحدث ساير عن نقطة قد تعد من النقاط الجديدة التي ادخلها في البحث اللغوي ولم تكن موضع اهتمام من قبل، وهي تمييزه بين الشكل اللغوي والمضمون، فيحصر الشكل في النظم النحوية من القواعد والقوانين التي تضبط تتابع المباني الصرفية (الكلمات) في الجملة، ورصد ما يجري على هذه المباني من تغيير في حروفها واشتقاقها وانتقالها من قسم صرفي الى قسم صرفي آخر بالتبر وغيره. ويرى ان لدى المتكلم قبل ان يتكلم فكرة (شيئاً يقوله)، فيعتمد الى توظيف الشكل (الكلام المنطوق) لنقل هذه الفكرة، وهنا تأتي مهمة اللغوي - فيما يرى ساير - بان يتجه لدراسة الشكل اللغوي المنطوق (الكلام) القائم على نظام القواعد في اللغة (النظام النموذجي الحقيقي في اللغة)، النظام الذي يتكون نتيجة

استعمال الامة في تاريخها الطويل، وفي مسيرتها الثقافية والحضارية، فأصبح ميراثاً جماعياً يتوارثه جيل عن جيل، وهو الذي يكون اللغة. فهي وسيلة مبتدعة مكونة من نظام من الرموز لنقل الافكار والمشاعر والرغبات والانفعالات لدى المتكلمين بها.

ان اهتمام ساير بالشكل اللفوي، بالإضافة الى ثقافته الواسعة ومعرفته العميقة باللغات الهندو - أمريكية، كون لديه وجهة نظر في التصنيف التوبولوجي للغات، بصرف النظر عن فكرة المجادها او تقاربها في اسر في مرحلة مبكرة من نشأتها الاولى، كما في اللغات السامية، مثلاً، عند الباحثين. لأن تصنيف اللغات في اسر - كما يرى ساير - يقوم على ثنائ مورفولوجي لا يكفي لأن يكون قاعدة للحكم بهذا الاتحاد أو بهذا التفارب.

ويتحدث ساير في كتابه Language، عن التطور السيكلوجي للغة، فيرى ان اللغة تتطور تطوراً داخلياً محدداً يتم بتطور الافراد الذين يتكلمون اللغة، فيتحركون نحو الانتقال والتطور حركة سيكلوجية غير واعية، وغير ارادية، قد تفودهم الى مرحلة تاريخية سابقة من مراحل لغتهم، وبحركة هؤلاء الافراد (الحركة السيكلوجية غير الواعية) يتم تطور اللغة بعمامة. وهذه البقعة بخاصة قادته الى وضع فرضية - مع تلميذه بيامين لي وورف - يريان فيها ان اللغة والمكر يرتبط احدهما بالآخر ارتباطاً لا سبيل الى فصله، فاللغة: هي التنظيم المثالي الداخلي الذي يفرض على المتكلم تصوراً ورؤية لما يحيط به في العالم الخارجي. غيرى المتكلم ما حوله عبر لغته، وان الاختلاف في تصور الافراد لما يحيط بهم من العالم حولهم، مرده الى الاختلاف في اللغات التي يستعملها، والتي هي مختلفة فيما بينها بما تحمله كل لغة في طبيعتها من إرث اجتماعي ثقافي تراكم فيها وفي معاهم أبحاثها من جيل الى جيل، فيسطلق أبناء كل لغة في تفكيرهم فيما يعرض لهم من قصايا، من

لعمتهم ، واللغات مختلفة متباينة ، فلا بد اذاً من وجود اختلافات فيما بين مستعملي اللغات .

ظلت أفكار ساير سائدة في امريكا على الرغم مما قد وجه اليها من انتقادات ، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الذهني والحدس . ظلت سائدة بفعل قوة تأثير صاحبها على تلاميذه الذين حملوا هذه الافكار وطوروها ، ومن اشهرهم Kenneth L. Pike و Benjamin Lee Whorf ، ولكن ما ان توفي ساير سنة ١٩٣٩ م حتى ظهرت افكار معاصره E. Bloomfield بقوة ، فاستطاع هذا ان يستقطب عدداً من الباحثين والدارسين ، وان ينشر افكاره حتى اصبحت الاطار الرئيس للدرس اللغوي ، واصبح هو رعيم المدرسة اللغوية في امريكا .

ليونارد بلومفيلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩ م) L. Bloomfield.

ولد في شيكاغو عام ١٨٨٧ م ودرس فيها المرحلة الجامعية الاولى ، ثم انتقل الى هارفرد ، حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٠٦ م ، وبعدها انتقل الى جامعة شيكاغو ، حيث تخرج فيها بدرجة الدكتوراه عام ١٩٠٩ م ، ثم عين في جامعة مينسافي ثم في جامعة الينوي ، ثم عمل في عدد من المؤسسات التعليمية في اوروبا وامريكا الى ان استقر به الحال استاذاً للغة الالمانية في جامعة شيكاغو ثم في يال في المدة بين ١٩٤٠ - ١٩٤٦ م حيث اميب بمرضه الذي ابعده عن العمل الاكاديمي الى نهاية حياته سنة ١٩٤٩ م .

اهتم بلومفيلد باللغة السنسكريتية بالاضافة الى اهتمامه باللغة الالمانية ، ومعرفته باللغات الهندية ، مما كان له الاثر الكبير في بناء نظريته . وبخاصة معرفته بالسكربتة التي كان يرى فيها قدم هيا من بحوث ودراسات ، على يد النحوي القديم بانيني Panini الاسس الرئيسة واليدور الاولى لما يسمى بعلم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics

ألّف بلومفيلد كتاباً نشره سنة ١٩١٤ م بعنوان
Language, Introduction to the study of language, New York,
 1914. ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب في ميدان الدراسات اللغوية
 المعاصرة، وحلقة لا يستغنى عنها الباحث اللغوي، فهو يسير فيه في
 حقل يختلف عن خط زميله وصديقه ساير الذي اعتمد على علم النص
 اعتقاداً كبيراً في بناء نظريته، فيبدي بلومفيلد في كتابه هذا نزعة
 ليست على وفاق مع علم النفس^(١) إذ أنه أراد أن تدرس اللغة دراسة
 علمية، يعتمد الباحث في دراسته الظواهر اللغوية على تحليل العناصر
 المكونة الموجودة في تراكيب النص الذي يراد تحليله تحليلاً علمياً،
 وليس اعتقاداً على الحدس أو التخمين الذي هو من قصايا علم الأعصاب
 والفيزيولوجيا، ولا علاقة للباحث اللغوي فيه، فميدان اهتمام اللغوي هو
 ما يراه من الرموز الحسية المادية المطبقة، لذا عليه أن يدع
 المصطلحات التي لا تزيد البحث اللغوي إلا تعقيداً وُبعداً عن التحليل
 السليم، كالصور والاحساس والفكر... وما هو غير ارادي وغير ظاهر،
 فهذه المصطلحات تتجه بالباحث اللغوي نحو تفسير الظواهر اللغوية
 عبر فرضيات سيكولوجية فلسفية غامضة في ذاتها، مضللة أن اعتمد
 عليها، بل ويرى أن عكس ذلك هو النهج السليم في التحليل العلمي،
 فحاجة عالم النفس إلى الرموز اللغوية المادية أكبر من حاجة اللغوي إلى
 ما يسببه علم النفس من تشويه وإفساد للنص اللغوي بما يفترضه من
 تصورات سيكولوجية يصممها الباحث في ذهنه قبل محاكمة النص أو
 دراسته. وقد انعكس موقف بلومفيلد في هذه القضية على موقعه من
 الفويم الذي عدّه ساير - كما ذكرنا سابقاً - ميراً يعتمد على

(١) وانظر. L. Bloomfield, *Asst of Postulates for the Science of Language*,

Language, Vol. 2, 1926.

L. Bloomfield, *Secondary and Tertiary Responses to Language*, *Language*,

Vol. 20, 1944.

الافتراضات السيكلوجية، فيرى بلومفيلد ان الفونيات تنظم في سلسلة الكلام ويتم التمييز بينها عن طريق المقابلة بين عناصرها المتأثلة وغير المتأثلة في المورفيمات التي تنظم فيها، مكونة بذلك العنصر الرئيس في تمييز المعاني الدلالية التي يرتبط فيها الصوت - فيا يرى - بدلالة لعوية معينة، ينتقل منها إلى معنى دلالي آخر في تركيب مورفولوجي جديد. وقد قاده هذا التفكير الى ما يسمى بالمكونات المباشرة او الاولية، والمكونات النهائية للتركيب الجملي. فالمكونات المباشرة هي في حقيقة الامر المباني الصرفية التي تتكون منها الجملة، فمثلاً:

أكرم رئيس الجامعة الطلاب.

مكونة من: أكرم + رئيس الجامعة + الطلاب.

وكل عنصر من هذه مكون من مورفيمات أقل منه، كما يلي:

أكرم +

رئيس الجامعة = رئيس + الجامعة = رئيس + ال + جامعة +

الطلاب = ال + طلاب.

ويبدو ان هذه الفكرة في نظرية بلومفيلد قد وجدت قبولاً كبيراً، فاعتمدها هاريس في نظريته التوزيعية، وتشومسكي في إحدى طرقه في تحليل النصوص، المسماة باعادة الكتابة او تحليل الشجرة.

وهناك نقطة في نظرية بلومفيلد جديرة بالاهتمام، بل وتعد من أهم النقاط التي تقوم عليها نظريته السلوكية، وهي ان اللغة نتاج آلي واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وقد عبر عنها بقصته الشهيرة عن جاك وجيل، يسيران في حديقة، فتشعر جيل (الفتاة) بالجوع او الرغبة في تفاحة تراها على الشجرة، فتصدر اشارات صوتية يفر على أثرها جاك (الفتى) متسلقاً الشجرة ويأتي لها بالتفاحة لتتناولها وتأكّلها

حادثة اليال!!! ففي هذه القصة عدد من الجوانب التي تثير اهتمام الدارس، ولكن الباحث اللغوي لا يهتم بالعمليات النفسية (الخافز الداخلي) السابقة على عملية الكلام واصدار الاشارات الصوتية، ويهتم بالحدث الكلامي والتصرف السلوكي الذي ترتب عليه، لأن اللغة عنده سلسلة من الاستجابات الكلامية لخافز ليست ميدان بحث الباحث اللغوي، اغا ميدانه الحقيقي هو دراسة التصرف الكلامي ليس غير، يصف ما فيه من فونيات ومورفيات توزع في اطار جلي، وبذا فانه يتجنب الخوض في المعنى الدلالي للنص اللغوي المدروس، لأنه يرى ان المعنى الدلالي هدف ليس من السير تحقيقه بما هو موجود من سبل المعرفة آنذاك.

ظلت آراء بلومفيلد التي جاءت في كتابه Language، وما نشره في عدد من المقالات في مجلة Language، هي الآراء السائدة في المجتمع الأمريكي وأوساطه العلمية في النصف الأول من هذا القرن، حالاً بذلك محل سابر، وناقضاً افكاره ونظريته الذهنية، فاتبع عدد من تلاميذ سابر آراء بلومفيلد وافكاره، واخذ عدد من الباحثين الذين جاءوا بعده بآرائه او بقسم كبير منها، سواء اذكروا ذلك ام لم ينصوا عليه صراحة.

زيلغ سابيقي هاريس (١٩٠٩ -) Zellig Sabbetal Harris
ولد هاريس سنة ١٩٠٩ م في روسيا، ثم قدم الى الولايات المتحدة وهو طفل صغير، في سن الخامسة من عمره، التحق بجامعة بنسلفانيا حيث حصل على الدرجة الجامعية الأولى عام ١٩٣٠ م، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب من الجامعة ذاتها سنة ١٩٣٢ م، ثم تقدم باطروحته للدكتوراه عن قواعد اللغة الفينيقية، وحصل على الدرجة سنة ١٩٣٤ م، ثم عين للتدريس في الجامعة ذاتها الى أن انتقل الى جامعة فيلادلفيا، ثم عاد للتدريس في بنسلفانيا حيث يقوم بحام

التدريس الى ايماننا هذه. وحيث التقى بتلميذه اللغوي ذائع الصيت، صاحب النظرية التوليدية التحويلية، تشومسكي.

كتب هاريس عدداً من الأعمال في علم اللغة، يأتي على رأسها كتابه الذي يعد للؤلؤ الرئيس في علم اللغة التوزيعي *Distributional Linguistics*، وهو *Methods in Structural Linguistics*، وبسببه ظهر هاريس صاحب مدرسة جديدة خارجاً على أفكار بلومفيلد الذي كان هاريس يُعدّ أحد أتباعه في السير على المنهج الوصفي، ويبدو أن هاريس كان يرى أن هذا المنهج الجديد (التوزيعي) الذي اخذ يدعو له، لم يكن يصلح لحل كثير من قضايا اللغة، ولكنه لم يصرح بذلك، لذا فقد عدل فكرته هذه، واتى بفكرة جديدة تأثر بها تلميذه تشومسكي، وربما كانت البذرة الأولى في النحو التحويلي، فنشر مقالة بعنوان *Transformer Grammar* سنة ١٩٥٢ م في: *International Journal of American Linguistics, Vol. 20*، ويتحدث فيها عن استعمال الرموز لتحليل الجمل، بأن يرمز الى ما في الجملة من مبانٍ صرفية برموز تيسر امر تحليلها، ثم يتحدث فيه عن الجملة التوليدية، وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها، فتداخلت بذلك آراء الاستاذ بآراء التلميذ، وزاد التلميذ آراءه تطويراً، فطفت على آراء استاذه، فنسبت النظرية التوليدية التحويلية للتلميذ، وعرف بها وعرفت به، بصرف النظر عن وضعها أولاً. ولعل من الموامل التي ادت الى عدم توصل هاريس الى النظرية التوليدية التحويلية مبكراً هو تشتت فكره بين اتباع منهج بلومفيلد الوصفي، ومحاولته هو ذاته للوصول الى المعنى باتباع المنهج التوزيعي الذي اوجده.

يرى هاريس انه بالتمييز بين معاني المباني الصرفية يتم تحديد المعنويات اللغوية، مثلاً، في العربية، للتمييز بين القاف، والجيم، والنون، ينظر في المباني الصرفية التالية، والى ما تؤديه المعنويات

السابقة، من تغيير في المعنى: جال، قال، نال، وهذه الطريقة يرى هاريس أن التمييز بين الفونيات أمر أصعب، وأكثر دقة وعلمية من التحدث عن الفونيم على أنه وحدة صوتية لها صفاتها الخاصة بطريقة مجردة بعيدة عن التطبيق اللغوي، والربط بالمباني الصرفية للغة والمونيم عنصر تألف مع فونيم آخر لتكوين مبنى صرفي، ثم يألف هذا مع غيره من فنته لتكوين المرتبة العليا في التألف اللغوي، وهو التركيب الجملي، الذي هو مصب أخير للمستويات المونولوجية والمورفولوجية، وهو عايتها، ومن ثم يتم ارتباط التراكيب الجمالية ببعضها في نص أدبي، فيكون سلسلة لغوية ليس من اليسير فهم حلقة فيها (الجملة) إلا بربطها بغيرها من جل النص، وبخاصة بربط الجملة بجملة أخرى لتكوين النواة، فالنواة - عده - علاقة بين جملتين ترتبطان ارتباطاً معنوياً تدور جل النص حوله، ويتم ارتباطها ببقية الجمل بطلاقات معينة، وهذا هو معنى التحويل، خلافاً لمعنى التحويل عند تلميذه زعيم المدرسة التحويلية المعاصرة، والذي سعرض آراءه عند حديثنا عنه بعد قليل.

قلنا أن هاريس يعتمد على توزيع الفونيات في المباني الصرفية، جال، قال، نال.... الخ، لإبراز القيمة الخلافية بينها، ولتعدّ المعيز الذي يؤدي الدور الرئيس في بناء الكلمة. فعلى الرغم من اعتقاده النظرية التوزيعية مستمداً كاستاذ واستاذ الجيل السابق عليه، بلومفيلد من السيكلوجية والاقتراب من دراسة اللغة دراسة علمية بعيدة عن الحدس والتخمين، على الرغم من ذلك، إلا أن هاريس أقرّ عند التطبيق بأن المعنى هو الذي يحاول المتكلم وكذلك السامع والمحلل اللغوي أن يصلوا إليه، فهو أمر وثيق الصلة بالتركيب اللغوي، ولا سبل للتغاضي عنه والاكتفاء بوصف توزيع الفونيات أو المورفيمات في الجملة^(١). وعلى الرغم من أن هاريس يعد الصلة من النية الشكلية

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة انظر:

Harris, Methods in Structural Linguistics, PP. 187, 188-194.

للجملة ، ومعناها ، صلة وثيقة يترتب فيها التالي على الاول ، وان المعنى ليس بالعنصر الرئيس في تقسيم الجمل وتوزيع مفرداتها ، متأثراً بآراء بلومفيلد التي ترى ان المعنى هدف بعيد المنال ، وان الانصراف للجري وراءه يقود الباحث الى متاهات لا تزيد البحث الا تعقيداً ، على الرغم من ذلك ، الا انه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى في ذهن المتكلم ، والمورفيات التي يستعملها ، والتركيب الجملي الذي تنظم فيه هذه المورفيات^(١) ، انتظاماً توزيعياً .

مع أن كثيراً من جوانب مدرسة هاريس قاصرة في اعطاء الحلول للجمل وكيفية تحليلها ، او حتى في اعطاء المعنى الجملي الواضح لفكرة التوزيع ودورها في التركيب والمعنى ، إلا أنها سمحت لتشومسكي بالتفكير على هديها في وضع محاولته التوليدية التحويلية . ولا شك ان للصلة الوثيقة بين تشومسكي وهاريس ، الصلة التي أتاح لها مناقشة آراء مدرسة استاذة بعمق ، الاثر الكبير في تطوير افكار تشومسكي ووصولها الى ما وصلت اليه ، فقد اخذ تشومسكي من استاذة فكرة الجملة النواة والتوليدية^(٢) ، وقواعد التحويل وقوانينه ، وقدرة المتكلم على ادراك الخطأ من الصواب فيما يسميه Competence ، وفوق ذلك كله اخذ عنه منهج التحليل بالرموز ، فحدد تشومسكي هذه المصطلحات و اضاف اليها وطورها حتى كوّن مدرسته التي لها اسمها وقواعدها وقوانينها .

(١) السابق .

(٢) انظر

Harris, Co-occurrence and the transformation in Linguistic Structure, Language, Vol. 33, 1957

Harris, The Transformational Model of the Language Structure, Anthropological Linguistics, 1959.

Harris, Mathematical Structure of Language, New York, 1962.

Harris, String analysis of Sentence Structure, Mouton, 1965.

نوم تشومسكي (١٩٢٨ -) Noam Chomsky

ولد تشومسكي في فيلادلفيا سنة ١٩٢٨ م، ودرس المرحلة الجامعية الاولى في بنسلفانيا، ثم حصل على درجة الماجستير من الجامعة ذاتها سنة ١٩٥١ م ببحث قدمه عن اللغة العبرية الحديثة، ثم حصل على درجة دكتوراه سنة ١٩٥٥ م من الجامعة ذاتها ببحث يحمل العنوان: *The Logical Structure of Linguistic Theory* «البنية المنطقية لنظرية اللغوية». ولم تنحصر معلومات تشومسكي على ما حصل عليه في قاعة الدرس عن علم اللغة، فقد درس الرياضيات والفلسفة والمسطق الصوري وعلم اللغة التاريخي، وقد كان لهذه العلوم اثرها الواضح على تفكيره في بناء نظريته. وقد كانت دراسته العبرية وتاريخ اللغات على ابيه الذي كان استاذاً للعبرية.

شغل تشومسكي نفسه في مختلف مراحل تعليمه الجامعي بالسياسة، وكان له موقف ماهر للسياسة الخارجية لدولته وتدخلها في شؤون الدول الصغيرة التي تكافح من اجل استقلالها، وكان لهذا النشاط السياسي اثره الواضح في حياته العلمية، اذ قربه هذا من نخبة من المفكرين والعلماء الذين اخذ يناقش معهم افكاره العلمية بالاضافة الى مبادئه السياسية، وان يطلع على افكارهم وآرائهم، فصنل بذلك فكره واشتد عوده، وكان من بين العلماء الذين تأثر بهم في حياته العلمية، استاده هاريس، الذي قربه منه واطلمه على افكاره، وازال ما بينها من علاقة رسمية تربط الطالب عادة باستاذ، ففدا تلميذه ورميله وصديقه الذي يطلع على ما نشر استاذه وما لم يشره من اعمال، مكتوبة وغير مكتوبة.

التحق تشومسكي بجمعية الرفاق Society of Fellows سنة

١٩٥٠ م، وفي سنة ١٩٥٤ م انتقل الى معهد ماستشوست للتكنولوجيا M.I.T. حيث ما يزال على رأس عمله.

شر تشومسكي كتاباً سنة ١٩٥٧ م بعنوان Syntactic Structure «التركيب النحوية»، وهو الكتاب الذي يُعدُّ النواة الأولى للنظرية التي تشغل المعاهد العلمية، والباحثين اللغويين في الغرب والشرق «التوليدية التحويلية» Generative Transformational Grammar، يؤكد المؤلف في هذا الكتاب استقلال علم اللغة (الألسنية الحديثة)، استقلالاً تاماً في ميدان الدراسة عن كل ما يمكن أن يمتد في الوصول إلى هدف كل من المتكلم والسامع والباحث اللغوي، فهو علم مستقل عن غيره من العلوم على الرغم مما يبدو من الصلات الوثيقة بينه وبين المنطق والفلسفة والرياضيات، وما هذه الصلة إلا ليفيد منها عالم اللغة في تحليل الأمثلة اللغوية وتحليلها وتوضيحها، وللوصول إلى ما في اللغة من أمور بديهية يحتاج إليها الدارس.

جاءت أفكار تشومسكي في هذا الكتاب ثورة عنيفة ثائرة على أفكار بلومفيلد التي كانت تسود في أوساط العلماء والباحثين والدارسين آنذاك، والتي كانت ترسي دعائم المذهب السلوكي والمنهج الوصفي البنائي، الذي يعتمد في تحليل الصوت على الموقع (موقع الكلمة في الجملة)، وعلى التوزيع الفونولوجي والمورفولوجي، أي على المستويات اللغوية الأربعة: الصوت والصرف والتركيب والدلالة. وتعتمد كذلك على سلوك السامع وتصرفه بالإضافة إلى النص ذاته، دون اهتمام بالتكلم أو بدوره في إنتاج الكلام، على غير ما يراه أصحاب المدرسة الدهنية ورعيها E. Sapir، فيرى تشومسكي أن النظرية اللغوية يجب أن توجه إلى تحليل مقدرة التكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى فهمها وإدراك الصواب من غير الصواب قياساً على قوانين النحو في اللغة التي يتكلمها، ويجب أن توجه كذلك إلى وضع القواعد التي تحدد كيفية إنتاج اللغة، التي هي ميدان بحث اللغوي. فيرى تشومسكي في كتابه «التركيب النحوية» أن على الباحث اللغوي أن ينصرف إلى

وضع القواعد الرئيسية في التراكيب الجمالية الاصول، وفي معزل عن المستوى الصوتي وعن المستوى الصرفي، لانها يعتمدان على عدد محدود من الرموز (الفونيات والمقاطع والمورفيات) لتوليد عدد غير محدود من الجمل. ويرى، كذلك، ان على الباحث ان يعمل على الوصول الى ما يسميه «حدس المتكلم»، للوصول الى معنى التركيب اللغوي، وليس كما يرى الوصميون البنائيون في اعتمادهم على الوصف الموضوعي الشكلي للتركيب الجملي. وقد قادت هذه النقطة بخاصة تشومسكي الى نقطة رئيسية جديدة في نظريته، وهي التفريق بين ما يسميه «Competence» الكفاية، وما يسميه «Performance» الأداء، ثم راد على هذه المصطلحات مصطلحين آخرين ربطهما بالكفاية وبالأداء، وهما Deep Structure البنية التحتية او العميقة، وSurface Structure البنية السطحية، وبين ان لهذه وتلك مجموعة من القواعد والقوانين تتحكم في مبناها ومعناها، وهذه القواعد هي قواعد التوليد والتحويل Generative and Transformational Rules، وسنعرض فيما يلي اهم الاسس التي قامت عليها نظرية تشومسكي، اعتقاداً على ما جاء في كتبه ومقالاته وبخاصة:

- 1) Syntactic Structure 2) Aspects of the theory of Syntax
- 3) Language and Mind 4) Current Issues in Linguistic Theory
- 5) Topics in the Theory of Generative Grammar.

أسس النظرية التوليدية التحويلية.

منذ سنة ١٩٥٧م، اي منذ نشر تشومسكي كتابه Syntactic Structure، أصبح زعيماً للمدرسة اللغوية في الولايات المتحدة الامريكية، فقد تجرأ على نقد مدرسة بلومفيلد بخاصة، نقداً قوياً ادصب على اهم الاسس التي تقوم عليها، ليشيء على انقاضها مدرسته

التي تحمل افكاراً تناقض افكار بلومفيلد في كثير من الجوانب، وان كانت تأخذ عنها او تلتقي معها في بعض النقاط، وكان جل نقد تشومسكي ينصب على الجوانب السلوكية في نظرية بلومفيلد وفي آراء السلوكي المشهور سكر الذي كان له أثره في النظرية اللغوية.

يبدو ان النقطة الرئيسة في نظرية تشومسكي، والتي قادت تفكيره الى ما تبعها من افكار، هي فكرة العنصرية اللغوية في ذهن الانسان، متحداً ايها من المقابلة بين الانسان وغيره من الحيوانات، فالانسان غير السوي - فضلاً عن الذكي القادر - يستطيع انتاج الجمل والتعبير عما في نفسه، في حين ان اذكى الحيوانات واكثرها تدريباً وتقبلاً لما يعلمها الانسان، لا تستطيع ذلك. وما جمل تشومسكي يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام، وفي انتقاله الى تعلم اللغة، فالطفل يبدأ في سن معينة (سنة او اثنتين) انتاج الجمل، وما ان يصل الى سن معينة (السابعة مثلاً) حتى يكون قادراً على التعبير عما في نفسه بمدد كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، وقادراً ايضاً - الى حد معين - على ادراك السليم من الجمل التي يسمعها من غير السليم، ويأتي الى المدرسة في هذه السن ليتعلم كيف يكتب ويقرأ، وليس كيف يولد جلاً. وما هو جدير بالذكر هنا ان تشومسكي قد تأثر في هذه النقطة، بخاصة بما قاله الفيلسوفان: الفرنسي ديكارت (١٦٥٦ - ١٦٥٠ م) الذي كان يرى ان الانسان يختلف عن الحيوان في أن له عقلاً، وان اهم خصائص هذا العقل انتاج اللغة، وهذه نقطة معروفة عند أصحاب المذهب العقلي. والألماني هومولت (١٧٦٧ - ١٨٣٥ م)، الذي يرى أن اللغة نتاج العقل، وهي الصوت المطوق الذي يعبر به المتكلم عن فكرة، وهي (اللغة) نتاج عدد من العمليات الخلقة العضوية غير الآلية، تتم في الدهن، ويظهر أثرها على السطح الخارجي بالأصوات والكلمات والجمل،

وبها يتم التفاهم بين المتكلم والسامع.

قلنا إن فكرة النظرية اللغوية في نظرية تشومسكي، تمثل حجراً أساساً يعتمد عليه المبنى كله، فقد قادت هذه الفرضية إلى فرضية أخرى تتعلق بها، وهي أن هذه النظرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية «القواعد الكلية» التي تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، والتي هي كلية شمولية عالمية Universal، متساوية عند بني البشر، تكون في الإنسان منذ ولادته ويسمى بها Linguistic Acquisition Device، وهي فطرية - تولد مع الإنسان ثم يقوم بملئها بالتمايز اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضح وتتقوى بالتدريج، وكلما اكتسب الإنسان ما يلائم به هذه الكليات الفطرية، ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه، في جزئية منها، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبناءها مضبوطة بقواعد وقوانين تسمى القواعد التوليدية Generative Rules، فليس الأمر - فيما يرى تشومسكي - اكتساباً كما يراه السلوكيون يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولد صفحة بيضاء، فيسمع صاحبه (الطفل) أصواتاً يقلدها، ثم تشير هذه الكلمات إلى معانٍ ترتبط بها في ذهنه (دالٍ ومدلول)، ثم يكتسب قدرة على تركيبها في جمل، ويصبح لهذه الجمل والتركيب معانٍ هي في جملتها مأخوذة من معاني المفردات ودلالاتها، إذاً، فالقواعد والقوانين النحوية المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها فطرية ذهنية كلية «عالمية»، وهي التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملاً لغوية أو غير لغوية. Grammatical or Ungrammatical Sentences، يدركها المتكلم والسامع المثالي في لغة معينة Native Ideal Speaker-hearer، ويسوق مثاليه المشهورين:

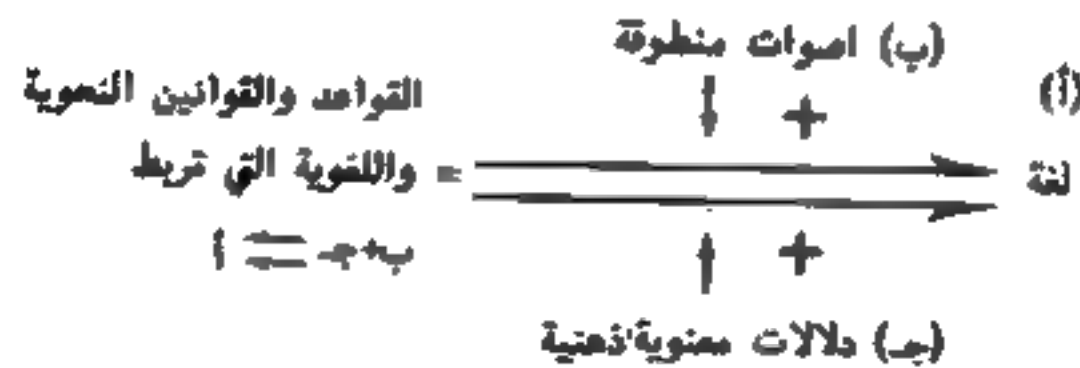
1) Colourless green ideas Sleep Furiously,

فهذه الجملة يدرك المتكلم - السامع الانجليزي بأنها بلا معنى، ولكنها تنتظم كلها طبقاً لقواعد اللغة الانجليزية. ويدرك أن الجملة:

2) Furiously sleep ideas green colourless

جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقاً لقواعد النحو في اللغة الانجليزية، فليست جملة نحوية.

وقد ترتب على هاتين الفرضيتين (المطرية والشمولية) فرصة اخرى تبرز في المصطلحين التاليين: الكفاية Competence، والاداء Performance، فالكفاية تكون في امتلاك المتكلم - السامع Ideal Speaker-hearer القدرة على انتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من العوابع الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمها من وجهة نظر نحوية تركيبية - كما ذكرنا قبل قليل - ثم القدرة على الربط بين الاصوات المنتجة وتجميعها في مورفيات تنتظم في جمل، القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية، يتم التنسيق بينها بما يسمى «قواعد انتاج اللغة»، فمثلها كما يلي:



وهذه القواعد والقوانين وتلك القدرة كامتتان في الذهن، واما استعمالها (اي استعمال اللغة) فيسمى الاداء Performance، فالاداء هو الكلام او هو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيات ومورفيات تنظم في تراكيب جملة خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة، والمسؤولة عن تنظيم هذه المونيات والمورفيات في تراكيبها. فهو (الاداء) الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة، ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكماية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، او ذهنية نفسية اجتماعية... الخ.

وقد ارتبط بهاتين الفرضيتين فرضيتان احريان في نظرية تشومسكي، هما: البنية العميقة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure. اما البنية العميقة فهي الاساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي اصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذاك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وان لم تكن ظاهرة فيها، فلو أخذنا المثال التالي مثلاً للتطبيق:

يشرح المدرس الدرس بطبشورة يكتبها على السبورة. فإن هذه الجملة المنطوقة تتكون في الأصل من ثلاث جمل أصولية (نواة) Kernel Sentences، تجسد كل واحدة منها معنى عقليا في ذهن المتكلم، وهذه الجمل هي:

- (١) يشرح المدرس الدرس
- (٢) يكتب المدرس بالطبشورة
- (٣) يكتب المدرس على السبورة.

تمثل الجمل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاط رئيسة (المدرس، الدرس، السبورة، الطبشورة) وهذه هي البنية العميقة، التي يأتي دور

تجسيدها بكلمات متتابعة منطوقة Surface Structure بنية سطحية، وتأتي هذه البنية السطحية متألفة من الجمل النواة الثلاث لتكون جملة تحويلية معبرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة، كما يلي: يشرح المدرس الدرس بطبشورة يكتب بها على السبورة.

بصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه، فقد تكون كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم مقدماً جزءاً من الجمل النواة على الآخر، فقد يقدم الجزء الثاني على الثالث، أو الثالث على الأول، أو.... الخ، وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه، فالبنية السطحية - كما بيا - هي الكلام المسطوق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة، فيها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة، ويسوق تشومسكي المثل التالي ليوضح هذه النقطة:

الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

فهذه جملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعانٍ ذهنية مجردة يمكن تمثيلها بالجمل النواة التالية:

الله لا يُرى

العالم مرئي.

خلق الله العالم.

فيم ربطها ببعضها، أو يتم تحويلها، لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى:

الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

ويمتد هذا التحويل بواسطة عدد من العناصر التي تستخدم لربط الجمل النواة ببعضها، وسنذكر أهمها بعد قليل، فترمز الجملة الكبرى

الى المعنى الذهني المجرد للكلم في ذهن المتكلم، وهو ذو دور رئيس في الوصول الى المعنى الدلالي للتركيب الجملي.

وهنا تبرز نقطة جديدة في نظرية تشومسكي، وهي فرضية بعيدة المال - فيما نرى - مع انه يعول عليها، ويوليها اهمية كبيرة، وهي الحدس Intuition، ويقصد بالحدس حدس الباحث للوصول الى مية المتكلم القادر على انتاج الجمل من جهة، وعلى الحكم بصحة او خطأ ما يسمع، وحدس الباحث ايضا في الوصول الى معرفة المتكلم بلمعته معرفة صمنية بالملاحظة وغيرها من وسائل البحث، ليتوصل الى استنباط قواعد اللغة وقوانينها.

وقد اوجد تشومسكي عدداً من الطرق لتحليل الجمل، مستخدماً الرموز الرياضية لتوضيح البديهيات التي يحتاجها السامع، ويعتمد في وضع هذه الطرق، التي ستحصرها في ثلاث، على الاطار الرئيس الكلي في نظريته، وهو ان هناك جهازاً يضم عدداً من الرموز والكلمات التي ترتبط بمصم دلالي، وتتضام في جمل خاضعة لقواعد وقوانين كلية «عالمية» Universals، وتحرك هذه الرموز والكلمات في تلك الأطر «القواعدية» بعمليات ذهنية داخلية لتنتج عدداً لا حصر له من الجمل التي تمرر عن ترابط المعاني في الدهن Deep Structure، ثم تتعد لتصدر منطوقة مكوّنة بذلك جملة تحويلية تخرج طبقاً لقواعد التحويل Transformational Rules، واما الطرق الثلاث فهي:

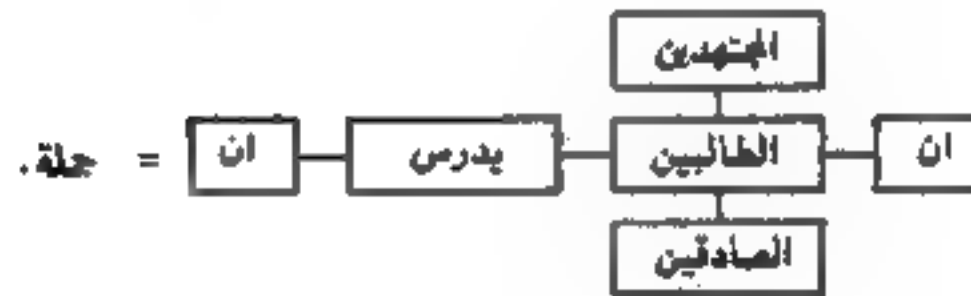
(١) Finite Grammar، وتقوم هذه الطريقة على اسس بمثابة تقريباً للاس التي مار عليها اصحاب المدرسة التوزيعية في وصف الجملة، فنقوم على ان المورفيم يقتضي المورفيم الذي يليه في الجملة الواحدة، يقتضيه فيحدده ويأخذه، بعد ان ينطق المتكلم بالمورفيم الاول، ففي الجملة العربية التالية، مثلاً:

ان الطالبين يدرسان

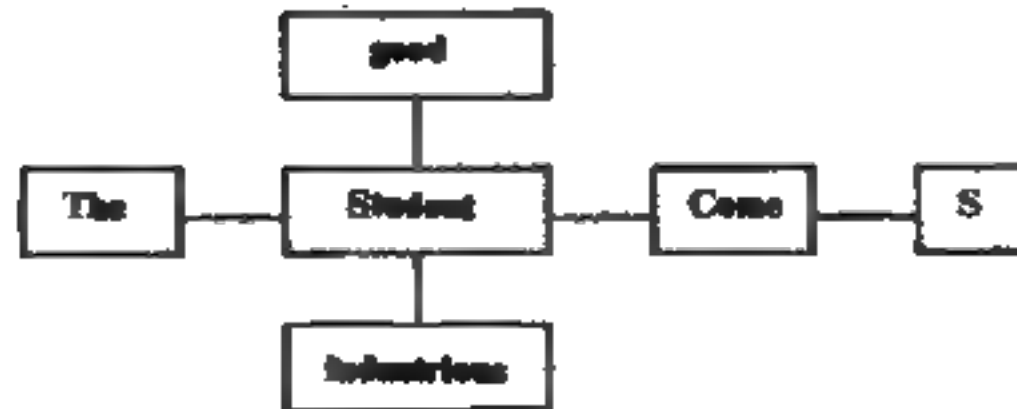
فان المورفيم الاول (ان) يقتضي مورفياً آخر يليه، فيأخذ (الطالبين) وليس (يُدرسان)، وهذا (الطالبين) يكون في حالة اعرابية معينة طبقاً لقواعد الكفاية اللغوية، ويقتضي مورفياً آخر ليتم التعبير عن الصورة الذهنية في ذهن المتكلم، ويجب ان يكون هذا في حالة معينة من حالات الاعراب تحقيقاً لقواعد الكفاية، فهذا تم الجملة وتخرج على ما هي عليه. واذا اقتضى المعنى زيادة في عدد الكلمات في الجملة، فان كل كلمة تصاف تأخذ موقعها على الخط الذي يربط الكلمة بالكلمة في الجملة ذاتها، فنقول مثلاً:

ان الطالبين المجتهدين الصادقين..... يدرسان

ونمثلها بالرسم التالي:



ونقول بالانجليزية:



ويقول:

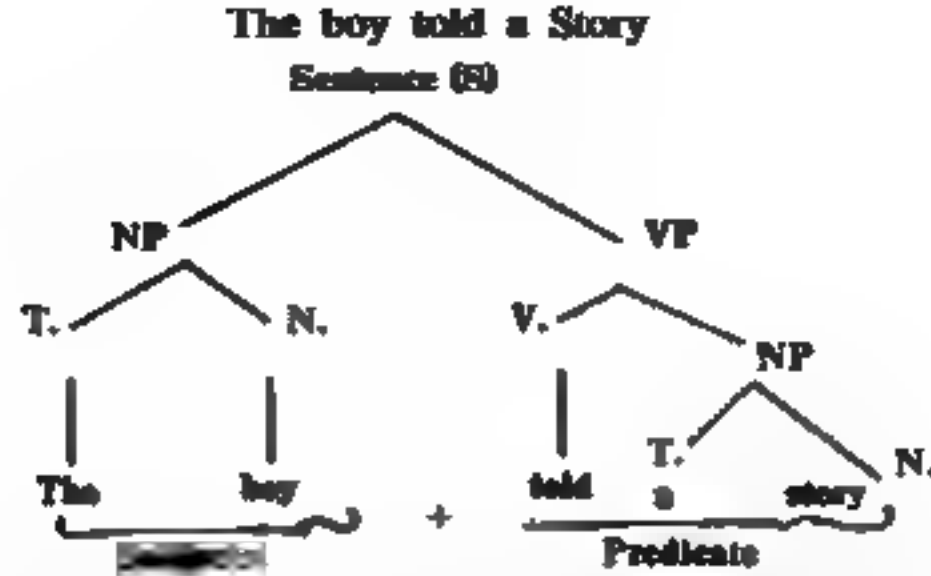


ولكن تشومسكي اعرض عن هذه الطريقة، لأنها تقوم على افتراض ان الجمل تتكون بتوليد كلمة بعد كلمة ليتحقق الاقتضاء، ولأنها لا تقدم تحليلاً الا لعدد يسير محدود من الجمل، في حين ان اللغة تقدم عدداً غير محدود من الجمل. اضع الى ذلك ان هذه الطريقة تقدم جلاً ليست سليمة نحواً (None-Sentences)، لذا فانه يرى انها لا تصلح للتحليل اللغوي، فانصرف الى الطريقة الثانية.

(٢) Phrase Structure (P.S.)، يرى تشومسكي ان في كل جملة عدداً من العناصر المكونة الرئيسة (I.C.) Immediate Constituent، وعلى الباحث اللغوي ان يحلل الجملة الى عناصرها الرئيسة هذه، وهذه العناصر (المكونات الرئيسة) وان كانت في الجملة على شكل كلمات، الا انها في حقيقة امرها تمثل جوانب صرفية، فالجملة، مثلاً:

The boy told me a story

فيها كلمات (مورفيات) يمثل كل مورفيم مبني صرفياً بضمه ويضم غيره، فالمورفيم The هو اداة تعريف (T.) Article، و boy اسم (N) Noun و Told فعل + ماضى (V.) Verb، و me ضمير (Pron.) Pronoun و a أداة، و Story اسم. تتحد الاجزاء الرئيسة (المكونات الرئيسة) (I.C.) لتكون Phrase Structures (P.S.)، فتتحد الاداة The مع الاسم Boy، لتكون Noun Phrase (NP)، وتتحد المصراعان اللذان يليان ليكونا Verb Phrase (VP)، فتصبح الجملة كما يلي



ويُعدُّ الركن الاسمي الاول فيها هو المبتدأ Subject، وما تلاه من الجملة فهو الخبر Predicate، ويكون الركن الاسمي الثاني a Story مفعولاً به للفعل told (Object of the verb). وهذه الطريقة - كما هو واضح - والمساة بطريقة الشجرة، أو بطريقة اعادة الكتابة، تماثل الطريقة «النحوية الصرفية» في الاعراب في النحو العربي، نقول مثلاً:

الطالب نقل الخبر

الطالب = ال + طالب = مبتدأ مرفوع..

نقل = نقل + هو = فعل ماضٍ... والماعل مستتر تقديره هو

الخبر = ال + خبر = مفعول به للفعل نقل.

نقل + (هو) + ال + خبر = خبر المبتدأ، الطالب.

وعلى الرغم من ان طريقة تشومسكي (P.S.) تبدو اكثر اقناعاً من الطريقة الاولى، واكثر قدرة على اعطاء تحليل معقول للجمل، وبخاصة الجمل المتنبة، الا انها لا تقدم تحليلاً دقيقاً لعدد كبير من الجمل التي يكون اللبس فيها نتيجة للتداخل بين جملتين، كذلك التي يرددها الطلاب في قاعة الدرس، جلاً تحمل معنيين:

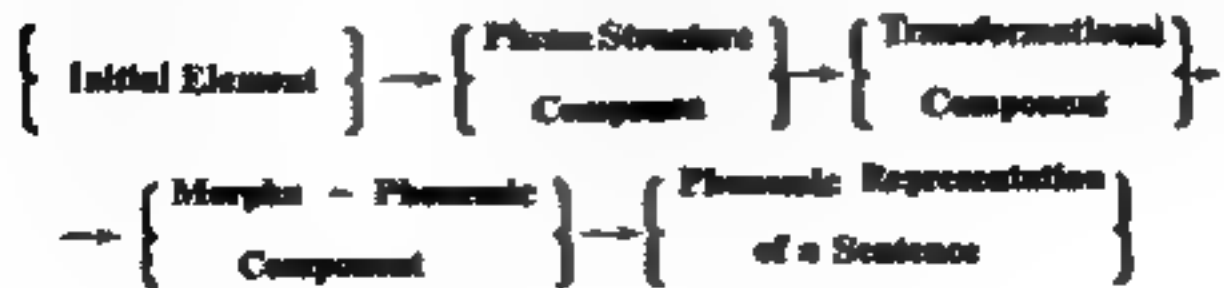
طلب المعلم من الطالب ان يخرج.

أخرج الطالب أم المعلم، وهل الطالب هو المعلم أم الطالب، ومثل.
قالت عشرين طالباً وطالبة.

هل قابل المتحدث عدداً مجموعة عشرون، أم هو واحد وعشرون.
فان هذه الطريقة لا تقدم حلاً لمثل هذه الجمل وغيرها من الجمل
المتبسة؛ لذا فقد انتقل تشومسكي من هذه الطريقة الى الطريقة الثالثة
في التحليل اللغوي، وهي الطريقة التي استقر عليها، وبها سميت
نظريته، التوليدية التحويلية.

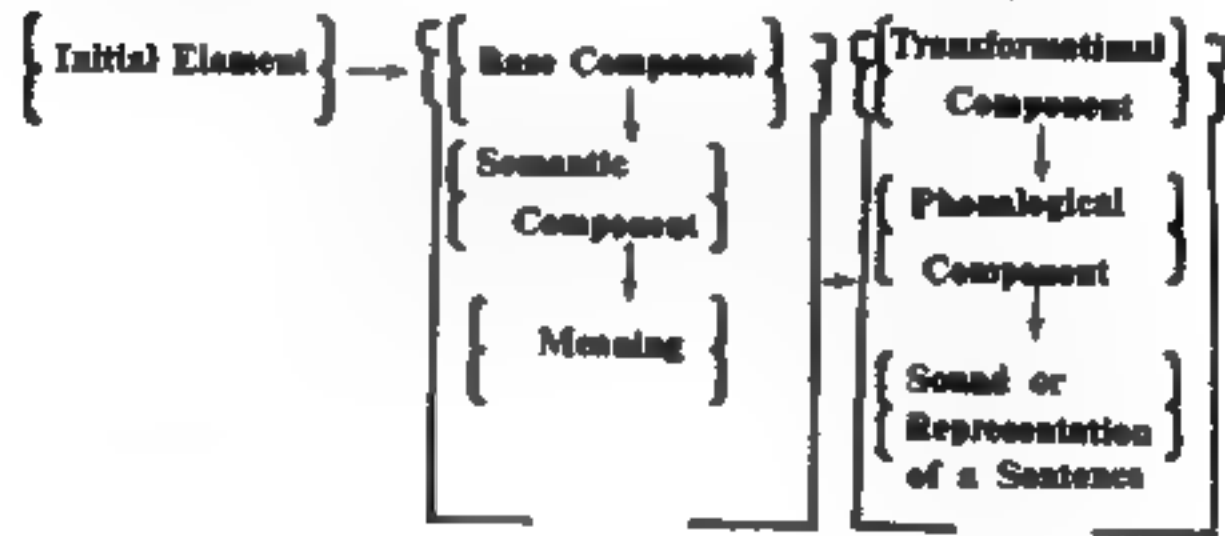
Transformational Generative Grammar - ٣

ان من ابرز خصائص هذه الطريقة، انها تحاول ان تعالج التداخل
بين الجمل وكيفية ارتباط هذه الجمل ببعضها في اطار جملي تحويلي
واحد؛ لذا فان على الباحث في ضوء هذه الطريقة ان يحدد المعيرات
المختلفة في الجمل ليوحد الصلة القائمة بينها، الصلة التي يقوم توضيحها
على الرموز والخطوات الرياضية الطويلة المتعددة للوصول الى اثبات
وجودها، ولذا فقد زاد تشومسكي في هذه النظرية الموسعة عدد الرموز
التي جاءت في الطريقة الثانية، فاهتم بالمدد والزمن، وبالاسماء،
وبالافعال التامة والناقصة.... وغير ذلك مما يحتاج المحلل لذكره. وقد
اوضح تشومسكي في كتابه Aspects العناصر التي تقوم عليها الجملة،
بعد ان كان قد وضعها موجزة في كتابه Syntactic، نرسبها كما يلي:



ومما هو واضح، ان العنصر الاول يقابل الفكرة الرئيسة في ذهن المتكلم، تتحد مع العنصر الثاني لتخرج من الذهن، وهو يقابل المكونات الرئيسة او الاولى في التركيب، ولترابطها بالمعجم والدلالة، ثم يأتي دور عنصر التحويل (المكون التحويلي) ليقرب من مرحلة التطور الاخير للجملة المنطوقة ممثلة بأصوات ومباري صرفية فتبدو جملة حسية منطوقة، مارة بذلك بعمليات تكوين الباني الصوتية والصرفية.

وقد وجد تشومسكي ان هذه الخطوات لا تعالج الجانب الدلالي الذي هو الهدف من بناء الجملة، فاجرى على هذه الطريقة تطويراً آخر، أراد منه ان يضم المعنى الدلالي الى خطوات التحليل، فاصبحت مكونة من عدد من المربعات، يضم كل مربع منها نقطة في المنهج، نثناها كما يلي:



فالفكرة الذهنية الداخلية، وهي العنصر الرئيس في ذهن المتكلم، ترتبط بالعناصر والمكونات الرئيسة التي من بينها المعنى (الدلالي والمعجمي)، وترابط هذه بواسطة عنصر من عناصر المكون التحويلي لسخرج جملة منطوقة بأصوات ورموز لغوية وفي وضعها الاخير.

أما عناصر التحويل الرئية، فعناصر تدخل الجملة للربط بين اجزائها ولتحويل الجملة النواة الى تحويلية. وتبقى الجملة في معناها كما هي، تستوي قبل دخول عناصر التحويل عليها وبعد ان دخلتها، لاها، في الحالتين، تعبر عن بنية عميقة واحدة قائمة على الترابط بين المعاني الذهنية في الجمل النواة. واهم عناصر التحويل هي:

(١) الترتيب، نقول مثلاً:

$$\begin{array}{ccc} \text{علاء خالد} & \text{من الجامعة} & \text{قبل ساعتين} \\ \hline A & B & C \end{array}$$

ويمكن، بالترتيب، ان تكون:

$$A + B + C$$

$$B + A + C$$

$$C + A + B$$

$$C + B + A$$

ويبقى المعنى - هذه - في هذه الجملة، بترتيبها الجديد، هو ذاته، لم يتغير، لانه (نشومسكي) ينطلق من فرضية المعنى العميق الذي هو في الجمل السابقة كلها، وان كان التعبير عنه بطرق متعددة.

(٢) الزيادة، نقول، مثلاً:

قلت خيراً

$$B + A$$

فتصبح مثلاً: قلت ان من يتق الله يميز بالجملة.

$$A + B \rightarrow A + B + C + \dots$$

(٣) الحذف: نقول:

$$\begin{array}{ccc} \text{كسر اسنان الزجاج} & \longleftrightarrow & \text{كُبر الزجاج} \\ C + B + A & \longleftrightarrow & C + \emptyset + A \end{array}$$

ولما كانت البنية العميقة في الجملتين واحدة، فإنه لا فرق بينهما قبل دخول عنصر التحويل وبعده.

٤) التسمية: فقول، مثلاً:

الطالبان مجتهد.

$B + A$

فتصبح الطالبان + مجتهد + ان، لتتبع الثانية الاولى في عددها، فتسجم معها، وهكذا في:

قابلت الطالبين المجتهدين الصادقين....

٥) الاحلال، مثلاً:

رفع الله السماء

ويمكن ان يتغير موقع كلمة (السماء) بأن تتقدم على الفعل (رفع) والفاعل (الله)، ويتقدم الفاعل على فعله، فيعمل عمل (السماء) ضمير ملفوظ يعود عليها. فنقول:

السماء الله رفعها ~~السماء~~ رفعها الله

فالمنى في الجمل الثلاث هو هو لم يتغير، والذي حصل في الجملة هو تحويل في مبانيها بأن تقدم عنصر من عناصرها المكونة، وحل محله ضمير يعود عليه.

هذه هي اهم النقاط التي تمثل عناصر التحويل الرئيسة في نظرية تشومسكي، وضعها بايجاز غير محل، ونستعمل - فيما بعد - قسماً منها، ولكننا نعطيها معنى غير الذي ذهب اليه تشومسكي، ونرى ان لها دوراً في المعنى كما ان لها دوراً في المنى. فالجملة لا تعادل مع عناصر التحويل، في معناها، الجملة بدون هذه العناصر. وهذه هي اهم الاسس التي تقوم عليها نظرية تشومسكي كما نحتها في ما لا يقل عن

عشرين من اعماله المنشورة في كتب ومقالات، ونرى ان في بعض هذه الاسس او الجوانب غموض وتعميم، مرده الى طريقة صاحب النظرية في عرض أفكاره، فهو يعتمد على مصطلحات عامة غامضة، بعضها موجود في نظريات العلماء الذين سبقوه في الدرس اللغوي، ولكنه يذهب بها الى معاني جديدة دون ان يشير الى التعريف الجديد الذي يحدد ما يريد به، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نجد انه يعرض فكرة ثم يقطع عنها الى غيرها وبسرعة غير متوقعة، فافكاره متقلبة متبدلة تارة، متتابعة تارة اخرى، ولا يعني بذلك بوجه، انها نظرية غير ثابتة، فهي النظرية التي تشغل الباحثين اللغويين في العرب والشرق، ولكننا اردنا ان نبين للقارئ الكريم ما يجده الباحث من مشقة وعناء ليقف على نقطة او فكرة في نظرية تشومسكي او في تطور تفكيره، اذ عليه ان يستخلصها من عدد كبير من الكتابات منه وعنه، فكيف ان اراد ان يعرض اطاراً شاملاً لنظرية واسعة.

عرضنا فيما مضى شيئاً من نظريات عدد من العلماء الذين قامت على انتاجهم وأعمالهم النهضة اللغوية المعاصرة، ولا يعني ذلك انه لا يوجد غيرهم، فهناك هري سويت، وحاردنرز، وفيرث في المدرسة الانجليزية الاجتماعية، وهاك رومان جاكسون، وهيلسلي، وتروبتسكوي، واندريه مارتييه، وجسبيرس الذين لكل منهم عدد من الاعمال المنشورة والآراء القوية في الاصوات والتركيب والماني، تمثل دعائم يحكى ان تكون ميداناً لبحث طويل، وبدع الحديث عن هؤلاء وغيرهم الى مكان آخر نبين فيه جهودهم وجهود غيرهم من العلماء، وبخاصة المدرسة البريطانية التي جاءت بنظرية متكاملة يعتمد فيها التحلل على المستويات اللغوية الرئيسة المعروفة بطريقة او مسجع رائد.

ونستقل من هذا الى عرض ما نراه في ضوء العكرة المولدييه

التحويلية مأخذها بطريقة مختلفة عن طريقة تشومسكي، ونطبقها على اللغة العربية، أو نطبقها على أمثلة وأبواب من اللغة العربية تمهيداً لدراسة نقوم بوضعها في إطار نهائي، نجمع فيها الابواب المحوية في أطر كبرى بحسب المعنى، ونطبقها على بعض الدواوين لشعراء جاهليين.

الفصل الثالث

منهج وتطبيق
البحث في اللغة العربية
بين التوليدية والتحويلية

يقول ابن خلدون « في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة
مغايرة للغة مضر وحمر : » وذلك انا نجدنا في بيان المقاصد
والوفاء بالدلالة على سن اللسان المضري، ولم يُفقد منها الا
دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول، فاعتاضوا منها
بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد، الا
أن البيان والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرف، لأن
الألفاظ باعيناها دالة على المعاني باعياها، ويبقى ما تقتضيه
الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجاً الى ما يدل عليه، وكل
معنى وان تكتنفه احوال تخصه، فيجب ان تعتبر تلك الاحوال
في تأدية المقصود، لانها صفاته، وتلك الاحوال في جميع الالسن
اكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع، واما في اللسان
العربي فانما يُدل عليها باحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ
وتأليفها من: تقديم وتأخير او حذف او حركة اعراب، وقد
يدل عليها بالحروف غير المستقلة، ولذلك تفاوتت طبقات
الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك
الكيفيات... فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الفاظاً
وعبارة من جميع الالسن ».

المقدمة

ط ١، دار القلم - بيروت، ص ٥٥٥ - ٥٥٦

لس من مهامنا هنا ان نفصل القول في حلاقات اللعويين والسحاة في تحديد بعض المصطلحات الرئيسة التي بني عليها تصم الكلم، وعليها قام قسم اساس من اقسام الدراسات اللغوية في القديم وفي ايامنا هذه، وهو علم التراكيب اللغوية Syntax، ولكننا سنعرضها عرضاً سريعاً، نرصد حداثها ونبين ما ترتب على هذا الحد من جواب لها اثرها الواضح في بناء الدرس اللغوي وتوجيهه، ثم نخرج من ذلك كله بوضع حد، يرتصيه، للجملة، نقسم في ضوئه الجملة الى اقسام رئيسة كبرى تصم في داخلها تقسيمات فروع، ويقوم كل فرع على عدد من الكلمات او المباني الصرفية (المورفيمات) التي يمثل كل منها باباً محوياً له سماته وعلامته، وله معناه، ثم نقابل بين التحليل النحوي القائم على المصطلحات السحوية القائمة لتبرير الحركة الاعرابية والمرتبطة بها بسبب، والتحليل اللغوي الذي نعتمد فيه على معطيات علم اللغة الحديث، متجاوزين بذلك تفصيل القول في علم اللغة والبحث التاريخي فيه، وهذه المصطلحات هي:

١ - القول:

وهو كما يرى ابن جني «أن الفم واللسان ينفقان له، ويقلقان ويمذلان به، وهو بضد السكوت^(١)»، فهو عنده «كل لفظ حذل به اللسان تاماً كان او ناقصاً، فالتام هو المفيد، اعني الجملة وما كان في معناها، من نحو: صه، وايه، والناقص، ما كان بضد ذلك، نحو: زيد، ومحمد، وإن^(٢)»، فهو، كما هو واضح، يقسم القول الى قسمين: ويقصد بالأول، المباني الصرفية او الوحدات الكلامية التي تمثل حجارة المسى وقوالبه، وهذا ما عناء سيبويه بقوله: «أنه المفردات^(٣)»، في غير نظم

(١) الخصائص: ٥/١.

(٢) الخصائص: ١٧/١.

(٣) وانظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ٤/١.

أو تطبيق ودون حجز يربط بعضها إلى بعض، ويقصد بالثاني: الكلام، بعد أن تنتظم وحدات القول في إطار يهدف به التكلم تجسيد فكرة تعتمد في الذهن بكلمات مترابطة مترابطة^(١)، وهذا ما يعنيه خالد الأزهري بقوله: «والكلام في اصطلاح اللغويين عبارة عن القول^(٢)».

٢ - الكلام:

هو كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه^(٣)، أي أنه مجموعة «من الالفاظ، قائماً برأسه، مستقلاً بمعناه^(٤)». ويرى بعض النحاة «أن تخصيص الكلام بالمفيد مجرد اصطلاح لا دليل عليه^(٥)»، «ولا يجوز أن يشترط في حده كونه مفيداً^(٦)»، «فالكلام بناء بألف من مجموعة من اللبانات تنتظم في ترتيب معين: اسم مع اسم، أو فعل مع اسم أو فعل مع اسمين أو ثلاثة أو أربعة...، أو حرف مع اسم^(٧)»، فما يكون من هذه المجموعات يكون كلاماً مستقلاً، وهو الذي يسميه أهل العربية الجمل^(٨)، قائماً على الاسناد المبد المقصود لداته^(٩)، وهذا ما يرتضيه سيبويه، فيرى أن الكلام لا يطلق حقيقة إلا على الجمل المفيدة، يقول: «واعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً^(١٠)»، وهذا ما ذهب إليه صاحب الفصل بقوله: «والكلام هو

(١) وانظر: شرح جمل الزجاجي ٨٥/١ - ٨٦، ودلائل الإعجاز ص ٩٧، ٩٦.

(٢) شرح التصريح: ١٨/١.

(٣) الخصائص: ١٧/١.

(٤) الخصائص: ١٩/١.

(٥) الجمع: ١١/١.

(٦) السابق.

(٧) وانظر ابن عقيل: ١٤/١.

(٨) أبو علي الفارسي: للسائل المسكرات ص ٤١.

(٩) ابن مالك، تهليل الفوائد وتكميل القاصد ص ٢.

(١٠) الكتاب ط هارون: ١٢٢/١.

المركب من كلمتين اسندت احدها الى الاخرى، وذلك لا يتأتى الا في اسمين، كقولك: زيد اخوك، وبشر صاحبك، او في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى الجملة^(١)، واصناف السيوطي: «وزعم ابن طلحة ان الكلمة الواحدة قد تكون كلاماً اذا قامت مقام الكلام^(٢)».

والجملة اذا - عند بعض النحاة - «اللفظ المفيد فائدة بحس السكوت عليها، وبذا تكون عند من قال بهذا رديفاً لمصطلح الكلام، حيث ان هذا هو التعريف الذي يرضيه جل النحاة حدّاً للكلام، يقول ابن جني: «اما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون: الجمل، نحو: زيد اخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار ابوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء، وعاء، في الاصوات، وحس ولب، وافت وأود، فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام^(٣)»، ويفهم هذا بوضوح من قول ابن جني مبرقاً القول: «واما القول، فاصله انه كل لفظ مذل به اللسان تاماً كان او ناقصاً، فالتام هو المفيد، أعني الجملة، وما كان في معناها، نحو: صه، وابه^(٤)» ومن قوله: «... وذلك ما كان منه تاماً غير ناقص، ومفهوماً غير مستهم، وهذه صورة الجمل، وهو ما كان من الألفاظ قائماً برأيه غير محتاج الى متم، فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاماً مفيداً كلاماً^(٥)»، وقد نعت، على هذا الترادف، الرخشي في مفصله، فبعد أن وضع حدّ الكلام قال: «ويسمى الجملة^(٦)». وقد خرج على هذا

(١) شرح النحل: ١٨/١.

(٢) المسع. ١١/١.

(٣) الخصائص. ١٧/١.

(٤) الخصائص: ١٧/١.

(٥) الخصائص: ٢١/١.

(٦) ابن يعش. شرح النحل ١٨/١.

عدد من النحاة من القدماء ومن المحدثين، مقررين ان الجملة هي الاطار الكلي الكبير ان قيد اصبح كلاماً، فالكلام عندهم اخص من الجملة، وليس رديفاً لها، يقول ابن هشام: «... وهذا يظهر لك انها ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس... والصواب انها اعم منه، اذ شرطه الافادة، بخلافها، ولهذا تسميهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام^(١)»، وهذا ما يذهب اليه الاستاذ عبد السلام هارون، يقول: «... والحق ان الكلام اخص من الجملة، والجملة اعم منه^(٢)» معتمداً على قول المناطقة «الاحص ما زاد قيداً والأعم ما زاد فرداً» فيقرر «وانما كان الكلام اخص من الجملة لانه مزيد فيه قيد الافادة^(٣)»، وهذا ما ذهب اليه علي بن محمد الجرجاني في تعريفه الجملة «عبارة عن مركب من كلمتين اسندت احدها الى الاخرى، سواء اعاد، كقولك: زيد قائم، او لم يبد، كقولك: ان يكرمني، فانه جملة لا تفيد الا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة اعم من الكلام مطلقاً^(٤)»، واما الكلام عندهما فتضمن كلمتين بالاسناد^(٥). والذي نرتضيه هو ما يرتضيه الزمخشري وابن يعيش حداً للكلام، حداً للجملة، ونخالفه كما نخالف من تبعه في ان الكلام هو الجملة، ونخالف ابن هشام ومن سار على مسججه في ان الكلام اخص من الجملة وهي اعم منه، فرى أن الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأيه مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه^(٦)، فقام زيد، جملة، وزيد مجتهد،

(١) المعنى ٣٧٤/٢.

(٢) الاساليب الانشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون ص ١٨.

(٣) السابق ص ١٨.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، الترميزات، مكتبة الحلبي، القاهرة ١٩٣٨ م، ص ٦٩.

(٥) السابق ص ١٦٢.

(٦) وانظر: الخصائص ٣٢/١، سيبويه، الكتاب ٧/١، شرح للفصل ١٨/١ - ٢٠.

جمله، وهم، جمله، واف، جمله، والتار، جمله، واخاك احاك، جمله،
وان تدرس تنجح، جمله، وان تحضر فانا مكرمك، جمله، وواله ان
مهداً لرسول، جمله، ذلك لأن كل مجموعة مما سبق تؤدي بلبساتها كلها
معنى يحسن السكوت عليه، ولو نقصت لبنة واحدة لاختل المعنى.
ونرى، كذلك،: ان الكلام تألف عدد من الجمل للوصول الى معنى اعم
ما في الجملة واشمل، وعلى ذلك، فقد كان القرآن كلام الله، والشعر
والشركاء العرب. وقد ترتب على الحد الذي يرتضيه ابن هشام للجملة
ان جعل للشرط جملة وللجواب جملة، وللصلة جملة وللنداء جملة وللقسم
جملة^(١)، في حين ان ايّاً من هذه لا تحمل معنى يحسن السكوت عليه،
وهو للتعريف الذي تفيد الامثلة التي وضعها في تعريفه الجملة يقول:
«والجملة عبارة عن العمل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره، كزيد
قائم، وما كان بمنزلة احدهما، نحو: ضرب اللص، واقام الزيدان، وكان
زيد قائماً، وظننته قائماً^(٢)»، ونحن بهذا لا ندعي شيئاً لأنفسنا، بل نرده
الى مظانه، وننسبه الى اصحابه، فبين ان ما نقوله قد لحن اليه ابن
جني بقوله: «... فملى هذا يكون قولنا: قام زيد، كلاماً (والكلام
مرادف للجملة)، فان قلت شارطاً: ان قام زيد... فصار قولاً لا كلاماً،
الا تراه ناقصاً ومستظراً للقام بجواب الشرط، وكذلك لو قلت في حكاية
القسم: حلفت بالله، أي كان قسمي هذا، لكان كلاماً، لكونه مستقلاً،
ولو أردت به مريح القسم لكان قولاً من حيث كان ناقصاً لاحتياجه
الى جوابه^(٣)»، نقول: لاحتياجه الى جوابه وليس الى جملة جوابه،
وبينها من الفرق ما بين الجملة التوليدية ومعناها والجملة التحويلية

(١) يقول السيوطي: «واما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً او جواباً او
صلة فاطلاق مجازي» المص: ١٣/١.

(٢) معنى اللبيب: ٣٧٤/٢.

(٣) الخصائص: ١٩/١.

ومعناها. فان ارتضيها ان الجملة هي اللفظ الذي يحمل معنى محسن السكوت عليه، فان جميع الألفاظ اللازمة لحمل هذا المعنى هي اركان رئيسة في الجملة، ولا يجوز لأي ركن منها ان يستقل بمعنى الجملة ولا بتسميتها (جملة)، واذا كان المعنى هو الهدف الذي يسعى المتكلم لنوصيحه ونقله الى السامع، فان للسامع أن يأخذه من ايسر طريق، الطريق التي على المحلل اللغوي ان يسلكها فيستغني عن: المقدر والمهدوف والمحل....، فينظر الى الجملة: انت والله ان تدرس تجح، على انها جملة واحدة، لا طائل ولا فائدة ترجى من تقدير جواب للقسم او جواب لشرط سد مسده الجواب المذكور، وكذلك جملة: ان تصدق على الفقراء فالله مكرمك، جملة واحدة ولا فائدة للمعنى ولا للسامع ولا للمتكلم من القول بأن (فالله مكرمك) في محل جرم جواب الشرط، وجملة: والله ان محمداً لرسول، جملة واحدة، لا فائدة في تقدير: والله قسمي، بل وانه ان أظهر فقد جعل التركيب ضعيفاً تركيباً.

وقد قسم النحاة الجملة الى اسمية وفعلية، وزاد بعضهم الجملة الظرفية^(١)، وقد اشار الخليل والمبرد الى قسم آخر هو الجملة الشرطية^(٢)، ثم جاء صاحب المفصل وجعلها جملة مستقلة بنفس عليها ومثل لها^(٣): بكر ان تعطه بشكرك، مخالفاً بذلك غيره من النحاة، فهم يعدون الجملة التي تلي حرف الشرط، ان كان صدرها فعلاً، وكذلك ان حل محل حرف الشرط اسم شرط موصول لفعله، جملة فعلية، اما ان كان صدرها حرف شرط يليه مبتدأ، او اسم شرط غير موصول لفعله، فهي جملة اسمية، ولم يفر ابن يعيش في شرحه هذا التقسيم، وعد الجملة الشرطية جملة فعلية مركبة من جملتين فعليتين، او فعلية واسمية^(٤).

(١) انظر: اللامي ص ٣٧٦.

(٢) وانظر: القتيب: ٤٦/٢، وانظر: شرح الكافية: ٢٥٤/٢.

(٣) انظر: المفصل ص ١٢، شرح للفصل: ٨٨/١.

(٤) شرح الفصل: ٨٠/١.

الجملة الاسمية:

وهي الجملة التي صدرها اسم صريح مرفوع أو مؤول في محل رفع، أو اسم فعل عند بعضهم، أو هي التي صدرها حرف غير مكسوف مشبه بالفعل، فالجمل: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، أن تعمل المعروف خير لك، هيهات العتيق، أن محمداً رسول، قائم الزيدان (عند من يحيره وهم الكوفيون والاختش)، جل اسمية، ومثلها في الحكم: محمد أكرم خالداً (عند أهل البصرة) هي جملة اسمية، أو هي جملة كبرى كما يرى السيوطي^(١) مكونة من جملتين صغريين:

محمد: مبتدأ، خبره الجملة الفعلية التي تليه (في محل رفع)
أكرم: جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على محمد (المبتدأ).

أما الجملة الفعلية:

فهي التي يتصدرها فعل تام أو ناقص، مثل قام زيد، ضرب اللص، كان زيد قائماً، يقوم زيد، وقم^(٢)، ويمدون منها، كذلك، خالداً أكرم محمد، و﴿فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾، لأن الأسماء التي في صدرها في بية التأخير^(٣)، ويترجون فيها، كذلك: يا عبدالله، و﴿أن أحد من المشركين استجارك...﴾، و﴿الأنعام خلقها﴾، و﴿والليل إذا يحشى﴾ لأن في صدرها في الأصل أفعالاً، والتقدير: ادعوا عبدالله، وإن استجارك أحد استجارك هو...، وخلق الأنعام خلقها، وأقسم والليل^(٤).

لا ريب أن من يدقق النظر ويقلب هذه الجمل، يرى ما في هذا

(١) المحج. ٨٠/١.

(٢) انظر: المص: ٣٧٦/٢.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

التقسيم من اعتماد كلي على الشكل او للبنى دون المضمون او المعنى، فكان من نتائج ذلك عدم وضوح الاطار الذي تنتظم فيه الجملة، وكان من نتائجه كذلك، الخلط الواضح في ادراج بعض التراكيب اللموية وحشرها في الاسمية او الفعلية دون ان تقبلها، ودون ان يكون لهذا الحشر ما يبرره او ما يستمد منه، كما في: هيهات العتيق، التي هي جملة فعلية مع أنهم يسمون هيهات اسم فاعل، ومع أنها لا تقبل علامات الاسمية ولا علامات الفعلية، ولا تشير الى حدث أو زمن، ولا علاقة اسناد بينها وبين الاسم الذي يليها. وفي: أقام الزيدان؟ التي تقوم فيها كلمة الزيدان بدورين مختلفين، فتحمل مصطلحين يعود كل منهما الى قسم من أقسام الجملة: فاعل سد مسد الخبر، فان كان فاعلاً فلا بد ان يكون مسبوقاً بفعل، فالجملة فعلية، وان كان خبراً فلا بد ان يكون مسبوقاً بمبتدأ، فالجملة اسمية.

وان هذا التحديد لكل من الجملتين الاسمية والفعلية - كما جاء عند النحاة - لا يصلح لتصنيف الجمل في اللغة العربية، فهناك كثير من الجمل التي صدرها اسم ولكم ادرجوها في الفعلية، وأحر صنفوها فعلية في حين ان لا فعل في صدرها، وهي التي تصدرها الحرف عاملاً او مهملًا: ان الله عليم، لا خير يطلب من محرف، أيبخل الكريم؟، هل ينجح الكسول؟... الخ، فهذه جمل فعلية، وكذلك الجمل: سبحان الله، ﴿مريقاً كدبت﴾، ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث...﴾، وجملة القسم وجملة النداء وجملة الشرط تعد كلها من الجمل الفعلية - كما ذكرنا سابقاً -.

وقد ذهب قسم من النحاة ان تصدر الذي يحكم به على تصنيف الجملة، هو تصدر الكلمة التي تعد ركناً رئيساً في الجملة، او ان الاصل فيها ان تكون من اركان الجملة، فالجملة الفعلية ما كانت مكونة من فعل وفاعل او بما اصله كذلك، والاسمية ما كانت مكونة من مبتدأ

وخير، او بما كان الاصل فيها كذلك^(١)، وبذا فان هذا القسم من النحاة يصرفون النظر عند التصنيف عما يأتي في صدر الجملة من أدوات او حروف او اركان ليست رئيسة في الجملة اصلاً، ولكنا لا نعرف كيف يخرج هؤلاء العلماء بصنيف الجملة التالية، مثلاً: أقام الزيدان فلا ينطبق عليها ما كان اصله مبتدأ، وخبراً، ولا ما كان الاصل فيه فعلاً وفاعلاً، والجملة: عَلِمَ محمد الايمان قوة، وفيها ما كان اصله فعلاً وفاعلاً وما كان اصله مبتدأ وخبراً، وكذلك نرى ان هذا التحديد لا يدع فرصة لابرار المعنى في الجمل التي يتقدم فاعلها على فعلها، مثل: الولد يجتهد، الجندي يقاتل، الطالب يستيقظ مبكراً، مقابلة بالجمل التي يكون الاسناد فيها بين مبتدأ وخبر: الولد يجتهد، الجندي يقاتل، الحق متصراً... الخ. فهذه الجمل جميعها تصنف في الجمل الاسمية، على الرغم مما بينها من اختلاف في المعنى والارتباط بالزمن، تقييداً او اطلاقاً.

وقد ترتب على تقسيات النحاة السابقة وتحديدهم الجملتين الاسمية والفعلية، دخول مصطلحات في الدرس اللغوي لها صيغة قسرية، أدت الى، او ساهمت في ايجاد ما يسمى بالاعراب المحلي والتقديري. فالجملة: محمد اكرم خالداً، اسمية فعلية، اسمية لأنه يتصدرها اسم، فهو مبتدأ ولا بد له من خير، والاصل في الخبر ان يكون مفرداً، فما بعد المبتدأ جملة فعلية، في محل المفرد، خير المبتدأ في محل رفع، وفعلية لأن القسم الثاني منها (الجملة الفعلية التي هي خير المبتدأ) يتصدره فعل (أكرم) ويحتاج الى فاعل، والفاعل لا يتقدم على فعله - عندهم -، فان تقدم فهو مبتدأ، اذاً، لا بد من ضمير يقدر ليكون فاعلاً، ولا بد لهذا الضمير من عائد يعود عليه، فهو بغيره مبهم، ولست ادري ما قيمة

(١) انظر: المعنى ١٤٤/٧، امراء العربية: ٧٩، للتصنيف ١٧٨/٤.

الحكم بالاسمية او الفعلية في خدمة المعنى الذي يسعى للوصول اليه كل من المتكلم والسامع، امام هذا التشابك بين «المحل»، و«التقدير»، وهكذا الحال في «أن أحد من الشركين استجارك...»، جملة فعلية لأن الاداة مختصة بالدخول على الفعل، لا غير، فلا بد من تقدير ما تختص الاداة بالدخول عليه والاختصاص به، ويجب ان يكون تفسيره في العمل المذكور بعده، ولا بد ان يكون فاعل هذا المفسر عائداً على ذاك المتقدم (ليتحقق قانون تبادل المنافع)، ولا يجوز ان يعد الفاعل المتقدم فاعلاً للعمل المتأخر، خشية كسر القاعدة التي تنص - عند أهل البصرة - على ان الفاعل لا يتقدم فعله وان تقدم فهو مبتدأ!!! وقد ثار الأخفش والكوفيون على هذه القاعدة وصنفوا الجملة فعلية فاعلها تقدم على فعلها، والاداة مختصة عند الكوفيين، ومختصة تارة وغير مختصة أخرى عند الاخفش، كما ذكرنا تفصيل هذا سابقاً، وكذا القول في: «والانعام خلقها» جملة فعلية فعلها الذي عمل في كلمة (الانعام) محذوف مع فاعله، يفسر العمل المحذوف الفعل المذكور، ويفسر الفاعل المحذوف الفاعل المذكور (خلقها الله)، ذلك لأن في الفعل المذكور ضميراً (هو المفعول به للفعل)، والفعل لا يحمل في معمولين، ولا يجوز ان يعد بمثابة للجملة: الانعام خلق الله، وبذا فانك ترى ان هذا الخلط قد اوقع النحاة في كثير من المشكلات، وحلهم على القول بأن الاسم المتقدم مبتدأ وليس فاعلاً، او على القول بأنه مفعول لفعل مقدر وليس للمذكور، واذا اصبح الفعل بلا فاعل لتقدم فاعله اضطر الدارس الى تقدير فاعل. وحلهم كذلك على ان يعدوا الجملة البسيطة جملة مركبة مكونة من جملتين، المسند اليه في الاولى هو المقدم المرفوع، والمسند اليه في الثانية هو الضمير العائد على المبتدأ، وهذا يحملنا على ان نرجع ثابته فنحوه من مبتدأ الى فاعل اذا دخلت عليه احدى ادوات الشرط، كأن يقال: «اذا البدر طلع كان كذا وكذا، وذلك لأن (اذا)

في الشرط لا يليها إلا جملة فعلية، ويكون البدر حينئذٍ قاطعاً، ولكن ليس للعمل الملقب به، ولكنه قاعل للفعل الذي يدل عليه العمل الملقب به، ويكون هذا الفعل واجب الحذف، لا يذكر في حال، ولو ذكر، فقيل: إذا طلع البدر طلع كذا وكذا، لكان من سخيفة ومردولة، واللغة العربية ودارسوها في غنى عن هذه العمليات الذهبية المعقدة التي لم توضح معنى ولا فصرت أسلوباً^(١).

ويتضح أثر هذا الخلط كذلك في الجملة: يا عبدالله، وفي: يا محمد، بنصب الاسم بعد الياء مرة وبرفعه مرة أخرى، فاما ان تكون الاداة عاملة او مهيمة، فان عملت فيجب أن يكون عملها فيها يليها واحداً، وليس الامر كذلك، فليست عاملة اداً، ولكنها تسد مسد عامل، وهو فعل النداء ادعو او انادي، وهذا يجب ان يكون عمله فيها يليه واحداً، وبخاصة اذا كان ما يليه معرباً في الاصل وليس من الاسماء المبنية في لسان العرب، ولما لم يكن كذلك فقد جعلوا الرفع مبنياً في محل نصب، معمول للعمل الذي سدت مسده اداة النداء، دون ان نعرف السر في بناء هذا الاسم المعرب (محمد)، وتأخذ مثلاً آخر نبين فيه شيئاً مما ترتب على هذا الخلط في الحكم على الجملة بحسب صدرها، قوله تعالى: ﴿والليل اذا يشئ﴾، فكلمة الليل مجرورة، وقد سبقها حرف الواو، والواو ليست من حروف الجر، جاء بعد الاسم التالي لهذا الحرف جملة فعلية، اذا يشئ. فكان التقدير: واقسم والليل، والواو ليست من حروف الجر لانها من حروف العطف،...، فان قدرت: قسمي والليل، فان الليل مجرور لعظاً مرفوع هلاً، ولكنه مجرور بفعل عامل، أليست الحركة هنا هي حركة اقتضاء، ولنا نجد تعبيراً لماذا كانت في مثل هذه الجملة فعلية (اقسم والليل)، وهي في الجملة: والله ان محمداً لرسول، جملة اسمية،....

(١) انظر: مهدي الخرومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه: ص ١٢ - ١٣.

هذه نقاط تشير بوضوح الى ما ترتب على القول بالاسمية او المعنوية اعتقاداً على تحديد وتعريف قسري، لا يزيد الباحث الا بعداً عن المعنى واعتقاداً على الشكل القائم على الصنعة والاسراف فيها.

واما قول النحاة في الجملة الظرفية، وفي جملة الشرط، فسنعرضه في موضعة اثناء مناقشتنا للزيادة من عناصر التحويل في الجملة النواة او التوليدية.

قلنا: سار اللغويون العرب في القرون الاولى لدراسة اللغة على مسهجين: اهتم الاول منها بالبنية الشكلية للجملة وما على اواخر كلماتها من حركات اعرابية، فبحثوا واطالوا البحث في اسباب تلك الحركات وعواملها. ولعل الموجد الفعلي الاول (المعروف) لهذا المنهج هو الخليل ابن أحمد، ثم جاء بعده تلاميذه الذين حلوا المعضلة في كل من البصرة والكوفة (سيبويه والكسائي وغيرهما). واهتم اصحاب المنهج الثاني بقواعد وقوانين استنباط المعنى من التراكيب الجمالية، كالقديم والتأخير، والحذف والذكر، والنشبه وفوه.... الخ. ويعد كل من: ابي عبيدة، صاحب مجاز القرآن، وعبد القاهر الجرجاني، صاحب دلائل الاعجاز، وامرار البلاغة، خير من يمثل هذا المنهج في مراحل المتقدمة، وبخاصة الجرجاني في نظرية النظم التي نرى انه استطاع بها ان يباري احدث ما وصلت اليه مساهج اللغويين المعاصرين، بل وبها كان له فضل سبق.

بما هو معلوم بداهة ان النحو العربي قد بدأ بداية تعليمية، هدفه حفظ اللسان من الرلل وعصمته من الخطأ، والاخذ بيد الداخلين في الاسلام من غير العرب لحنو العرب في كلامهم. ولكن النحاة قد تحطوا هذه العاية وانصرفوا الى غيرها بحثاً عن العامل المسبب للحركة الاعرابية على اواخر الحكم، ولم يعد القول المشهور: «الاعراب فرع

المعنى « يبرز امامهم الا لاما، فاهتموا بوضع المصطلحات النحوية حتى عدت اعمالهم جلها تقوم على العامل والتعليل والتأويل والخوض في ما لا يحتاجه العالم المتقن فضلاً عن المتعلم الشادي. غير احد اصحاب ابي الاحمش له عما يجده من عسر في كتبه، قائلاً: يا ابا الحسن، انت اعلم الناس بالنحو، فلماذا لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها؟ وما بالك تقدم العويص وتؤخر المفهوم. ومقابل هذا الانصراف الى البنية الشكلية ودراسة ما يجري فيها، انصرف الفريق الثاني، وهم البلاغيون الى «المعنى» حتى إنهم اطلقوه اسماً لقسم من اقسام علمهم «المعاني»، ولكن التداخل بين دراسات العلماء وآرائهم في هذا المسجع وذاك قد وقع، فتأثرت احكامهم وتعريفاتهم بهذا التداخل، ومن امثلة هذا التداخل ذاك السحت الطويل الذي قدمه العلماء عن الجملة وتعريفها واقسامها، فمنهم من يراها رديفاً للكلام المفيد^(١)، ومنهم من عدّها «اللفظ الدال على معنى مفرد»^(٢)، ومنه من عدّها التركيب الذي ضمت فيه كلمة الى اخرى^(٣)، ومنهم من يرى أنّ شرطها الرئيسي ان تحمل معنى يحسن السكوت عليه^(٤). فاللفظ والمعنى عند هذا الفريق ركنان رئيسان بدورها لا تقوم الجملة^(٥)، وتابع قسم من هؤلاء القول بأن تسمية ما هو ناقص في معناه «جملة» لا يكون الا مجازاً^(٦)، ومنهم من يرى بأن العنصر الرئيس الذي يجب ان يتحقق لتكون الجملة جملة هو الاسناد، يقول علي بن محمد الجرجاني في تعريفاته: «الجملة عبارة عن مركب من كلمتين اسندت احداها الى الاخرى

(١) منار السالك: ١/٦ - ٧

(٢) حاشية السجاني على القدر ص ٧.

(٣) شرح المصل. ١٩/١، وانظر حاشية المطار على شرح الارهرية ص ١٤.

(٤) شرح التصريح على التوضيح. ١٩/١. والمجمع ١١/١.

(٥) المجمع ١٣/١.

(٦) المجمع ١٣/١.

سواء أُمّاد كقولك: زيد قائم أو لم يفد كقولك: ان يكرمني، فإنه جملة...^(١) . ونحن نرتضي ما جاء عن الرعمشري حدّاً للكلام^(٢) حدّاً للجملة، ونخالف بذلك من يرى ان الكلام هو الجملة، ومن يرى ان الكلام اخص من الجملة وهي اعمّ منه^(٣)، ونطمئن الى ان الجملة «ما كان من الألفاظ قائماً برأيه مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه»^(٤)، ونقيد (ما) التي جاءت في اول هذا التعريف، فنقول: هي الحدّ الادنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، ونسميها الجملة التوليدية او المنتجة (اسم فاعل)، بشرط ان تشير على نطق من افاط البناء الجملي في اللغة العربية، فهي توليدية يتفرع منها شقان: احدهما نسميه الجملة التوليدية الاسمية، وله أطر نحصر اهمها - ولا نقول نحصرها - في ما يلي^(٥).

- أ - اسم معرفة + اسم نكرة.
 - ب - اسم استفهام + اسم معرفة.
 - ج - شبه جملة (ظرفية او جار ومجرور) + اسم نكرة.
- والثاني، ونسميه الجملة التوليدية العملية، وله أطر نحصر اهمها في:
- أ - فعل + اسم (او ما يسد مسده ظاهراً او مستتراً كما في فعل الامر).
 - ب - فعل + اسم + اسم، (او اسم مقترن بحرف جر).
- ولكن هذه الأطر جميعها قد يجري فيها تغيير، في مبانيها الصرفية

(١) التعريفات ص ٦٩.

(٢) شرح الفصل: ١٨/١.

(٣) المعنى اللب: ٣٧٤/٢.

(٤) الكتاب ط بولاق ٧/١.

(٥) حبل عامر: «رأي في بعض افاط التركيب الجملي للغة العربية»، المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت عدد ٨.

(المورفيمات) او فيا فيها من فونيات ثانوية (البر والتعيم) فيترتب على ذلك تعبير في المعنى وانتقال في تسمية الجملة، فتصبح الجملة جملة تحويلية في معناها اسمية او فعلية في معناها. اما عناصر التحويل التي تدخل الجملة فهي:

عناصر التحويل

(١) الترتيب: يُعدّ الترتيب من ابرز عناصر التحويل واكثرها وضوحاً، لأن المتكلم يعتمد الى مورفيم حقه التأخير فيا جاء عن العرب فيقدمه، او الى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لاطهار ترتيب المعاني في النفس، فالكلمات كما يقول الجرجاني: تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس^(١)، والترتيب فن من الفنون التي يأخذ بها المصحاء واصحاب البيان في الاساليب، واولئك الذين يجيدون التصرف في القول ووصفه الموضع الذي يقتضيه المعنى^(٢)، يقول الجرجاني: «هو باب كثير الفوائد، جمّ الحسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يمتد لك عن بديعه ويفضي بك الى لطيفه، ولا تزال ترى مشعراً يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ان تقدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان^(٣)»، وقد اشار سيبويه الى اهمية التقديم والتأخير (الترتيب) ودوره في المعنى، يقول: «فان قدمت المفعول واحترت الماعل، جرى اللفظ كما جرى في الاول، وذلك قولك: ضرب ريداً عدداً، لاني انما اردت به مؤخراً ما اردت به مقدماً ولم ترد ان تشغل العمل بأول منه وان كان انما يقدمون الذي بيانه اهم لهم، وهم ببيانه أعني، وان كانا

(١) دلائل الاعجاز: ص ٤٠.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ٨٣.

(٣) اثر النحاة في البحث البلاغي - عبد القادر حسين: ص ٨٠.

(٤) دلائل الاعجاز: ص ٨٣.

جميعاً بهائم ومعنياتهم^(١)». ويقول في موضع آخر: «والتقديم والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرت لك في باب الماعل والمفعول، وجميع ما ذكرت لك عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأهل الجفاء من العرب يقولون: «ولم يكن كمواً له أحد»، وكأنهم اخروها حيث كانت غير مستقرة^(٢)»، وإذا كان سبويه قد اتخذ من التقديم والتأخير رمزاً للعناية والاهتمام، فإن عبد القاهر الجرجاني لا يقف به عند هذا الحد ويرى أن قصره على العناية والاهتمام يبعده عن أن يكون من عناصر ادراك اسرار التركيب اللغوي وفهمه والوصول الى كنهه وتذوق حلاوة ما فيه من معنى، يقول: «... فهذا جيد بالغ الا ان الشأن في انه يبني ان يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام، مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير، وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال: انه قدم للعناية، ولأن ذكره اهم من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية ولم كان أهم، ولتخيلهم ذلك قد صغر امر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى انك لترى اكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم تر ظناً اررى على صاحبه من هذا وشبهه^(٣)»، فالتقديم والتأخير عند علماءنا من السلف الصالح يكون لأمر يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، وليس كما يرى بعض الباحثين المحدثين، يقول ابراهيم أنيس: «ولست اغالي حين اقرر هنا ان المفعول لا يصح ان يسبق ركني الاسناد في الجمل المثبتة كما يزعم اصحاب البلاغة في تلك الامثلة المصنوعة من نحو: زيداً ضربت، زيداً ضربته!!، اما التقديم في مثل

(١) الكتاب ٣٤/١.

(٢) الكتاب ٥٦/١.

(٣) دلائل الاعبار من ٨٥.

الآيات القرآنية «اياك نعبد واياك نستعين» و«فاياي طاعبدون» و«ولكن كانوا انفسهم يظلمون» و«خذوه فقلوه ثم المرحم صلوه»، و«فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر»، فالامر فيه لا يمدو ان يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي، اذاً، شبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص^(١)، ولا تطيل الوقوف مع هذا الرأي بالتعليق عليه او بيان صلته بمكرة وردت عند ابن الاثير، ويتابع رأي العلماء العلماء الذين يرون ان تقديم المفعول به يكون للاحتصاص، فان قلت: زيداً ضربت، فانك تعني: ما ضربت الا زيداً، يقول الزعشمري في «اياك نعبد واياك نستعين»، والمعنى: نحضك بالمباداة ونخصك بطلب المونة^(٢)، ويقول القرطبي: «... ان قيل: لم قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم....، وايضاً لئلا يتقدم ذكر العبد والمباداة على المعبود^(٣)»، فالتقديم يكون دائماً لعرض يتعلق بالمعنى وليس لعرض يتعلق بالهيئة الشكلية او بموسيقى الكلام، ولا هو تارة لمعنى واخرى لموسيقى الكلام، الامر الذي ذهب اليه ابراهيم اميس في تعليقه على الآيات: «والله جعل لكم من انفسكم أزواجاً» «والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً...» الخ، فهذا التردد يحميه المخرجاني ويراه من الخطأ: «واعلم ان من الخطأ ان ينضم الامر في تقديم الشيء وتأخير قسيين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وان يعطى تارة بالعناية واخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قواعده ولذاك سجنه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا

(١) من اسرار اللغة - ابراهيم اميس ص ٢٢٢، وانظر له رأياً آخر غلاماً هذا الرأي في

المرجع ذاته ص ٢١١

(٢) الكتاب، ٦٢/١

(٣) تفسير القرطبي ١٤٥/١.

بدل اخرى، فمقى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام انه قد اختص بفائدة، لا تكون تلك الفائدة مع التأخر، فقد وجب ان تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء ان يدعى كذلك في عموم الاحوال، فاما ان يجعله بين بين، فيزعم انه للفائدة في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في اللفظ فما ينبغي ان يرغب عن القول به^(١).

وقد جاء التقديم والتأخير في كلام العرب واشعارهم كثيراً، فصلاً عما جاء منه في اروع كتاب بياني عرفته العربية (القرآن الكريم)، فجاء التقديم على صور متعددة، منها تقديم المفعول على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل، وجاء تقديم شبه الجملة على الفاعل، وعلى الفعل، وجاء تقديم الخبر، وتقديم المضلات في حدود نص عليها النحاة. ووراء كل تقديم غرض يتعلق بالمعنى، ننظر الى الآيتين: «لقد وعدنا هذا عن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين^(٢)»، «لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل، ان هذا الا اساطير الاولين^(٣)»، بتقديم (هذا) في الاولى وتأخيرها في الثانية، يقول الرمشتري: «فان قلت: قدم في هذه الآية (هذا) ... قلت: التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وان الكلام انما سيق لأجله، ففي احدى الآيتين دليل على ان اتخاذ المبحث هو الذي تمسك بالكلام، وفي الاخرى على أن اتخاذ المبحث بذلك الصدد^(٤)». والى مثل هذا اشار ابو السعود بقوله: «وتقديم الموعود على نحن، لأنه المقصود بالذكر، وحيث أخر قصد به

(١) دلائل الاعجاز: ص ٧٦ - ٧٧

(٢) النمل: ٦٧

(٣) الترمذ: ٨٣

(٤) الكتاب: ١٥٨/٣

الميموث، والجملة استئناف مسوق لتقدير الانكار، وتصديرها بالمسم لمريد من التأكيد^(١). وفي تطبيقه على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ من أملاق نحن نرزقكم وإياهم^(٢)، و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ أَمْلَاقِ﴾ نحن برزقهم وإياكم^(٣)، يقول: «في الآية الأولى قدم ضمير المخاطبين على الأولاد، وفي الثانية قدم ضمير الأولاد على المخاطبين، لأن الخطاب في الأولى للمعراء، بدليل: من أملاق، الذي يعيد أنهم في عمر، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم، لأنهم في حاجة إليه، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للاغنياء، بدليل: حشية أملاق، فإن الحشية إنما تكون من امر لم يقع بعد، فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو موضع الاهتمام دون رزقهم، فبرزقهم حاصل، فقدم الوعد برزق الأولاد على رزقهم^(٤)».

فما هو واضح من الأمثلة السابقة تطبيقاً لما جاء في أقوال العلماء أن الترتيب أمر يراد به سرّاً من اسرار العربية، ووسيلة يقرب بها المعنى العميق والدلالة البعيدة. وقد سلك فيه العلماء سبيلين: سبيل السهو وسبيل السلاعة، فقد وضع ابن جني فصلاً كاملاً في كتابه الخصائص للحديث عن التقديم والتأخير بحث فيه اضربه وما يجوز فيه وما لا يجوز، وما يقبله القياس وما يُعمد إليه اضطراباً^(٥)، ونراه في هذا الفصل يهجم نهج البلاغي الذي يبعث عن المعنى، ولكنه لا يلبث أن يمود إلى المعايير السهوية التي كانت قد تأصلت وارسيت دعائمها، يقول: «وكما لا يجوز تقديم الفاعل على العمل، فكذلك لا يجوز تقديم ما

(١) تفسير أبي السعود ٢/٢٩٨.

(٢) الامام ١٥١.

(٣) الاخرى: ٣١.

(٤) وانظر: خصائص التراكم - محمد أبو موسى، ص ٢٩٤.

(٥) الخصائص ٢/٢٨٢، ٢٨٥.

أقيم مقام الفاعل، كضرب زيد^(١)، ويضيف مؤكداً منهجه النحوي الذي يطبق فيه قواعد شكلية منبثقة من الحركة الاعرابية والبحث عن تبريرها: «ومعد فليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه، فاما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه» لأن رافعه ليس المبتدأ وحده، اما ارافع له المبتدأ والابتداء جميعاً، فلم يتقدم الخبر عليها معاً، واما تقدم على احدهما، وهو المبتدأ، فهذا لا ينتقض^(٢)، وليس هذا بالامر الغريب فقد احتلظ المنهجان البلاغي والنحوي عند كثير من علماء هذه الحقبة، فغلبت الصنعة الشكلية المعنى في أبحاث قسم منهم، واستطاع آخرون ان يوازنوا بين اللفظ وما فيه من قرائن، والمعنى الذي يعتزم المتكلم ان يوصله الى السامع، فعلاً، يرى هؤلاء انه اذا انتفى الإعراب اللفظي في الفاعل والمفعول معاً مع انتفاء القرينة الدالة على تمييز احدهما عن الآخر، وجب تقديم الفاعل، لأنه اذا انتفت العلامة الموضوعية للتمييز بينهما، والقرائن اللفظية والمعنوية التي قد توجد في بعض التراكيب دالة على الفاعل والمفعول، فإن كل واحد يقع في مكانه الذي هو له قياساً على ما جاء عن العرب في اطار الجملة العملية او الاسمية، مثل: اكرم موسى عيسى^(٣).

قلنا إن الترتيب الذي هو نقل مورع من موقع اصل له الى موقع جديد معيماً بذلك نط الجملة، وناقلاً معناها الى معنى جديد تربطه بالمعنى الاول رابطة واضحة، هو عنصر من عناصر التحويل، فالجملة^(٤)

(١) السابق

(٢) السابق.

(٣) انظر الكافية في النحو ٧٢/١، وانظر: قام حسان: اللغة العربية في مبناها ومماها ٢٠٧ وما بعدها.

(٤) وانظر في ترتيب الجملة العملية. الاشياء والنظائر ٢٦٦/١، وشرح الصريح ٣٠٩/١.

(أ) اكرم خالد علياً هي جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على اي جزء من اجزاء المعنى، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم الى صورة (فونولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع فيدرك المطلوب منها وهو الاخبار لا غير، ولكن اذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من اجزائه ولاظهار عنايته واهتمامه به، فانه يقدم ذاك الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد. اما ان كان المتكلم يقصد من الجملة (ب) خالد اكرم علياً. أو من الجملة (ج) علياً اكرم خالد، ما يقصده من الجملة التوليدية (أ) فانه قد اخطأ جادة الصواب، وعبر بعبر ما كان عليه ان يعبر به، وقدماً قال سيبويه وغيره «والعرب ان ارادت العناية بشيء قدمته»، فالجملة (أ) جملة توليدية فعلية جاءت طبقاً لنمط من أنماط الجملة الفعلية في اللغة العربية، اما الجملتان (ب، ج) فهما جملتان تحويليتان فعليتان كان التحويل فيها باستخدام عنصر الترتيب، للتركيز في أولاهما على محدث الحدث، وفي الثانية على من وقع له الحدث، فهما (الماعل والمفعول) يؤكدان بالتقديم، وقد اجاز نحاة البصرة والكوفة ان تسمى الجملة (ج) جملة فعلية (علياً) فيها مفعول به مقدّم، ولكن نحاة البصرة رفضوا ان تسمى الجملة (ب) جملة فعلية فاعلها مقدّم، وذلك للتأثر في الحالة الاعرابية بين الماعل المقدم والاسم الواقع في صدر الجملة (المبتدأ)، قياساً على ان الكلمة في النمط الجملي الاصل (وكلمة الاصل هنا فرضية قوية) تأخذ اسماً لا يتميز بتغير موقع المفعول به، واعتاداً على تحقيق المعنى، فاننا نرى ان الماعل وهو المحدث للحدث الذي وقع على المفعول به، ارتضاءً لما جاء عن اهل الكوفة، هو الفاعل تقدم او تأخر، وما التغير الا لغرض يريد المتكلم في معنى الجملة وليس في مبناها الشكلي الظاهر. فالجملتان (ب، ج) جملتان تحويليتان فعليتان مؤكّدتان، كان التوكيد في احدهما للماعل، فهو فاعل مقدم لغرض التوكيد، وفي الثانية للمفعول به، فهو مفعول به

مقدم لعرض التوكيد^(١) وكذلك الحال في قولنا: الرسول محمد، فإن (محمد) هي المستند متأخر أم تقدم ولا تكون كلمة (الرسول) مبتدأ، فهي جلة تحويلية اسمية الخبر فيها مقدم لعرض التوكيد. وجلتها التوليدية هي: محمد رسول، ثم تحولت الى: محمد الرسول باستخدام عنصر من عناصر التحويل وهو الريادة. وسنعرضه بعد قليل - ثم جرى فيها تقديم فاصبحت: ال + رسول + محمد.

—————
خبر + مبتدأ

وبعد هذا العرض نقتبس عدداً من الآيات القرآنية التي جاء فيها العاقل مقدماً على فعله، ليظهر فيها القارئ ويتدبر ما فيها من معنى التوكيد، في قضايا لا يكون التوكيد فيها على الحدث، فالحدث قائم واقع لا يجادل فيه احد، ولكن المجدل الطويل كان في من يحدث هذا الحدث او يقدر عليه، ولو قرأنا القرآن مرة اخرى لوجدنا عدداً كبيراً من الآيات المماثلة ولكن ترتيبها جاء على المسح الاصل، فلعل القارئ يتدبر النوعين ويرى ما جاء في كتب التفسير ليرى قيمة الترتيب.

يقول تعالى:

﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ سورة التوبة الآية ٢٥.
﴿قل الله يدور الخلق ثم يعيده فاني توفكون﴾ سورة التوبة: الآية ٣٤.

﴿قل آله ادن لكم ام على الله تغفرون﴾ سورة التوبة الآية ٥٩.
﴿الله يعلم ما تحمل كل اشي﴾ سورة الرعد الآية ٨.

(١) انظر حليل عابره: رأي في انماط الجملة في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت عدد ٨

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ سورة الرعد الآية ٢٦ .
 ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ سورة الحج الآية ٧٥ .
 ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾ سورة طاهر
 الآية ١١ .
 ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾ سورة الزمر الآية ٤٢ .

٢) الزيادة: وتقصّد بالزيادة عنصراً من عناصر التحويل، ما يضاف الى الجملة المواة من كلمات يعبر عنها السحاة بالفضلات او التتات او عبر ذلك، ويعبر عنها البلاغيون بالقييد، يضاف الى الجملة الاصل Kernel Sentence^(١) لتحقيق ريادة في المعنى، فكل زيادة في المبنى تعني ريادة في المعنى، فنقول مثلاً: حضر محمد، ثم نصيف (باسماً)، لسبب حال محمد عندما حضر، ولا بد لكل كلمة تضاف الى الجملة ان تسير في خط المبنى قبل ان تعطي معنى، اد أنها تمثل حرفي لباب نحوي، وبلاستقراء الذي قدمه سلماً من السحاة واللغويين القدماء فاننا نعرف لكل باب نحوي حالة اعرابية يُعبر عنها بحركة، فكل كلمة (باسماً) جاءت مثلاً صرفياً لباب الحال ويمكن ان يكون غيرها فيه، فيقال ضاحكاً او مسروراً او غابساً او... الخ، فان لم تأخذ الكلمة الحركة الاعرابية المخصصة للباب النحوي فانها لم تحقق البند الاول من بود كونها جملة صحيحة في اللغة العربية، وهو سلامة البنية الشكلية، اذ أن سلامة البنية الشكلية في الجملة العربية تقتضي ان تحقق الحركة الاعرابية قياساً على ما جاء عن العرب وبينه النحاة بوضع حركة اعرابية لكل

(١) وانظر E. Bach, syntactic Theory, P. 134.

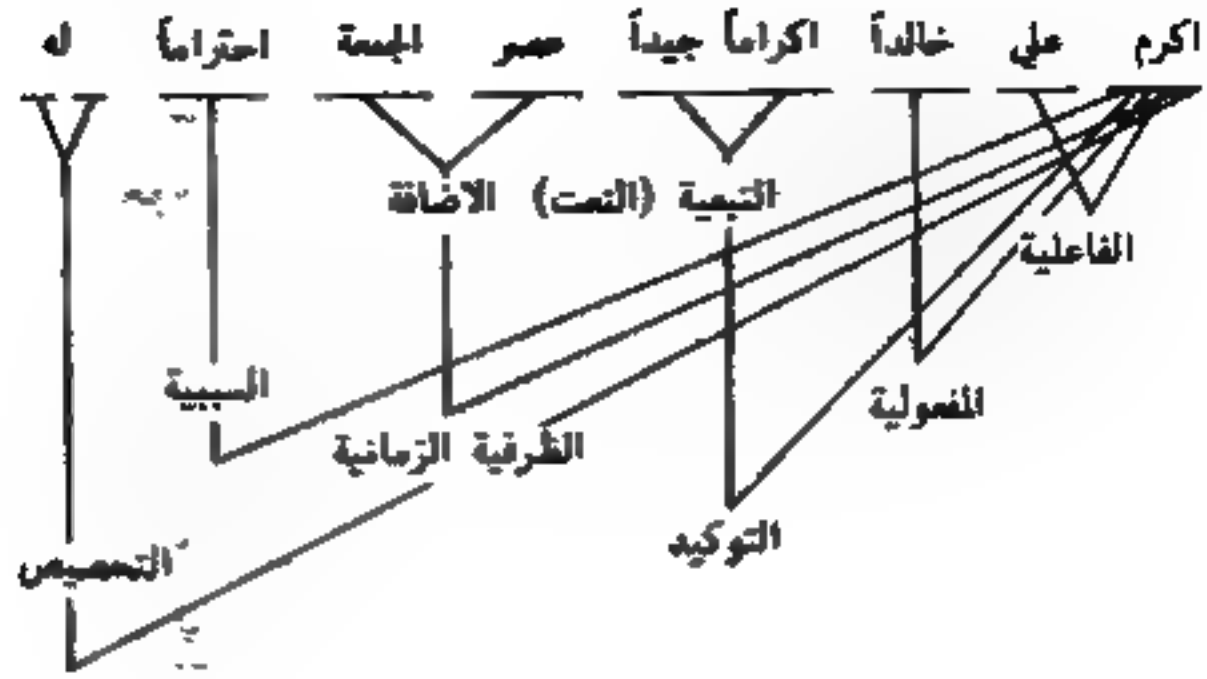
Jacobs and Rosenbaum, Transformations, Style and meaning, M. I. T. Press, 1971, P. 20

باب يجب ان تأخذ الكلمة التي تأتي عملة للباب في الجملة، الا ان تكون مبنية فتكتفي بحركتها (حركة البناء) دون ان تكون في محل نصب او رفع او جر او جزم، وقياساً على ما جاء عن العرب في ترتيب هذه الكلمات وما يجوز فيه وما لا يجوز، وقياساً على ما جاء عن العرب من اوجه المطابقة في العدد والجنس، وسمي هذا كله القياس اللعوي. فالجملة (أ) كتب محمد الكتاب، جملة توليدية فعلية يمكن ان تتحول قياساً على ما جاء عن العرب الى (ب) الكتاب كتب محمد، او الى (ج) محمد كتب الكتاب، او الى (د) كتب الكتاب محمد، ولكنها لا تتحول الى (هـ) محمد الكتاب كتب، مع ان كل كلمة قد اخذت حركتها التي يجب ان تأخذها، ولكن هذا الترتيب (SOV) او الترتيب (OSV) لم يردا في العربية الفصحى ليقاس عليهما. وكذلك عندما نقول: كتبت هذا فان (هذا) هي المفعول به اخذ حركة البناء لأنه وان كان عملاً لباب المفعول به الذي حاله النصب وحركته مع المفرد العتحة الا انه لا يقبل تغيير حركة البناء فهو مفعول به وكى. ونقول: جاء من يتقي الله، فان (مَنْ) هي الماعل بمنلة لبابه السحوي وان لم تأخذ حركته (الضمة) لأنها مسية، ولا حاجة بنا الى القول هو مبني على... في محل.... لان الحركة هنا ليست بما يجب ان يظهر ولا دور لها في اداء المعنى، ولا في صحة المبني، ومن ثم فذكرها مقدرة هو امر مخالف لما عليه اللغة ولما كانت عليه سليقة العربي ومطرته اللعوية. ونقول ايضاً: جاء الطالب، وجاءت الطالبة، وحضرت الطالبات، الطلاب حاضرون، فيتم التطابق قياساً لغوياً على ما جاء عن العرب، ولكن هذا التطابق قد يهدر، وذلك قياساً على ما جاء عن العرب ايضاً، فيكون ابرازه محالة لتحقيق سلامة البنية الشكلية للجملة العربية، فلو قال قائل: كتبت البنات، جمعاً للجملة: كتبت البنات، لما كانت تلك جملة عربية، وهما مصحح الخطط التالي الذي يبين كيف تمثل الكلمة الباب السحوي.

حركة الباب النحوي	الرفع - الخفض النون	الرفع - الخفض الألف الواو -	النصب - الفتحة الألف الياء	النصب ...
الباب النحوي	الفعل المضارع	الفاعل	المفعول به	المفعول له
الممثل الصرفي	يكتب ، يدرس يلعب ، يضرب يحترم ... الخ	علي ، خالد ، المهندسون ولدان سمير ، هذا ، هو	الكرة ، اتاك الولدان .. الخ	اجلاً ، احتراماً تكريماً ، عقاباً

بعد ان تأخذ الكلمة موقعها من الجملة محققة سلامة البنية الشكلية في الجملة قياساً على ما جاء عن العرب، فانها ترتبط من حيث المعنى بمركز الجملة^(١)، ومركز الجملة او بؤرتها في الجملة التوليدية او التحويلية الفعلية هو الفعل ولا نقول الفاعل (المسند اليه) وذلك لأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة تحققان ما يسمى التلازم - وسنعرضه بعد قليل - فالفاعل يرتبط بالعمل ويصبح جزءاً منه، وما يضاف الى الجملة من كلمات يرتبط بها ارتباط الدوائر المحيطة بالنواة بها هكذا:

(١) انظر: خليل عايد: البنية التحتية بين عبد الناصر الجرجاني وشومسكي، مجلة الميصل عدد ٧٠، ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ.



يقول الجرجاني: «واعلم ان مثل واضح الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب او العضة، فيذيب بعضها في بعض حتى يصير قطعة واحدة، وذلك انك اذا قلت: ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له، فانك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد انفس معانيها، وانما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، والاحكام التي هي محمول التعلق، واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المفعولية من (عمرو) وكون يوم الجمعة زماناً للضرب، وكون الضرب ضرباً شديداً، وكون التأديب علّة للضرب، أيتصور فيها ان تفرد عن المعنى الاول الذي هو اصل العائدة، وهو اسناد الضرب الى زيد واثبات الضرب به له حتى يعقل كون عمرو مفعولاً به وكون يوم الجمعة مفعولاً فيه، وكون ضرباً شديداً مصدرًا، وكون التأديب مفعولاً له من غير أن يحظر ببالك كون زيد فاعلاً للضرب؟ واذا نظرنا وجدنا ذلك لا يُصور لأن عمراً مفعول

لضرب وقع من زيد عليه، ويوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد، وضرباً شديداً بيان لفلك الضرب كيف هو وما صفتة، والتأديب علة له وبيان انه كان الغرض منه، وإذا كان ذلك كذلك بان منه، وثبت ان المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان، وهو اثباتك ربدأ فاعلاً ضرباً لصر في وقت كذا وعلى صفة كذا ولعرص كذا، ولهذا للمعنى نقول: انه كلام واحد^(١).

فكل كلمة في الجملة ترتبط بالبوثة فيها والتي هي العمل مع فاعله بسبب وعلاقة معينة، وإذا يتحقق النظم في الجملة «ومعلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض^(٢)»، «فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذلك^(٣)» ويتحقق القياس اللغوي على ما قالته العرب ووصفه نخاع العربية القدماء في الجانب الوصفي من جهدهم السحوي العملاق، ولعل هذا هو ما قصده الجرجاني بقوله: «واعلم ان ليس النظم الا ان تصح كلامك الوصف الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قواعبه واصوله، وتعرف مساهجه التي نهجت، فلا تزيج عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها^(٤)»، وتعطي لكل كلمة حركتها التي وضعت لها بعد ان تصح الوصف الذي يجسد المعنى الذي في نفسك «... وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتاج الى ان تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ...» وان اذ لم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في السطق^(٥)، او كما يقول علي بن محمد الجرجاني في تعريفاته مرمزاً السحو

(١) دلائل الاعجاز: شرح مختصي ص ٣٧٦.

(٢) دلائل الاعجاز: شرح عبد النعم مختصي - مكتبة القاهرة ١٩٦٩ م، ص ٤٤.

(٣) السابق: ص ٩٧.

(٤) السابق: ص ١١٧.

(٥) دلائل الاعجاز ص ٩٣.

او السطم بأنه «تأليف الكلمات والمجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»^(١)، فقد يحصل تقديم او تأخير في مورفيمات الجملة فتصبح-

على اكرم حالداً اكراماً جيداً عصر الجمعة احتراماً له، او يتقدم فيها المفعول على الفعل والفاعل فتصبح:
حالداً اكرم على.....

او يتقدم الظرف على الفعل والفاعل والمفعول به متصديراً الجملة، وفي الحالات كلها تبني الجملة جملة تحويلية فعلية قدم فيها الفاعل او المفعول او الظرف لفرص في المص، ويبقى ارتباط هذه المورفيمات، تقدمت او تأخرت، بالبوّرة هو ارتباطها السابق، وتبقى حركتها هي حركتها التي كانت لها اول مرة. فهي جملة تحويلية او مُنتجة من الجملة التوليدية اكرم على حالداً (VSO).

وهناك عناصر تدخل على الجملة التوليدية الفعلية واخر تدخل على الجملة التوليدية الاسمية، فتؤدي معنى جديداً يضاف اليها، فتتحول الجملة الى تحويلية اسمية او فعلية، ويقتضي هذا المصير الجديد حركة في المبتدأ او في الخبر او في الفعل، ولا يكون لهذه الحركة دور في المعنى وانما هي حركة اقتضاء ليس غير وانما الدور للمعنى ذاته، فنقول (في كان واخوانها وان واخوانها وفي قسم من اعمال الشروع والرجعان والمقاربة): (أ) علي مجتهد، واذا ما دخلت عليها كان أو احدى اخواتها ومن عناصر زمن لا غير، ولذا فان ايّاً ممن حيسا تشير الى حدث مع ما فيها من اشارة الى الزمن تنتهي علاقتها بهذا الباب وتنصح فعلاً تاماً يحتاج الى ما يحتاج اليه الفعل التام، فاما نصيح مثلاً

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ١٩٣٨، ص ٢١٦.

(ب) كان، أصبح، امسى، ما زال، علي مجتهداً، او
(ج) ان ليت، لعل، علياً مجتهداً،

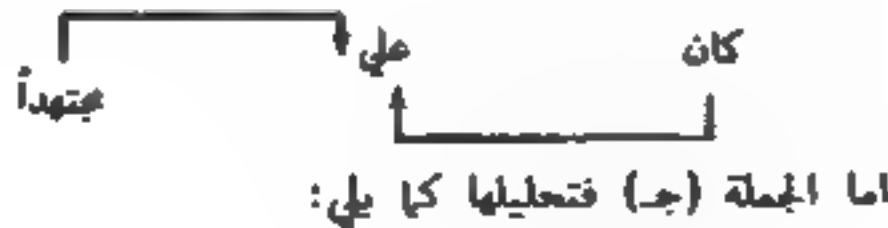
فكلمة (علي) في (أ، ب، ج) هي المبتدأ ولكنها في (أ) احدث
الصمة على الاصل في القياس اللغوي، وفي (ب) ظلت على ما هي عليه
واخذ الخبر (مجتهداً) الفتحة اقتضاء لكان.... وفي (ج) اخذ المبتدأ
الفتحة اقتضاء لان.... واما الخبر فهو على ما هو عليه، وهذا يذكرنا بما
تقوله فئة من النحاة في توضيهم عمل كان واحواتها وعمل ان
واخواتها بان الاولى تدخل على الجملة الاسمية فت نصب الخبر ويسمى
خبرها ويبقى المبتدأ مرفوعاً ويسمى اسمها، واما الثانية فت نصب المبتدأ
ويسمى اسمها ويبقى الخبر مرفوعاً ويسمى خبرها^(١). فيكون تحليل
الجملة (ب) كما يلي:

كان: عنصر الاشارة إلى الزمن الماضي.

علي: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه.... (او مسند اليه مرفوع....)
مجتهداً: خبر اخذ الفتحة اقتضاء لكان، (او مسند اخذ
الفتحة....)، (قياساً على ما جاء عن العرب) ويكون تحليلها من حيث
المعنى كما يلي:

عنصر زمن ماض (مسند اليه مسند)

= جملة تحويلية اسمية تحولت في معناها الى الزمن.... ويكون
الترايط بين كلمتها كما يلي (يشير رأس السهم الى مركز الارتباط).



(١) انظر السيوطي، المعجم ١/١١١.

ان: عنصر توكيد.

علياً: مبتدأ اخذ الفتحة اقتضاء لأن (مسند اليه اخذ...)

مجتهد: خبر مرفوع وعلامة رفعه... (مسند مرفوع....)

ويكون تحليل معناها كما يلي^(١):

عنصر توكيد (ونرمز له بالرمز: N°)

N° (مسند اليه، مسند)

= جملة مؤكدة بكاملها يؤكد واحد وهي جملة تحويلية اسمية. ويكون

الترابط فيها كما يلي:



وقد يضاف اليها عنصر آخر فتصح (د) ان علماً لمجتهد، ويكون

اعرابها كالسابقة مع الإشارة الى ان اللام في المجتهد هي عنصر توكيد

تؤكد الجزء الذي تلتصق به، وهذا هو رأي اهل الكوفة الذين يرون

ان اللام عندما تدخل في خبر ان كما في قوله تعالى: ﴿أنا لقادرون على

ان نبدل أمثالكم﴾ وفي غيرها تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده و(أنَّ

تؤكد الاسم^(٢)، ولكننا نقول: إن (انَّ) تؤكد الجملة التي يرتبط فيها

الخبر بالبؤرة التي هي المبتدأ، وتؤكد اللام الخبر وحده، فيكون تحليلها

كما يلي:

√ (مسند اليه + √ (مسند)^(٣)

= جملة تحويلية اسمية مؤكدة يؤكد واحد، والخبر فيها (المسند) يؤكد

بمؤكدتين.

(١) انظر خليل عايد، رأي في بعض اقاط التركيب الجملي في اللغة العربية في صو،

علم اللغة المعاصر المجلد العربة للعلوم الانسانية الكويت عدد ٨.

(٢) انظر المسح ٤٠/١، الامام للرجائي: ص ٦٠.

(٣) √ معنى عنصر توكيد

اما الجملة (ب) فانها قد تصبح: ليس علي مجتهد، فيكون اعرابها كما يلي:

ليس: عنصر نفي

علي: مبتدأ (او مسند اليه) مرفوع وعلامة رفعه...

الباء: حرف توكيد.

مجتهد: مسند (حبر) اخذ الكسرة اقتضاء للباء

وليست هناك حاجة، بل ولا مبرر للقول بان الباء حرف جر زائد، ومجتهد مجرور لمطأ منصوب عملاً، وما دفع النحاة الى مثل هذا القول الا مطاردتهم بشغف لما يسمى تبرير الحركة الاعرابية بعمل عامل وان لكل عامل عملاً ان لم تظهر حركته قدرت، وان لم تقتضها البنية الشكلية او يقتضيا المعنى. وتحليل معابها كما يلي:

عنصر نفي (مسند اليه + لا (مسنداً))

= جملة تحويلية اسية منفية، المسند فيها مؤكد في النفي.

ويكون ارتباط الكلمات فيها كما يلي:



وقد يحصل اجتناع عنصري تحويل او اكثر في جملة واحدة، يؤدي كل منها دوره في المعنى فنقول مثلاً.

(أ) علي كان مجتهداً.

(ب) علي كان هو مجتهداً،

(ج) علي ليس بمجتهد،

فالجملة (أ) قد جرى فيها تحويل بعد الريادة فاصبحت كما يلي:

علي: مبتدأ تقدم للتخصيص او للتحديد أي ان من قد خص بالكلام

هو علي وليس غيره، وكان: عنصر اشارة الى الراس الماضي.

ومجتهداً: خبر اخذ الفتحة اقتضاء لكان...

أما الجملة (ب) فقد ظهر فيها الضمير (هو) العائد على (علي) وهو (علي) في حقيقة الأمر، فالجملة في أصلها: علي مجتهد، ثم أراد المتكلم أن يؤكد (علي) فقال:

علي علي مجتهد، ثم أراد أن يدخل عنصر الإشارة إلى الزمن الماضي فأصبحت: كان علي علي مجتهداً، ثم أراد مزيداً من التوكيد لـ (علي) فقدمه فأصبحت: علي كان علي مجتهداً، ونحن نعلم أن العربية تفضل في مثل هذا التركيب استبدال الضمير بالاسم فتصبح الجملة:

علي كان هو مجتهداً.

والضمير (هو) توكيد لـ علي كما أن (علي) الثانية هي توكيد لـ علي الأولى في التحويل السابق عليها (علي علي مجتهد)، وهذا يتفق مع ما يذهب إليه أهل البصرة في جواز تقديم خبر كان وأخواتها عليها، وفي جواز تقديم خبر كان على اسمها، وهو الأمر الذي يرفضه أهل الكوفة لأنهم يرون في خبرها ضميراً يعود على اسمها فلا يتقدم عليه^(١)، وهذا ما رده أبو حيان في تمليقه على الآية: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) قائلاً: «ان الله قدّم (حقاً) وهي خبر كان مبالغة في التحميم وتبشيراً للرسول وأمنه، ولأن الخبر هو محط الاهتمام والفائدة»^(٣)، وينطبق هذا التحليل على الجملة (جـ) مع ملاحظة ما في ليس من نفي وما في الباء من توكيد النفي في المسند.

وقد تأتي الزيادة في الجملة التحويلية الاسمية بإضافة عنصري توكيد في صدرها:

والله أن علياً مجتهد.

(١) الجمع ١١٧/١.

(٢) الردم ٤٧.

(٣) البحر المحيط: ١٧٨/٧.

فتكون مراحل التحويل التي قد مرت بها الجملة كما يلي:

١ - مسند اليه + مسند = جملة توليدية اسمية.

٢ - V (مسند اليه + مسند) - جملة تحويلية اسمية مؤكدة يؤكد واحد.

٣ - V (مسند اليه + V (مسند) = جملة تحويلية اسمية مؤكدة والمسند فيها يؤكد يؤكدان.

٤ - V V (مسند اليه + V (مسند) = جملة مؤكدة يؤكدان والمسند فيها يؤكد بثلاثة مؤكّدات.

وأما قول النحاة بأن: والله، جملة قسم مكونة من مبتدأ مرفوع لفظاً مرفوع محلاً (الله) وحبر محذوف تقديره قسمي، فقول تنقصه الدقة من جوانب منها: ان كلمة (الله) مجرورة لوقوعها بعد الواو، ولم ينص احد من النحاة على ان الواو يمكن ان تدرج في باب حروف الجر، ولكنهم لم حاجتهم لجعل هذا اللفظ جملة تامة، اسمية في تركيبها، فقد كان عليهم ان يجعلوا هذه الكلمة موضع نزاع بين اللفظ (بالكسرة) وما يجب ان تأخذه الكلمة في صدر الجملة الاسمية (المبتدأ) فقالوا: مرفوع مرفوع، او في محل.... ومنها أيضاً انك لو سلمت جدلاً بأن (والله) جملة، فانها لا تعطي معنى يحسن السكوت عليه^(١)، ويقول ابن جني: «... وكذلك لو قلت في حكاية القسم: حلفت بالله، اي كان قسمي هذا لكان كلاماً (والكلام عنده رديف للجملة) لكونه مستقلاً، ولو اردت به صريح القسم لكان قولاً من حيث كان ناقصاً لاحتياجه الى جوابه^(٢)»، يقول: لاحتياجه الى جوابه وليس الى جملة، حواه، ونرى

(١) وانظر سيبويه: ٧/١، الخصائص: ٣٢/١، شرح الفصل ١٨/١ - ٢٠.

(٢) الخصائص: ١٩/١.

ان السيوطي قد ادرك التعارض بين تعريف الجملة وشرطها الاول في افادة معنى يحسن السكوت عليه، وكون ما يسمى في عرف النحاة جملة.. جواب... فنص على ما بينها من تباين: «واما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعه شرطاً او جواباً او صلة، فاطلاق مجازي^(١)». ما يسميه النحاة جملة قسم هو في حقيقة امره عنصر تحويل يفيد التوكيد، بل ويميد درجة عالية من درجات التوكيد، ولا يكون الا لتوكيد حقيقة يحتاج السامع ادراكها فيؤكد بها المتكلم: «والعصر ان الانسان لفي خسر...» فاقسم بها يؤكد الجملة الاصل التي هي: الانسان في خسر، بعد ان دخلها عنصر من عناصر التحويل للتوكيد (ان) مؤكداً الجملة كاملة، وعنصر التوكيد (اللام) لتوكيد الخبر فاصبحت الجملة مؤكدة يؤكدان والخبر فيها مؤكد بثلاثة مؤكدات. وما الكسرة على كلمة (الله) المقسم به الا حركة اقتضاء للواو في معنى القسم وليس عملاً لها او بتأثير منها، لأن الذي يفيد القسم هو الحرف (الواو) مع المقسم به.

والعصر ان الانسان ل في خسر
 ل ل ل ل ل

وقد يأتي في صدر الجملة التوليدية الاسمية اداة تفيد التوكيد بدرجة أقوى مما تفيده (أن) حتى عدّها عدد من النحاة المبرزين مفيدة لأرفع درجة من درجات التوكيد^(٢)، وهي (أنا) وليست مكونة من كافة ومكفوفة كما ألما هذا عند النحاة، فالمرابي كان يتكلم بما في ذهنه سليقة، دون معرفة بالعامة او الكافة، وما كان القول بهدين المصطلحين الا لتبرير الحركة الاعرابية التي هي الصمة - ها - على

(١) المهم: ١٣/١.

(٢) انظر: البحر المحيط..

الاسم بعد انما في: انما الرسول محمد، فقد كُفِت (ان) عن العمل بدحول (ما) عليها، وفي حقيقة الامر هي اداة برأسها تفيد معنى بعينه، ولا تقتضي حركة، فيبقى كل من المبتدأ والخبر على حالهما، ويكون اعرابها انما: عنصر توكيد، واعراب الجملة بعدها كما هو في اعراب الجملة التوليدية الأصل، ولكن الجملة بكاملها جملة مؤكدة وهي تحويلية اسمية، وهكذا الحال فيما يسمى أخوات (ان) عند وجودها ادوات على غير ما هي عليه مقتضية حالة النصب في المبتدأ باستثناء (ليت) التي جاء الاستقرار لما جاء عن العرب بحركة اقتضاء على المبتدأ وبدونها. فتكون هذه الادوات في اعرابها محقة معاهها، والاعراب فرع المعنى، فهي اداة تم او ترج او استدراك او تشبيه.

ومن الادوات التي تضاف في صدر الجملة التوليدية الاسمية والفعلية، فتتحول الى تحويلية اسمية او فعلية، ولكنها تحمل معنى غير الذي كانت تفيد قبل دخول الاداة: هل والهمزة. فنقول: هل حضر علي، فالجملة التوليدية الفعلية هي: حضر علي (VS) فدخلت عليها

(هل) لتحولها الى جملة تحويلية فعلية تفيد الاستفهام ولترتبط تركيباً بما يرتبط به المفعول: هل حضر علي، وكذلك في الجملة: أ) محمد حاضر، وفي الجملة ب) أحضر محمد، فان الجملة التوليدية الاسمية هي: محمد حاضر (مسند اليه + مسند) فدخلت الهمزة في الجملة (أ) لتفيد معنى الاستفهام ولتحويل الجملة الى جملة تحويلية اسمية، اما في الثانية (ب) فهي جملة تحويلية اسمية مكونة من (مسند + مسند اليه)، اي ان عنصر الترتيب قد حولها الى جملة تحويلية قدم فيها المسند للعناية والاهتمام، ثم دخلت الهمزة لتبقي الاهتمام بالمسند على ما هو عليه ولكنها لتفيد الاستفهام، وان من له حس لغوي لا يفوته الفرق بين الجملتين أ)

وب)، وما القول: بفاعل مدّ مدّ الخبر في الجملة (ب) إلا من تقاطع الخلط والاضراب بين الحكم بالاسمية والفعلية، فالاسناد قائم بين: حاضر ومحمد، في الجملة (ب) تماماً كما هو في الجملة (أ) ولكن النحاة يرون الشبه بين (حاضر)، اسم الفاعل، والفعل (حضر) وبينها وبين الاسم في قولها خصائص الاسم ولجئتها على وزن الاسم، فجمعوا في حكمهم بين حكم الاسم الواقع في هذا الموقع (في صدر الجملة) فهو مبتدأ، وحكم العمل الواقع في هذا الموقع فكانت حاجته إلى فاعل تقتضي أن تُمدّ كلمة (محمد) هي الفاعل فاخذ البابان (المبتدأ والفعل) يتنازعان كلمة (محمد) فكانت (فاعل مدّ مدّ الخبر). وما هو جدير بالملاحظة أن ما يسمى أسماء الاستفهام إذا تصدرت الجملة التي تضم فعلاً، أي إذا دخلت على الجملة التوليدية الفعلية هي أدوات ليس غير، هدفها تحويل معنى الجملة ولا أثر لها في التركيب في غير المعنى: كيف يحضر علي؟، متى يحضر علي؟... الخ، على غير ما الأمر عليه في الجملة الاسمية التي يكون اسم الاستفهام ركناً رئيساً من أركانها، فالجملة بدونها ناقصة، وليست جملة، إذ أن الجملة هي الحد الأدنى من الكلمات تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فتأتي الزيادة لزيادة في المعنى بعد أن يكتمل إطار الجملة، يقول الجرجاني: «... لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك...» وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن نعمد إلى اسم فتجمله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو نعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تسيع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه، أو تجهيه باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالاً أو تمييزاً، أن تتوحي من كلام هو هو لاثبات معنى أن يصير نفيّاً أو استعهاماً أو تمنياً، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك...^(١).

(١) دلائل الإعجاز - ص ١٠٢.

فالجمل: أين علي؟ كيف حالك؟ متى سفرك؟.... الخ هي جمل توليدية اسمية جاءت طبقاً لاطار من أطر الجملة التوليدية الاسمية، عرّعه النحاة بوجوب تقديم اسم الاستفهام، أما المبتدأ فهو في الجمل الثلاث، علي، حالك، سفرك، وهي كما ترى أسماء معرفة، فهي المبتدأ وأر تأخرت، وتلك: أين، كيف، متى،... الخ هي الخبر، ولم تأخذ حركة الخبر لأنها قد أخذت حركتها الأصل في لسان العرب، وليست هناك حاجة للقول بأنها مبنية في محل.... بل ومن فضول القول أن يقال بهذا على التأويل أو المحل أو التقدير.

ومن الأدوات التي تصاف الى الجملة التوليدية الاسمية ما يسميه نحاة النحاة افعال المدح والذم (نعم وبئس وحيداً)، ولنا بصدد الحديث عن اسمية او فعلية هذه الكلّيات، ولا بصدد القول بوجاهة هذا الرأي او داك، فهذا موضوع قد تحدث فيه كثير من الباحثين من القدماء ومن المحدثين، في كتب او رسائل جامعية او في فصول من كتب او في مقالات او اجاث قصيرة، ويكفي ان ننظر في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف^(٥)، لرى قرع الحجة بالحجة يدعم كل فريق وجهة نظره بحجج منطقية فلسفية يخرج منها بحكم قد اتخذ مسقاً بالعملية او الاسمية، والمريقان يدركان انه لا تنطبق عليها شروط الاسمية ولا شروط العملية، لا فيما وضعه سيويه^(٦) من ان الفعل ما يشير الى حدث وزمن، والاسم ما يشير الى مسمى، ولا فيما وضعه ابن مالك بقوله^(٧):

سماجر والنون والنسدا وأل ومسند للاسم تمييز حصل.

(٥) الانصاف للسائل رقم ١٤٠.

(٦) الكتاب - بولاق ١ - ٢.

(٧) شرح التصريح على التوضيح، الاذهري ص ٢٩، وما بعدها.

تاء، فعلت وابتدأ ويا، افعل، ونون اقبلن فعمل ينجلسي.
ولا فيا يراه بعض المحدثين، نقلاً عن بعض القدماء، من ضرورة
الاسناد بين ما هو مبتدأ أو في حكمه وخبره، وبين ما هو فعل أو في
حكمه وفاعله^(١)، فهذا الصراع والجهد الطويل بين العلماء قائم على
أحاسيسهم بضرورة تصنيف هذه الكلمات في الاسمية أو العملية اعتقاداً
على عناصر شكلية هشة يلتصقون بها في مبادي الكلمات مع اغفال تام لمعناها
في تراكيبها، فالجمل:

أ/١) نعم القائد خالد

ب) خالد نعم القائد

ج) خالد نعم هو

أ/٢) حبذا القائد خالد

ب) خالد حبذا القائد

أ/٣) بشس المقر النار

ب) النار بشس المقر

(أ/١، أ/٢، أ/٣) هي جل نحويبة اسمية، أصلها التوليدي:

أ/١ - خالد قائد

أ/٢ - خالد قائد

أ/٣ - النار مقر

وهي جل اسمية جاء فيها كل من المستدأ والخبر طبقاً لآطار من
أطر الجملة التوليدية الاسمية، ولكن دخلها عنصر من عناصر التحويل
لمرص في المعنى:

أ/١: خالد القائد

أ/٢: خالد القائد

أ/٣: النار المقر

(١) وانظر مهدي القرومي: في النحو العربي ص ١٥ وما بعدها

وذلك لتفيد في (أ/١، أ/٢) معنى التخصيص الذي فيه التعظيم أو التمجيل أو الثناء أو.... المدح، فكانما أراد التكلم ان يخص المتحدث عنه بمعنى خاص وبمرتبة خاصة في القيادة، فقال: خالد القائد وليس غيره مثله نجاحاً أو الهاماً أو مقدرة في القيادة:

خالد + ال + قائد = خالد القائد

فكان دور عنصر التحويل الذي هو دخول (ال) هو دور التخصيص للتعظيم، فتحوّلت الجملة من اطارها الاصل:

اسم معرفة + اسم نكرة
= مسند اليه (مبتدأ) + مسند (خبر)

فكلمة القائد في هذا السياق هي موضع التركيز لإبرار ما فيها من معنى، فجرى عليها تحويل آخر بالترتيب (التقديم والتأخير)، .. وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى ان تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ،....، وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق^(١)، فقدم التكلم موضع الاهتمام والتركيز:

ال قائد خالد
↑ ↑

ولما أراد التكلم مزيداً من المدح والثناء أو التعظيم والاشادة بالتحدث عنه في موضوع معين، هو القيادة في هذين المثالين، فقد ادخل مصراً جديداً من عناصر التحويل وهو الاداة التي تفيد ذلك وهي (يغم) بكسر وسكون أو جيسذا، فليست الاولى مسأخودة من (يغم) بفتح وكسر، ولا لقات فيها تصل الى غان كما يرى ابن حني وابن

(١) دلائل الاعبار ص ٩٢.

عصمور وغيرها، ولا الثانية مكونة من حـب التي هي فعل ماضٍ وفاعل الذي هو (ذا) فتصح الكلمة بكاملها فعلاً لقوة الفعل أو اسماً لشرف الاسمية^(١) فكل منها كلمة قائمة بذاتها لها دورها في المعنى ولا اثر لها في المسمى، وهي عنصر تحويل بالزيادة ويكون ترابط كل ذات الجملة كما يلي:



فالجملة جملة تحويلية اسمية دخلها ثلاثة عناصر تحويل: الترتيب + مع + ال، وهكذا الحال في: بشئ



فأصلها: النار مقر، ثم أضيفت اليها (ال) للتحويل ثم تقدم الخبر على المبتدأ للعناية والاهتمام، ثم دخلتها (بشئ) التي هي أداة تفيد الذم أو المبالغة فيه وإبرار هذا المعنى الذي انتقلت اليه الجملة في معناها وليس في مبنائها وتسميتها، وليست هي أداة مأخوذة من (بشئ) بفتح وكسر.

أما في الجمل (١/ب، ٢/ب، ٣/ب) فقد جرى تحويل باصافة (ال)

(١) انظر الانصاف مسألة ١٤.

التي تميز التعظيم - كما ذكرنا سابقاً - ثم دخلت: نعم وحذا وبش
للتصق بالخبر الذي هو موضوع التعظيم أو التهويل فتبقى كلمة: خالد
في الأولى والثانية، والثالث في الثالثة هي المبتدأ أو المسد اليه، وكلمة
القائد هي الخبر أو المسند، والمقر كذلك في الثالثة. فهي جملة تحويلية
اسمية كان التحويل فيها بالزيادة. أما الجملة (١/ج) فهي جملة تحويلية
اسمية كان التحويل فيها كما يلي:

خالد خالد،

وفي هذه الجملة معنى يحسن السكوت عليه وفيه شيء خفي من
التعظيم والاشادة، ثم دخل الجملة عنصر تحويل يفيد معنى التعظيم
وينص عليه بجلاء وهو (نما) التي هي أداة براسها وليست مأخوذة أو
مشتقة من غيرها. فأصبحت الجملة:

خالد نما خالد.

ومعلوم بدهي ان العربية تحيز استبدال الصمير بالاسم فيعود
الصمير على الظاهر:



أما عناصر الزيادة التي تدخل على الجملة التوليدية العملية، فمنها
ما يقتضي حركة يمينها ومنها ما لا يقتضي، وهي كلها تميز معنى،
وتنقل الجملة من توليدية فعلية الى تحويلية فعلية، فنقول:
«قد أطلع المؤمنون» أصلها: أطلع المؤمنون، ثم دخلت (قد) لتفيد
التحقيق والتوكيد، فالجملة.

✓ (فعل + فاعل) = جملة تحويلية مؤكدة يؤكد واحد.
✓ (V + S)



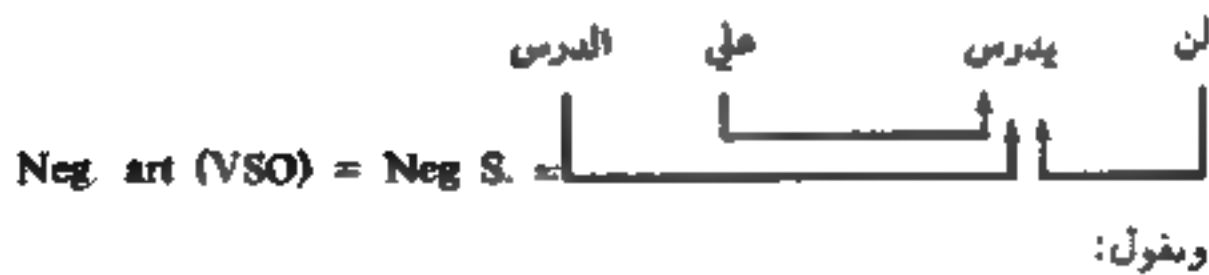
ونقول: قد ينجح الفاسق، فهي جملة تحويلية فعلية جاء عنصر التحويل (قد) ليعيد التقليل والتشكيك.

ومن عناصر التحويل التي تقتضي تغييراً في الحركة الاعرابية وان لم يكن هذه الحركة دور في المعنى الا في قليل من الحالات (مع لا التي للمهي وتقتضي السكون، فتكون السكون قيمة خلافية ولها دور في المعنى) وتبحث في بند الحركة الاعرابية عنصر من عناصر التحويل).

نقول: يدرس عليّ الدرس = جملة توليدية فعلية (VSO)
 لن يدرس علي الدرس = جملة تحويلية فعلية وتحليلها كما يلي:
 لن: عنصر نفي المستقبل (يحول الفعل المضارع الى منفي ويجعله يشير الى المستقبل).

يدرس: فعل مضارع منفي أخذ الفتحة اقتضاءً لـ (لن).
 علي: فاعل (مسند اليه) مرفوع وعلامة رفعه....
 الدرس: مفعول به....

ويكون ترابط المورفيات في الجملة كما يلي:



لم يدرس علي الدرس،

فدحول (لم) التي هي عنصر تحويل نقل معنى الفعل المضارع الى

معنى الماضي واقتضى حركة اعرابية غير الصمة التي على الفعل وهي السكون قياساً على ما جاء عن الناطقين باللغة سليقة وليس بأثر من (لم) أو بعمل منها، ويكون تحليلها.

لم: عنصر نفي وتحويل (محول الفعل المصارع الى معنى الماضي المنفي).

يدرس: فعل مضارع متعدي محول الى معنى الماضي، أحد السكون اقتضاءً لـ (لم).

علي: فاعل....

الدرس: مفعول به.....

وهكذا الحال مع بقية الأدوات، التي تقتضي حركة والتي لا تقتضي، وكلها تكون لمعنى.

ومن عناصر التحويل، أو الأدوات، التي تدخل على الجملة التوليدية الفعلية، فتقتضي تغييراً في ترتيبها لتفيد معنى بعينه بالإضافة الى المعنى الذي يفيد الترتيب، هذه العناصر أو الأدوات المسماة كاد وأخواتها (أفعال المقاربة والرجاء والشروع، وقد اجاد نحاة العربية القدماء عندما وضعوا هذه الأدوات في باب مستقل عن باب كان وأخواتها مع أنهم في اعرابهم يعربونها اعراباً مماثل اعرابهم الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية اذا ما دخلت عليها كان أو إحدى أخواتها. وهي حقاً تماثلها في هذه الحالة، نقول:

أ - كاد علي ينجح، «يكاد زينها يضيء»، كاد علي أن يسبح.

ب - أوشك المطر أن ينهر، ينهر.

ج - كرب القلب ينوب.

د - «عسى ربكم أن يرحمكم».

هـ - أخذ البرد يشتد.

و - جعل الرجل يرسل رسولاً.

فهذه جمل تحويلية فعلية، التوليدية منها كما يلي: ينجح علي، ينهر المطر، يذوب القلب، يرحمكم ربكم، يشتد البرد، يرسل الرجل رسولاً ولكن المتكلم أراد أن يعبر بالجمل (أ، ب، ج) عن معنى المقاربة، أي مقاربة وقوع الحدث الذي هو الفعل (ينجح، أو ينهر، أو يذوب) فاستعمل الاداة التي تفيد ذلك صلاً على أن الحدث لم يحدث ولكنه وصل الى مرحلة قريبة جداً من الوقوع، الوقوع من هو مذكور بعد الاداة بعينه وليس من غيره ففي الجملة (أ) مثلاً، يتحدث المتكلم عن اقتراب علي وليس غيره من النجاح ولكنه لم ينجح، فيكون تحليل الجملة:

كاد: عنصر تحويل يمد اقتراب وقوع الحدث.

علي: فاعل مقدم للعناية والإهتمام.

ينجح: فعل مضارع....

اذ لا فائدة في القول بأن (علي) اسم كاد التي هي فعل صلتها بالفعل ليست قائمة فتسقطه إحدى الركيزتين الرئيسيتين اللتين يقوم عليهما الفعل وهي (الحدث) وليست أدري ان كانت الركيزة الثانية (الزمن) واضحة ام أن الكلمة تفتقر اليها أيضاً، ولا فائدة في البحث لكلمة (ينجح) عن فاعل مستتر تقديره (هو) يعود على (علي)، فترابط الكليات في الجملة:



أما الجملة (د) فاصلها: يرحم ربكم اياكم، فانتقل ضمير النصب المنفصل ليصبح ضميراً متصلاً تقدم على فاعله، ثم تقدم الماعل على

المعل للعاية والاهتمام وليبان أنه هو المختص برحمتكم وليس غيره،
فأصبحت الجملة:

ربكم يرحمكم

ولكن هذه الجملة تحمل معنى الاخبار الذي فيه درجة من التوكيد
بتقديم الفاعل على الفعل عناية به واهتماماً بتقديمه، فان اراد المتكلم أن
يعبر عن معنى الرجاء بالرحمة من الفاعل المقدم للمفعول الذي جاء في
موقعه ترتيباً ولكنه أخذ صورة غير صورة الضمير المنفصل - كما
ذكرنا - والعربية تحبذ مثل هذا الاستبدال، فيكون تحليل الجملة
واصرافها كما يلي:

عسى: عنصر تحويل يفيد الرجاء.

ربكم: فاعل مقدم للعناية والاهتمام (لا نتعرض للضمير المضاف اليه
هنا، فهو مع المضاف كالكلمة الواحدة حكمها واحد محققاً
بذلك ظاهرة التلازم التي سمعناها بالتفصيل في مكانها).
ان: رابط جاء اقتضاء لعسى.

يرحمكم: فعل مضارع اخذ الفتحة اقتضاء لـ (ان).... ومفعول
به.....

ويكون ترابط الكلمات في الجملة كما يلي:



في الجملة (هـ) وردت (أخذ) تشير الى زمن ولا تشير الى حدث، ولما
كان العمل يرتكز على ركنين رئيسين يُعَدُّ فعلاً تاماً يأخذ فاعله أو
فاعله ومفعوله، هما الزمن والحدث، ولما كان ما يسمى بالعمل الناقص
عندما يشير الى حدث بالإضافة الى اشارته الى زمن، و (أخذ) في هذا

المثال (هـ) يختلف عن (أخذ) في: أخذ علي القلم... التي يتجسد فيها الركنان الزمن والمحدث ولا يكتمل معناها الا بذكر الفاعل والمفعول به، لتكون جملة مكونة من الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحس السكون عليه، وتنظم فيها الكلمات طبقاً لإطار من أطر الجملة التوليدية العملية، فان (أخذ) في المثال (هـ) ليست بفعل ولا علاقة لها بالعملية، وهي عنصر تحويل يفيد الإشارة الى زمن ليس غير، فالجملة في أصلها كما يلي:

يشدد البرد (VS) = جملة توليدية فعلية.

ولما أراد المتكلم أن يخص البرد بعناية واهتمام قدمه، والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته، فأصبح فاعلاً مقدماً للعناية والاهتمام، وأصبحت الجملة جملة تحويلية تم فيها التحويل بالترتيب: البرد يشدد، ولكن ليس هذا هو المعنى الذي يريد المتكلم فيتوقف عنده، بل يريد أن يشير الى زمن احساسه بالبرد يشدد، فأدخل عنصر تحويل جديداً (تحويل بالزيادة) لتصبح الجملة: أخذ البرد يشدد. (فأخذ) تشير الى الزمن لا غير، و (البرد) بتقديمها تلفت الانتباه الى ما أخذ يشدد، فهو البرد ليس غير، و (يشدد) هي المحدث الذي ترتبط به الكلمتان في الجملة:

أخذ البرد يشدد


أما الجملة (و) فان أصلها: يرسل رجل رسولاً، ولما كانت كلمة (رجل) فكرة مبهمه الإشارة لا ترتبط بانسان بعينه، والمتحدث يتحدث الى سامع قد سبق له الحديث اليه عن ذاك الرجل، فقد أدخل (ال) المهدية التي تشير الى رجل بعينه عند السامع الذي له عهد بالحديث مع المتكلم فهو عنده معرفة وان كان عند غيره ممن لا عهد له بهذا الحديث بكرة مبهمه وان كانت ال التعريف في أوله، فأصبحت الجملة: يرسل

ال رجل رسولا (VSO) وللنحاة والاهتمام قدّم المتكلم الفاعل الذي هو
 جوهر الموضوع ولب الحديث في هذه الجملة فأصبحت جملة تحويلية
 عملية ثم فيها التحويل بالترتيب:

الرجل يرسل رسولا (SVO)

ثم دخل الجملة عنصر تحويل جديد يشير الى زمن ولا يشير الى
 حدث، (جعل) وكل زيادة في البنى تعطي زيادة في المعنى، فأصبحت
 الجملة:



وهكذا الحال في بقية ما يسمى بأفعال المقاربة والرجاء والشروع،
 يأتي كل منها عنصر تحويل بالإضافة، ليميد معنى جديداً يحول الجملة
 اليه، فتصبح الجملة تحويلية وتحمل الاسم (فعلية) الذي كان لها قبل
 التحويل.

أما ما يسمى جملة الشرط، ويرى النحاة بأنها مكونة من جملتين
 تسمى إحداها جملة فعل الشرط، وتسمى الثانية جملة جواب الشرط،
 فإننا نرى أن الذي دفع النحاة الى هذا القول هو أنهم يرون أنه حيثما
 كان فعل، وجب أن تكون هناك جملة، فالفائل: أن تدرس
 تنجح، يرى النحاة أنه قد وضع جملة مركبة من جملتين (حداها):
 (تدرس) مع فاعلها المستتر والذي تقديره (أنت)، والثانية: (تنجح)
 وفاعلها مستتر تقديره (أنت)، بل وذهب النحاة الى أبعد من ذلك، الى
 القول بأن أداة الشرط العاملة (إن) تعمل الجزم في الفعلين أو في
 الجملتين، فالأولى مجزومة على أنها فعل الشرط، والثانية مجزومة على
 أنها جواب الشرط، ولا يتنحون عن هذا الحكم حتى عندما تكون
 (الجملة الأولى) فعلاً ماضياً وتكون (الجملة الثانية) اسمية:

ان حضرت فأنا مكرمك

فالفعل (حضر) مبني على السكون لإتصاله بضمير الرفع المتحرك في محل جرم فعل الشرط!!! ولو كان بدون ضمير لبني على الفتح وهو في محل جرم!!!، والجملة (أنا مكرمك) مكونة من مبتدأ وخبر، وهي في محل جرم جواب الشرط، في محل جزم مع أنها جملة اسمية!!! والذي براء ان جملة الشرط هي جملة غير مركبة ولكنها جملة تحويلية اسمية أو فعلية، الجملة النواة فيها هو القسم الذي يسميه النحاة جملة جواب الشرط، نقول^(١):

(أ) أن تخرج أخرج.

(ب) أن خرجت خرجت.

(ج) ان تخرج فأنا خارج.

(د) أما خارج إن خرجت.

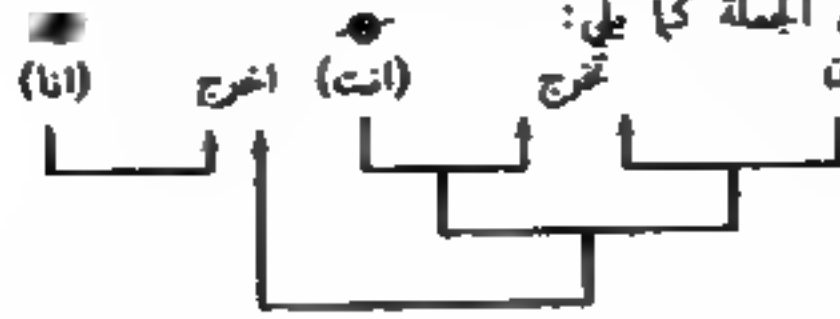
(هـ) أنا ان خرجت خارج.

(و) اذا الشمس غابت طلعت النجوم.

فالجملة النواة في الجملة (أ) هي: اخرج، مكونة من فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أما، فهي جملة توليدية فعلية تعيد الاحبار، ولما لم يكن هذا هو قصد التكلم في هذا السياق، بل أراد أن يشترط لخروجه خروج السامع المخاطب فأتى بما يعبر عن مراده فتحولت الجملة الى جملة تحويلية، ولكنها بقيت جملة فعلية، ولعل مما نود أن نلفت الانتباه اليه في هذا المقام استنتاجاً مما يقوله المخرجاني أن معنى الجملة بالعمل المضارع يختلف في درجة اليقين عنه بالعمل الماضي أو بالجملة الاسمية

(١) هذه الامثلة بأعدها من دلائل الإعجاز - ص ١١٨، وانظر اسرار البلاغة ٨٨ - ٨٩ والاصناف ٨٤، للكاتب ٢/٢٥٤، المحم ٢/٦١، مطبى الفراء ٢/٧٤ - ٧٥.

أو بالتقديم والتأخير كما في الجمل (ب، ج، د، هـ) ويكون ترابط
الكلمات في الجملة كما يلي:



فتكون، أن: عنصر تحويل يفيد الشرط.

تخرج: فعل مضارع أخذ السكون اقتضاء لـ (أن) وفاعلها أنت.
أخرج: فعل مضارع أخذ السكون اقتضاء لـ (أن) وفاعلها أنا
فالعمل (أخرج) مع فاعله (أنا) وهو الجملة النواة هو في الحقيقة فعل
الشرط يتم أن استجاب المستمع وخضع للشرط، وبهذا تكون (أن تخرج
أنت) هي الجواب.

أما الجملة (ب) فإن الجملة النواة فيها هي (خرجت) وهي مماثل في
تحليلها تحليل الجملة السابقة، إلا أن المعنى فيها أرفع درجة في الاحتمال
بالخروج من الجملة الأولى وجاء عنصر التحويل (أن خرجت) فيها (أن)
التي تفيد الشرط وهي مرتبطة بالعمل خرج الذي يرتبط به الضمير
الذي يشير إلى المخاطب المستمع، ولكنها (أن) لا تقتضي هنا حركة،
فليس هناك من حاجة إلى القول: مجزوم محلاً مبني لفظاً.... فإن
الحركة لا تظهر في المبني وليس المعنى بحاجة إليها، بل ونرى أن من
المضول القول بأن هناك حركة هي السكون مقدرة على عمل ما يسمى
بفعل الشرط وعلى عمل ما يسمى بجواب الشرط، في حين أن لا دور
للحركة على أي منها ولم ينطق بها عربي قديم لا في الشاذ ولا في غيره.

وفي الجملة (ج) فإن الجملة النواة هي الجملة الاسمية: (أنا حارح)
وهي أقوى في احتمال الخروج المشروط من الجملتين السابقتين ثم جاء
عنصر التحويل: أن تخرج، فافتضى حركة السكون في المبني قياساً على

ما جاء عن العرب في الفعل المضارع مع (أن)، وأفاد معنى الشرط من حيث المعنى، واقتصت الجملة الاسمية: أنا خارج، رابطاً يربطها بالشرط (العاء)، فالجملة جملة تحويلية اسمية جاء فيها التحويل لعرص في المعنى هو الشرط، وما يقوله النحاة: بأن جملة جواب الشرط المكونة من مستنداً وحبر هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط، إلا من الاسراف في الوقوع تحت تأثير العامل، وهي حقاً جملة اسمية، أخذت اسمها من مكوناتها ولأنها تمثل الحد الأدنى الذي يحمل معنى محسن السكوت عليه، وأما: أن تخرج فليست بجملة وهي كما ذكرنا عنصر تحويل ليس غير. «وأما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً أو جواباً أو صلة عاطلاق مجازي^(١)»، وتترابط الكلمات في الجملة السابقة كما يلي:



ومثلها الجملة (د) إلا أن المعنى أكثر احتمالاً في الوقوع من الجمل السابقة كلها، وذلك لأن المتكلم قدّم الجملة النواة وأخر عنصر التحويل: إن خرجت. يقول المخرجاني: لا نعلم شيئاً يتيهه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (من أبواب النحو) وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: ريد يطلق، وينطلق زيد، وينطلق زيد،.... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني ريد مسرعاً، وجاءني مسرع، وجاءني وهو مسرع،.... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحيى به حيث ينبغي له، وينظر في التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في

(١) المجم ١/١٢، وانظر الانصاف ٨٦، ٨٧. شرح الكافية ٢/٢٥٥ - ٢٥٦.

وفي الرأي الثاني^(١) يرى أنها ليست أداة مختصة فتدخل على الاسم كما تدخل على الفعل. فالجملة النواة في هذه الجملة: طلعت النجوم، ولكن ذلك مشروط بغياب الشمس ليس غير، فأصبحت: إذا غابت الشمس طلعت النجوم، وللحماية والاهتمام أصبحت: إذا الشمس غابت طلعت النجوم. فالجملة تترابط كليتها كما يلي:



ولما كنا لسنا مصيبين في هذا المقام بتتبع عناصر التحويل بالريادة فإننا نكتفي بما ذكرنا للقياس عليه، وسنفرد موضعاً آخر لدراسة تطبيقية في ضوء هذا المنهج لجعل ميدانها عدداً من كتب التراث القديمة من دواوين الشعر وكتب الأمثال.

ويرى أن نبين أن الزيادة تكون في أول الجملة أو في وسطها أو في آخرها، وهذه العناصر إما أن تكون حرفاً مجيء للمعنى، وكل تحويل يكون لفرض في المعنى، أو كلمة، ويجب أن تأخذ حركة الباب الذي تشله وتنتظم في المكان الذي يريده لها المتكلم ويسمح به القياس على ما جاء عن العرب، أو فعلاً وما يقتضيه من فاعل أو فاعل ومفعول... الخ، أو شبه جملة، وقبل أن نتوقف قليلاً مع شبه الجملة وما يراد بهذا المصطلح نرى أن نشير إلى أننا نقوم بأعداد دراسة لأبواب النحو كلها على أساس المعنى مجمع فيها عناصر التحويل التي تعيد معنى معيناً بصرف النظر عن الحركات التي تقتضيها هذه العناصر في مورعيات الجملة التوليدية أو فيما تتصل به من عناصر التحويل (بالريادة) الآخر.

(١) انظر معاني القرآن - الاحقر: ٢٧٣/٢، وانظر محاسن نعلب ٤١٩/٢، الوقي في النحو الكوي ١٢١، المص ٦٠/٢ - ٦١، اوصح المالك ١٩٠/٢.

شبه الجملة (عنصر من عناصر التحويل بالزيادة).

يقصد بشبه الجملة الجار والمجرور والظرف وما يضاف اليه، سواء كان في صدر الجملة، وهذا ما دأب النحاة على تسميته بالجملة الظرفية، ذكرها المبرد في المقتضب^(١)، والزمخشري في معصله^(٢)، وابن هشام في المسمى^(٣) أو كان في وسط الجملة أو في آخرها. فقد جرى النحاة على عدّ الجار والمجرور الذي يكون دخول الجار فيه ليس كخروجه، شبه جملة، أما ما كان دخوله كخروجه فليس ذاك بشبه جملة، ومثلوا للجملة الظرفية بقولهم: اعنذك زيد، في الدار زيد، إذا قدرت زيدا فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبراً عنه بها، ومثل الزمخشري بني الدار من قولك: زيد في الدار، وهو مبني على الاستقرار المقدر فعلاً لا اسماً، وعلى انه حذف وحده وانتقل الضمير إلى الظرف بعد ان عمل فيه^(٤)، والحديث في هذه الامثلة يقع في قسمين، احدهما يتعلق بتلك التي يتقدمها الظرف أو الجار والمجرور، وما ان كانا يُعدّان خبر المبتدأ ام انها يسدان مسد الخبر، فالظرف عند البصريين بلا خلاف يسهم^(٥) ليس بالخبر على الحقيقة، وانما الظرف معمول للخبر ونائب عنه، والتقدير «استقر أو وقع أو حدث»^(٦)، ومنهم من يرى ان المقدر اسم، فالأخبار بالظرف من قبيل المردات، فتقديره مستقر أو كاش، ذلك لأن الاصل في الخبر ان يكون مفرداً^(٧)، وقد ترتب على هذا الخلاف خلاف آخر، أتكون

(١) المقتضب: ١٩/١.

(٢) شرح الفصل: ٨٨/١ - ٨٩.

(٣) المسمى: ٣٧٦/٢.

(٤) شرح الفصل: ٩٠/١ والقي: ٣٧٦/٢.

(٥) شرح الفصل: ٩٠/١ وانظر الامصاف، ص ١٤٤.

(٦) السابق.

(٧) السابق.

الجملة مع هذا التقدير جملة مركبة ام بسيطة؟ اي، أهي صغرى ام كبرى؟ وان كانت مركبة فهي مركبة من اسمية وفعلية، مدّ الظرف مسدّ الفعلية، او قام الظرف او الجار والمجرور مقامها لا فيها من الدلالة عليها^(١)، والذي يبدو واضحاً ان الظرف والجار والمجرور يشيران الى المعنى المراد منها بتحديد الجهة التي فيها الجثة او الحدث - كما يرى ابن يعيش - وكما يرى ابن السراج الذي ينص على انها يقعان خبراً عن المبتدأ وليس نيابة عن مفرد او جملة^(٢)، ومن الواضح كذلك ان الجملة للقدرة، «استقر او حدث او وقع» لا تعبر عن المعنى الذي يعبر عنه الظرف او الجار والمجرور، فان قلت: زيد عندك، أعندك زيد؟ زيد في الدار، أفي الدار زيد؟ فان السامع لا يحتاج ليفهم المعنى الى الفعل المقدر مع فاعله، ولا هو محتاج الى اية اضافة تضاف الى الجملة تتعلق بها الجار والمجرور او الظرف، فالمعنى واضح دونما لبس او معاناة، ولكن عند النطق بالجملة: زيد استقر (هو) أو وقع أو حدث، و، استقر أو أوقع أو أحدث زيد، فانت، ولا ريب، بحاجة الى الظرف او الجار والمجرور (عندك، او، في الدار) لتوضيح المعنى ولتصبح الجملة: زيد استقر عندك، أعندك استقر زيد؟ افي الدار استقر زيد؟ زيد استقر في الدار، ولذا فان النحاة لا وجدوه في الظرف والجار والمجرور من توصيل المعنى بمصا على عدم جواز اظهار الاستقرار للاستغناء عنه بالظرف او الجار والمجرور خلافاً لابن جني الذي يرى جواز اظهاره، وقد صرح بذلك^(٣)، والذي نراه ان الظرف او الجار والمجرور هو خبر المبتدأ، والجملة إما توليدية اسمية كما في: في الدار رجل، زيد في الدار، امام المديقة طعل، زيد عندك. او تحويلية اسمية

(١) السابق.

(٢) انظر اصول ابن السراج ٦٨/١، شرح ابن عذيل ٢١١/١، المع ٩٩/١.

(٣) شرح المع: ٩٠/١.

ان تقدم الظرف او الجار والمجرور في الاطار الجملي الذي تسمح قوايس اللغة بتقديمه فيها مثل: أفي الدار رجل، عندك زيد، أفي الدار زيد... الخ. ولا يمنع من القول بهذا الا المجري وراء نظرية العامل^(١)، فالخير مرفوع، وليس الجار والمجرور او الظرف ومضاهه كذلك، فعند قسم منهم الى القول... وهو في محل رفع خبر المبتدأ، مع ان هذه الحركة (حركة الرفع) لم تظهر في المبني ولا يحتاج اليها المعنى، وذهب قسم آخر وهم الكوفيون^(٢) مذهباً آخر في البحث عن تبرير للحركة الاعرابية على آخر الظرف بخاصة في: زيد عندك، او امامك او خلفك...، فهو غير منصوب باضمار فعل او بتقديره، وانما هو منصوب على الخلاف، فانك ان قلت: زيد احوك، فزيد هو الأخ، وكل واحد منهما هو الآخر فرفعه، اما ان قلت: زيد خلفك، فان خلفك مخالف لزيد لأنه ليس اياه، فنصب بالخلاف^(٣)، وقد كفانا ابن يعيش تنفيذ هذا الرأي، فقال: «وهذا قول فاسد لأنه لو كان الخلاف يوجب النصب لانتصب الاول كما ينتصب الثاني، لأن الثاني اذا خالف الاول فقد خالف الاول الثاني، لأن الخلاف عدم المائلة، فكل واحد قد فعل بصاحبه مثل ما فعل صاحبه به، وايضاً فان من مذهبهم ان المبتدأ يرتفع بعائد يعود اليه من الظرف اذا قلت: زيد عندك، وذلك العائد مرفوع، واذا كان مرفوعاً فلا بد له من رافع، واذا كان له رافع في الظرف كان ذلك الرفع هو الناصب^(٤)»، فانت ترى ان الذي دفع الحاجة الى ان يعدوا هذا النوع من الجمل (التي تصدرها ظرف او

(١) انظر. K, AMAIREH, Various elements accounting meaning, in Journal of Semiotic studies

(٢) الانصاف سأل

(٣) شرح الفصل: ٩١/١.

(٤) شرح الفصل: ٩١/١.

جار ومحرور) جلاً ظرفية، وان الذي يقف وراء عدم الجهر بأن الظرف او الجار والمحرور هما الخبر (أو المسند) هو عامل شكلي يتعلق بالحركة الاعرابية، بالبحث عنها وبمحاولة ايجاد تبرير لها، وانت ترى كذلك ان القول بتقدير استقر او يستقر عندك لا يفيد المعنى، بل ويستعد به عما اراد له المتكلم، وينحرف به نحو ركافة التعبير وضعفه، فان من يستعمل مثل هذه الجملة لا يقصد: زيد عندك واقف او جالس^(١)، ولست ادري ما الذي يضيفه قولنا: مبني في محل رفع خبر، او، متعلق بالخبر المهدوف...، ما الذي يضيفه الى مبني الجملة او الى معناها، فزيد هو المبتدأ او المسند اليه، سواء كان الخبر ظرفاً او جاراً ومحروراً او امماً مفرداً، وقد نطقت العرب بها جميعاً على حد سواء، فالجار والمحرور والظرف في هذه الجملة (التي يسميها النحاة الجملة الظرفية) هما ركنان رئيسان فيها وهي جملة اسمية (توليدية او تحويلية).

اما القسم الآخر، فيقودنا الى الحديث عما اصطلح النحاة العرب على تسميته «شبه جملة»، ونقصد شبه الجملة من الجار والمحرور، والظرف للزمان كان أو للمكان، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتألف من كلمتين او اكثر لفظاً وتقديراً، فهي مركبة كالجملة وتعني بذكرها عن ذكر الجملة فتقوم مقامها وتدل عليها - كما جاء في القسم الاول السابق -، وقد عبر النحاة عن هذه العلاقة بالتملق فتكون الجملة التي تتعلق بها شبه الجملة - في الأمثلة السابقة هو الفعل استقر، ويرى بعضهم أنه يتعلق بمقدر واجب الحذف - على اختلاف بينهم^(٢) - تقديره كائن، وهذا هو مصدر المفرد وليس الجملة^(٣)، ومنهم - كما ذكرنا - من يرى ان شبه الجملة قسم برأسه وليس ساداً مصدر المفرد او

(١) السابق ١١/١ - ٩٢

(٢) شرح ابن عقيل: ٢١٠/١.

(٣) السابق ٢١٠/١ - ٢١٢.

الجملة، وهذا هو رأي ابن السراج^(١)، ويضع النحاة للحار والمجرور شروطاً يهينها ليطلق عليها «شبه جملة»، ومن أهم هذه الشروط أن يكون حرف الجر في سياقه ليس عما يمكن أن يطلق عليه حرف جر زائد دخوله كخروجه^(٢) مثل: كفى بالله شهيداً، هل من خالق غير الله، والا يكون حرف الجر من تلك التي ليست زائدة زيادة محضة، ويؤتى بها عندما يرى في العامل من الضعف ما ينزله منزلة القاصر أحياناً غير القادر على العمل بغير واسطة، أو أن عمله بالواسطة أصل، ﴿فعال لما يريد﴾، ﴿مصدقاً لما معهم﴾^(٣). فترتب على هذا كله أن تكون حروف الجر مرة الصيلة في موقعها، وأخرى زائدة، دخولها كخروجها من الجملة، فالجار والمجرور في الجملة: عليّ في الدار، ركن رئيس لا يمكن الاستغناء عنه، أما في الجملة: وما تسقط من ورقة....، فعرف الجر زائد دخوله كخروجه، وبهذا فالجار والمجرور هنا ليسا شبه جملة، وترتب على هذا أيضاً أن يكون للجار والمجرور في الجملة الأولى محل من الأعراب، أو أن يكون متعلقاً بما له محل من الأعراب، أما في الجملة الثانية فلا محل للجار والمجرور معاً من الأعراب، وأما الجار فأثره واثر عمله واضح على آخر المجرور الذي يليه، ولما كان هذا المجرور يحتاج إليه عامل آخر (كفى، تسقط في الجملتين السابقتين) فإن الجار زائد وأثره موجود والمجرور مجرور لمطلقاً، مرفوع أو منصوب محلاً، وذلك لأن (كفى) تحتاج إلى فاعل ليكمل، وكذلك يحتاج العمل (تسقط) إلى فاعله، لأنه لا بد لكل فعل من فاعل، والفاعل يجب أن يكون مرفوعاً، والاسم هنا مجرور بعامل آخر (حرف الجر) محكم على الحرف بالريادة، وأصبح

(١) أصول النحو - ابن السراج: ٦٨/١، ابن عجل: ٢١١/١.

(٢) اللع في العربية، ابن جني: ص ٧٣، وانظر سر صناعة الأعراب: ١٤١/١.

(٣) ابن عجل: ٤٤-/١.

المجرور مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً على أنه فاعل، ولم يعد الجار والمجرور
 شبه جملة لأنه حينئذٍ وجب أن يتعلق بالفعل أو بما يشبهه، أو بما يؤول
 بما يشبهه، أو بما يشير إلى معناه، أو بواحد من هذه مقترن أن لم
 يكن^(١). وهنا يبدو واضحاً أن الذي دعي النحاة إلى القول بحرف الجر
 الزائد، الذي يعرفونه: دخوله كخروجه، هو الحاجة إلى الاسم المجرور
 معمولاً لمامل آخر غير حرف الجر، ولا ادل على هذا من قولهم إن
 الباء في إحدى صيغتي التعجب القياسي «افعل بـ» حرف جر زائد،
 وإن الاسم بعدها مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل لفعل التعجب،
 أو منصوب محلاً على أنه مفعول به للفعل ذاته بعد أن نقلته الهمزة من
 اللزوم إلى التعدي على مذهب الفراء^(٢) والزحشري وابن كيسان وابن
 خروف، في حين أن الباء في كلتا الحالتين ركن رئيسي في التركيب لا
 يجوز الاستغناء عنه وليس دخوله كخروجه. والذي فراه أن كل حرف
 جر هو حرف جر أصيل في التركيب الذي يكون فيه، وأنه يجيء لمعنى
 ولا وجود في العربية لما يسمى بحرف الجر الزائد الذي يكون دخوله في
 الجملة كخروجه منها، وما كان هذا الحكم إلا تحت وطأة تأثير العامل
 والعمل على حساب المعنى الذي هو الهدف، في حقيقة الأمر، من
 إنشاء البناء الجملي الذي يضم حرف الجر ويعتمد عليه قالباً من
 قوالبه^(٣)، فنأخذ من حروف الجر حرف الباء - مثلاً - لنبين دوره
 في تعبير المعنى الذي تؤديه الجملة، يقول ابن جني: «واعلم أنهم قد
 سموا هذه الباء في نحو قولهم: مررت بزيد، وظفرت بسكر، وغير ذلك
 بما تصل فيه الاسماء بالأفعال، مرة حرف الصاق، ومرة حرف استعانة،

(١) مضي السبب: ٤٣٣/٢

(٢) الألفاظ، مسأله

(٣) انظر: Khalil AMAYREH, The affective meaning of some exclamatory styles in

Arabic grammar, Al - Arabiyya, Vol 15, 1982, PP 66 - 81

ومرة حرف اضافة،...، فاما الالتصاق فنحو قولك: امسكت ريداً،
 يمكن ان تكون ياشرته نفسه وقد يمكن ان تكون منته من التصرف من
 غير مباشرة له، فاذا قلت: امسكت يزيد، فقد اعلمت انك ياشرته
 والوصف محل قدرك او ما اتصل بمحل قدرك به او بما اتصل به، فقد
 صح اذن معنى الالتصاق، واما الاستعانة، فقولك: صريت بالسيف،
 وكتبت بالقلم، وبيت بالمدينة، اي استعنت بهذه الادوات على هذه
 الاعمال. واما الاضافة، فقولك: مررت بزيد، اصغت مروورك الى ريد
 بالباء، وكذلك: عجبت من بكر، اصغت عجبك من بكر اليه بن^(١)
 فالباء في الامثلة الواردة في هذا البص كلها متعلقة هي والاسم الذي
 دخلت عليه بكلمة في الجملة التي بها فيها. وهذا معرض نقطة تساؤل:
 لماذا عدّ حرف الجر في الامثلة السابقة قد جاء لمعنى، فهو اصيل وليس
 بزائد، وهو مع مجروره شبه جملة؟ ان كان السبب هو ما يبيده من
 معنى (الالتصاق او الاستعانة او الاضافة او غيرها)، فلماذا هو زائد في
 الجمل التالية، ولا يمد مع مجروره شبه جملة، في حين انه قد جاء لمعنى
 تفتقر اليه الجملة في حال عدم وجوده فيها: «لست عليهم بمسيطر»،
 «وما له من ولد»، «وما تسقط من ورقة الا يعلمها الله»، وفي: «كفى
 بالله شهيداً»، يقول ابن جني: «ولولا ان في الحرف اذا زيد ضرباً من
 التوكيد لما جازت زيادته البتة»^(٢)، ويضيف قائلاً: «فقد علمنا من
 هذا اننا متى رأيناهم قد رادوا الحرف فقد ارادوا عاية التوكيد»^(٣)،
 ونعجب هنا كيف يذهب ابن جني - رحمه الله - بعد هذا الادراك
 الحقيق لمبنى الجملة ومعناها، الى القول - بعد تعليقه على الآية
 «ألمست بربكم»: «واعلم ان هذه الباء قد زيدت في اماكن، ومعنى قولي

(١) مر صاعه الاعراب: من ١٢٩.

(٢) السابق من ٢٧١/١.

(٣) السابق ٢٧١/١.

رصدت، انما جاء بها تأكيداً للكلام^(١)، ثم يضيف قائلاً: ولم تحدث معنى^(٢)، اليس التوكيد معنى كما ان الالتصاق والاستعانة والاصافة معان، ولكن ابن جني مع ادراكه الدقيق لهذا الامر فقد كان الجانب الشكلي لنظرية العمل والعامل يشده الى القول بحرف الجر الزائد، وذلك ليقع الاسم بعد هذا الحرف فاعلاً او مفعولاً... الخ. والقاعدة تنص على ان شبه الجملة لا يقع موقع المسند اليه، فتشغل آخر الاسم الواقع بعد حرف الجر بالكسرة، واقتضاء الموقع ليأخذ حركة اخرى هي حركة الوقع. ولكننا عندما ندرس الجملة على اسس المعنى وعناصر تحقيقه، فان الجملة: «أأنت ربكم»، تكون الجملة النواة فيها: انا ربكم، ثم دخلت عليها الهمزة بعد السمي لتفيد الانكار والتوبيخ، فبقيت (انا) هي المسند اليه و(ربكم) هي المسند ودخلت الباء على المسند لتفيد التوكيد في المعنى الذي اعادته الهمزة والسفي بليس وموضعه الخبر، فالجملة تحويلية اسمية. ويكون تحليلها كما يلي:

الهمزة: للانكار (عنصر تحويل).

ليس: عنصر تحويل يفيد السفي.

التاء: مسند اليه.

الباء: حرف توكيد يؤكد الخبر السفي.

ربكم: مسند اخذ الكسرة اقتضاء للباء، وهي مضاف والمصير مضاف اليه محمّص.



(١) السابق ص ١٥٠/١.

(٢) السابق ١٥٠/١.

وهكذا في: «كفى بالله شهيداً».

فإن الباء حرف توكيد يقتضي حالة الجر (عنصر تحويل)، ولعظ الجلالة مؤكّد مجرر وهو فاعل الفعل كفى اخذ الكسرة اقتضاء لعصر التحويل (الباء) ولا حاجة بالمعنى ولا بالبنى إلى الصمة التي تعطي محلاً للماعل^(١). وكذلك في: «وما تسقط من ورقة...»^(٢) فإن هنا حرف توكيد يقتضي الكسرة وهو عنصر تحويل، وورقة فاعل مؤكّد اخذ الكسرة اقتضاء لمن. وهكذا في الأمثلة التي يرى النحاة بأن فيها حرف جر رائد.

٣ - الحذف: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإليك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، فالصمت عن اللفظة أزيد للإفادة، وتجدد الطبع ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون أيباً إذا لم تبين، وهذه جملة قد تسكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر^(٣)، ويقصد بالحذف عنصراً من عناصر التحويل نقيضاً للزيادة عنصراً من عناصر التحويل، فكما أن الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة لتحويلها إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى، فإن الحذف يعني أيّ نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية، لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنى يحس السكوت عليه، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل. فإن سأل أحدهم قائلاً: من حضر؟ واجيب: خالد؛ فإن كلمة (خالد)، في سياقها، تحمل معنى يحس السكوت عليه، فهي جملة، ولكنها جملة قد حذف ركن من أركانها، وهو (حضر)، فهي جملة تحويلية القصد من التحويل فيها هو الإيجاز،

(١) وانظر: حبل عامر - رأي في بعض أخطاء التركيب الجملي في ضوء علم اللغة المعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت، عدد ٨.

(٢) دلائل الإعجاز - ص ١١٢

والإيجاز تهتم به العربية وتسمى لتحقيقه، وهو عنصر من عناصر بلاغة المتكلم «فأمك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر»^(١)، فهي جملة تحويلية فعلية. أما في الإجابة عن السؤال: مَنْ القادم؟ خالد، فكلمة (خالد) جملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وقد حذف منها ركن رئيس من أركانها، فأصلها: علي قادم ← علي القادم ← القادم علي = جملة تحويلية اسمية التحويل فيها للإيجاز وبالحذف. وقد جاء التحويل بالحذف في كتب التراث وفي القرآن الكريم في كثير من المواضع: يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ...﴾ ومثلها كثير، ويقول المرحاني: «وانا اكتب لك بديناً امثلة مما عرض فيه المحذف ثم انبهك على صحة ما اشرت اليه، واقم الحجة من ذلك عليه:

اعتاد قلبك من ليل عوائده وهاج اهواءك المكنونة الطلل
ربيع قواء اذاع المصبرات به وكل حيوان سار ماؤه خضل
اراد: ذاك ربيع قواء او هو ربيع. قال ومثله قول الآخر:

هل تعرف اليوم رسم الدار والطلل كما عرفت بجمع الصيقل الخلل
دار ثوة اذ أهلي واهلهم بالكأنسية فرعى اللهو والغلا
كأه قال: تلك دار. قال شيخنا رحمه الله: ولم يحمل البيت الاول على ان الربيع بدل من الطلل لأن الربيع اكثر من الطلل، والشئ يبدل بما هو مثله او اكثر منه، فاما الشئ من اقل منه فماعد لا يتصور^(٢)، ويذكر المرحاني ان مثل هذا كثير في لغة العرب وهم عليه مستمرون، يحذفون المبتدأ ويحذفون الفعل، اي انهم يحذفون الاركان الرئيسية في

(١) السابق

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١١٢

الجملة الواوة، يقول: «وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا الديار والمارل، وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فمضون كبيت الكتاب ايضاً:

ديسار ميه اذ مي^١ تساعفتسا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

اشده بنصب ديار على اضرار فعل كأنه قال اذكر ديار مية. ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ الفطع والاستئناف^(١)،...، ويعد السياق او المقام الذي تقال فيه الجملة من الادلة التي تقوم بدور رئيس في تحديد المنصر (المورع) المحذوف. يقول ابن هشام: «ان دليل الحذف نوعان، احدهما: عبر صناعي، وينقسم الى حالي ومقالي،...، والثاني: صناعي، وهذا يختص بمعرفته المحويون، لأنه اغا عرف من جهة الصناعة^(٢)»، وقد اوضح ابن جني القرينة الحالية باطالة واطناب مبيناً دورها في الدلالة على المحذوف، يقول: «... وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب، من قولهم: سير عليك ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا اغا حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، او نحو ذلك، وانت تحس هذا من نفسك اذا تأملت، وذلك ان تكون في مدح انسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فتريد في قوة اللفظ = (الله) هذه الكلمة، وتتمكن من تعطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها، اي: رجلاً فاضلاً كريماً، او نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه اساباً! وتمكّن الصوت بانسان وتمخضه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: اساباً سمحاً او جواداً، او نحو ذلك، وكذلك ان دمت

(١) دلائل الاعجاز: ص ١١٣ وانظر، مسويه، الكتاب.

(٢) محي القسي: ١٠٥/٢. وانظر فصل «الحو بين الصناعة والمرتبة» في كتاب الاصول: قام حسان.

ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان انساناً، وتزوي وجهك وتقطعه،
 فيصي ذلك عن قولك: انساناً لثياً او غزراً او مبعجلاً او نحو ذلك^(١)،
 في هذا النص يبين ابن جني القرائن الدالة على المحذوف (في الصفة)،
 وبالإضافة الى السياق يشير الى النبر الذي هو زيادة في الضغط على
 مقطع معين من مقاطع الكلمة ليصبح بارزاً واضحاً في جهاز سمع
 السامع أكثر من بقية مقاطع الكلمة^(٢) «فتزيد في قوة اللفظ... وتتمكن
 في تخطيط اللام^(٣)»، والى التنعيم، وهو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء
 النطق بالجملة للتعبير عن معنى وتحويل الجملة من معنى في باب نحوي
 معين الى معنى في باب نحوي آخر، «وتمكن الصوت وتنفخه... فتزيد
 في قوة اللفظ وتتمكن في تخطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها^(٤)»،
 وسنعرض بعد قليل النعمة الصوتية وكيف تؤدي دورها في تحويل
 الجملة.

ويشير ابن جني كذلك الى حركات المتكلم بشفتيه او بوجهه او
 بالعينين او اليدين... معبراً عما يريد مستغنياً عن ذكر بعض اركان
 الجملة بهذه القرائن او باحداها «لأنه لا يكون المحذف الا عن دليل
 عليه، والا كان فيه ضرب من تكليف العيب في معرفته^(٥)»، وكما أن
 المحذف يقع في الصفة - كما بين ابن جني - فإنه يقع في كثير من
 المباني الصرفية التي تمثل ابواباً نحوية في التراكيب الجمالية، ولعل من
 نافلة القول: إن الامثال الواردة في كتب الامثال وفي لسان العرب على

(١) الخصائص ٣/٣٧٠ - ٣٧١، وانظر شرح الفصل: ٦٣/٣.

(٢) وانظر الاصوات اللوية ابراهيم اميس ص ١٧٠، وسأج البحث في اللمة، قام
 جان ص ١٦.

(٣) الخصائص: ٣٧٠/٢.

(٤) السابق.

(٥) الخصائص ٣٦٠/٢.

وزن «افعل من» هي مما حذف فيه ركن المسند اليه ليفيد التعميم والتوسيع. اعز من كليب وائل، اجود من كعب مامة، ابقى من حجر، اشد حمرة من مصعة، اسرع من فكاح ام خارجة^(١)، والدليل لما نقول بأخذه من كتب الامثال ذاتها، اذ ان هذه الامثال ترد تارة كما اسلما بدون مسند اليه، واخرى يأتي المسند اليه في صدرها، فيقولون: هو اسأل من قرئح، انت اسخى من حاتم طيء، هو اطيئش من فراشة، هذا آبل من منيف الحناتم^(٢)، فحذف المسند اليه في المرة الاولى لدلالة الحال عليه، يقول ابن يعيش «واعلم ان المبتدأ والخبر جملة مفيدة، تحصل الفائدة بمجموعها (جملة نواة مكونة من الحد الادنى من المورفيات تحمل معنى يحس السكوت عليه)، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر مل الفائدة، فلا بد منها، الا انه قد توجد قرينة لفظية او حالة تغني عن النطق باحدها، فيحذف دلالتها عليه، لأن الأنفاظ انما جيء بها للدلالة على المعنى، فاذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ان لا تأتي به ولا يكون مراداً حكماً وتقديراً^(٣)». فيكون ترابط الكلمات في جملة حذف منها المبتدأ كما يلي:



فالجملة تحويلية اسمية كان التحويل بالحذف، وكان الحذف في ركن رئيس من اركان الجملة، فلا بد من تقديره، فضع مكانه الاشارة التي تسمى Zero morpheme

(١) هذه الامثال من كتاب الامثال للسوسي من ص ٦٢ - ٧٢.

(٢) انظر كتاب الامثال للسوسي من ص ٦٦ - ٧٨ وانظر. معجم الامثال والاقوال في لسان العرب، خليل عابرة، ص.

(٣) شرح الفصل ١/٦٤.

أما السند إليه في الجملة الفعلية (الفاعل) وهو الذي يحقق مع فعله ما نسميه بظاهرة التلازم - والتي سنعرضها في الفصل التالي - يقول ابن هشام: «العمل والفاعل كالكلمة الواحدة، فجعلها أن يتصلا، وحق المعول أن يأتي بعدها»^(١)، وقد يحذف أحد هذين الركنين أن دل عليه دليل، وكثيراً ما يقع الحذف في الفاعل، وقد يقع في نائبه، وإن كان بعض السحاة يرون أنها لا يحذفان بل يضمنان!! يقول ابن هشام: «أنها لا يحذفان وذلك لأنها عمدتان ومتزلان من فعلها منزلة الجزء، فإن ورد ما ظاهره أنها فيه محذوفان، فليس محولاً على ذلك الظاهر، وإنما هو محمول على أنها ضميران مستتران»^(٢)، وقد أجاز حذف الفاعل كل من الكسائي والسهيلي وابن مضاء^(٣)، يقول الشاعر:

لممرك ما يفني الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فحذف فاعل حشرجت (أي النفس أو الروح)، ومثله قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٥) ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجَتْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٦)، وغيرها كثير، ففي الآية الأولى حذف الفاعل وهو الروح، وفي الثانية والثالثة حذف الفاعل مع أن الظاهر يشير إلى وجوده متصديداً بما بعده^(٧). ولعل من الطريف أن نذكر أن السحاة يفرقون بين الفاعل المحذوف والفاعل المستثنى عنه، والفرق بين

(١) قطر الندى: ص ١٨٤ وانظر: الاشياء والنظائر، السيوطي، ٦٣/٢ - ٦٤.

(٢) شعور الذهب ص ١٦٥، وانظر: شرح التصريح: ٢٧١/١.

(٣) وانظر الموي في النحو الكوفي: ص ١٨، وشعور الذهب: ص ١٦٦، والمجمع ١٦٠/١.

(٤) النجاشية: ٢٩.

(٥) الانعام: ٩٤.

(٦) يوسف: ٣٥.

(٧) وانظر: المجمع ١٦٠/١.

المحذف والاستثناء، ان المحذف يكون من الموجود، ولما لم يكن موجوداً في بعض التراكيب اللفوية، ووجوده اساس لسلامة التركيب والاصل فيه ان يوجد، فانهم يقدرونه ويضمون مكانه عنصراً آخر، اما ما يستمى عنه فلا حاجة لتقديره اذ بغيره يستقم التركيب. ويجعلون للمحذف مواضع يحذف فيها الفاعل وجوباً وأخرى جوازاً، فيحذف الفاعل وجوباً^(١):

(أ) اذا بني الفعل للمجهول..

(ب) في المصدر اذا ذكر بدون فاعل (وهذا عند البصريين لانهم يرون ان المصدر غير مشتق^(٢)) ﴿او اطعام في يوم ذي مسقة يتياً ذا مقربة^(٣)...﴾.

(ج) اذا اتصل بالفعل واو الجماعة او ياء المخاطبة.... الخ.

(د) وفي الاستثناء المفرغ، ما حضر الا على..

(و) في صيغة التمجيد القياسي، افعل، اذا دلّ عليه دليل متقدم^(٤)، ﴿اسمع بهم وابصر^(٥)﴾.

واما المحذف جوازاً فقد رصد له النحاة مواضع منها:

(أ) في مواضع حذفه مع فعله في مثل الاجابة بذكر المفعول والاكتفاء به مشيراً الى الركنين المحذوفين، مثل: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم، قالوا: خيراً^(٦)﴾ اي: انزل ربنا خيراً فقام المفعول مقام الفعل وفاعله في الاشارة الى المعنى المطلوب، فكلمة خيراً، هي في الحقيقة

(١) انظر المص ١/١٦٠، الاشياء والنظائر ٢/٦٥.

(٢) انظر: الانصاف: مسألة.

(٣) البلد: ١٤.

(٤) شرح التصريح ١/٢٧٢.

(٥) صرم: ٣٨.

(٦) النحل: ٣٠.

جملة في سياقها؛ لأنها تشير الى معنى يحسن السكوت عليه.
(ب) ان يحذف وحده ويكتفى بالفعل مشيراً اليه مأخوذاً من سياق
سابق، مثل: ماذا يفعل علي؟ يدرس، فالتقدير: يدرس علي.
واما حالات الاستغناء عن الفاعل فقد رصدتها النحاة في نقاط
اهمها:

(أ) في حال تكرار الفعل مؤكداً الفعل السابق عليه على سبيل
التوكيد اللفظي

يدرس يدرس علي، يدافع يدافع الجنود،

فقد استغنى عن ذكر الفاعل لواحد من الفعلين بذكر فاعل الآخر،
فالفاعل في الثاني مستغنى عنه.

(ب) في العمل المقترن بما الكافة (قل، كثر، طال)، كقول الشاعر:
قلما يـبرح اللـبيب الى ما يورث المجد داعياً او محيياً
وقول الآخر:

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود بدوم،
فهم يرون ان قلّ فعل ماضٍ، كفته (ما) عن طلب الفاعل، ومنهم
من يرى انه لم يكف عن طلب الفاعل اما تقول (ما) مع ما يليها بمصدر
يكون فاعلاً للفعل (قلّ). وما هو واضح من المثالين السابقين ان الفعل
(قلّ) قد جاء بعده (يبرح) في الاول وهو فعل، و(وصال) في الثاني وهو
اسم، وهذا موضع خلاف بين النحاة^(١). والذي نراه في هاتين
البقعتين (أ، ب) ان الفعل اذا كرر كما في (أ) هو تكرار لفظي للتوكيد
وهو ما نسميه عصر التحويل بالزيادة يزداد فيه مورفيم الى الجملة ممثلاً
بأناً نحويّاً فيأخذ حركة الباب، فالفعل الثاني (يدرس، يدافع) هو عصر

(١) انظر حيونه ٢٥٩/١، ١٢/١، المي ٤١٦/١.

التحويل جاء زيادة على الجملة التوليدية او النواة: يدرس علي، بدافع الجسود، لمرض في المعنى، وهو هنا التوكيد، اذ أن المتكلم قد اراد ان يؤكد الفعل لا الفاعل فكرره، والتكرار من اهم عناصر التوكيد اللغوي، اما في النقطة الثانية (ب) فان ما يسميه النحاة فعلاً ماصياً (قل، كثر، طال) هي في حقيقة امرها ليست بافعال، فلا تشير الى رمن ولا الى حدث، وهما الركيزتان الاساس اللتان لا بد من توفرهما ليكون العمل فعلاً، فالجملة في البيت الاول هي: يرحح اللبيب الى ما... اراد المتكلم ان يحدد هذا الاطلاق في المعنى فوضع اداة تقييد ذلك (قلها)، فقلها ليست هي قل + ما، اذ أن قل كما في: قلّ مالي... هي فعل ويحتاج الى فاعل، ومن الخطأ ان نعد قلها وطالاً وكثراً، مأخوذة من قلّ وطال وكثُر التي هي افعال. اما في المثال الثاني فان كلمة (وصال) هي فاعل للفعل يدوم قدم لغرض المناية والاهتمام، فالجملة في تركيبها قبل التقديم تكون هكذا: يدوم وصال علي طول الصدود، ثم دخلت الاداة التي تقييد هذا الاطلاق، فأصبحت الجملة: قلها يدوم وصال علي طول الصدود، ثم تحولت بخطوة تحويل اخرى الى: وصال يدوم علي طول الصدود، قلها وصال يدوم... هكذا:



(ج) في كان الزائدة وتراد كان بلفظ الماضي^(١) - الا ما شد بلفظ المضارع - اذا وقعت بين متلازمين:

(١) وانظر شرح التصريح ١٩٢/١، وتهيل النوائد ص ٥٥.

- (١) بين المبتدأ والخبر: علي كان كريماً.
 - (٢) وبين الصلة والموصول: رأيت الذي كان قابلاً.
 - (٣) وبين الصفة والموصوف: قابلت رجلاً كان كريماً.
 - (٤) وبين الجار والمجرور، مثل:
سراة أبي بكر تسمى علي كان المسومة العراب.
 - (٥) وبين ما التعجبية وفعل التعجب: ما كان أجمل السماء.
- وان الناظر في الامثلة السابقة كلها يرى أنَّ (كان) فيها ليست فعلاً، فلا هو بالتمام ولا بالانقاص، وانما هو اداة تفيد زمناً بعينه لا غير، ولا اشارة للحدث فيها، فهي تقف على ركيزة واحدة من ركيزتين رئيسيتين يجب ان يتوضرا في الفعل ليمدَّ فعلاً يحتاج الى ما يحتاج اليه الفعل، الحدث والزمن.
- ففي المثال الاول يتحدث المتحدث بالجملة التوليدية: علي كريم، ثم يريد ان يعبر عن صفة بعينها (خبر) يتبع بها (علي)، ولكن في زمن غير هذا الزمن، فالتحدث عنه هو هو، ولكن الخبر هو الذي بحاجة الى تحويل، فدخلت كان لتقل الزمن من المطلق الذي يفيد الحال، الى الماضي فأصبحت جملة تحويلية اسمية: علي كان مجتهداً^(١)
- {السند اليه + عنصر الاشارة الى الماضي (السند)}
- وينطبق هذا القول على ما حكم عليه بالثنوذا، اقصد، ان ورود الفعل فيها كان بصيغة المضارع:
- انست تكون ماحجد بيصل اذا هيب شأل بليصل.
- فتكون هـا تعادل فعل الكينونة في الانجليزية (Verb tobe) الشاعرة (أم عقيل بن ابي طالب) تتحدث عن تتحدث عنه لتعبد حصر
- (١) انظر تحليل عمارة رأي في بعض انماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، المجلة العربية للعلوم الانسانية عدد ٤.

كونه (ماجد نبيل) في وقتها الذي انشئت فيه، بصرف النظر عن الماضي الذي قد يكون الحال امتداداً له.

وفي المثال الثاني يتضح قصد التكلم من استعمال عنصر الرمز (كان) ليشير به الى الحدث الذي به يعرف (الذي)، فجاءت كان مخصصة لرمز المقابلة، وهذا هو ما يراد لها ان تؤديه، فلا حاجة بها الى فاعل او اسم او خبر. وكذلك الحال في المثال الثالث الذي اراد فيه التكلم الصاق صفة بعينها بالفعل به في زمن (كان) وليس في زمن الحديث، ولا اظن ان مثل هذا التركيب يمكن ان يقصد به الا الزمن الماضي الا بلي عنقه، بالقول كان وما يزال...!!!، اما المثال الرابع فلست ادري ان كان غير ضرورة الشر يمكن ان يقذف به في دوامة الاستعمال اللغوي، اذ ليس ثمة مواد لغوية مأثورة تؤيده، وسنعرض بعد قليل كيف يكون التلازم بين العناصر التي جاءت في الامثلة (٢، ٣، ٤) وفي عناصر اخر تحت عنوان ظاهرة التلازم. اما ما جاء في المثال الثالث، فأننا لا نرى ما يسميه الحاة فعلاً ما هو فعل ولا ما يسمونه (ما) نكرة قامة!! أو نكرة ناقصة!! أو اسماً موصولاً!! تتلون الجملة بعده في اعرابها بلون المنظار الذي يُنظر اليها به، فهي خبر قارة، واخرى صلة الموصول لا محل لها من الاعراب، واما خبر ذاك المبتدأ (ما) الذي لا يشير الى مسمى ولا الى شيء البتة، فهو «شيء عظيم» وكذلك الحال عندما تعد الجملة نعتاً لهذه النكرة الناقصة التي لا نرى الفرق بين تمامها ونقصها!!^(١).

اما الركن الرئيسي الثالث في الجملة التوليدية الفعلية، فهو المفعول به، ويرتبط بثورة الجملة (بالفعل) ارتباط الفاعل بها «ان حال الفعل

(١) سنعرض تحليل باب التعجب في فصل تطبيقي لاحق، نأخذ مادته من ديواني لبيد وامرئ القيس وبعض كتب الامثال القديمة.

مع المفعول الذي يتعدى اليه حاله مع الفاعل، وكما أنك قلت: ضرب زيد، فأسندت الفعل الى الفاعل، كان غرضك من ذلك ان تثبت الضرب فعلاً له، لا ان تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الاطلاق، كذلك اذا عدت الفعل الى المفعول فقلت: ضرب زيد عمراً، كان غرضك ان تعيد التباس الضرب الواقع من الاول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل فيها انما كان من اجل ان يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بها^(١)، فالفعل هو البؤرة ويرتبط به الفاعل بملاقة الفاعلية التي علامتها الرفع....، ويرتبط المفعول به به بملاقة المفعولية التي علامتها النصب.... هكذا:



ومن المعلوم ان هذا الركن الرئيس قد يحذف، فتتحول الجملة التوليدية الى جملة تحويلية فعلية، ويكون الحذف لأغراض، ومن هذه الأغراض الاطلاق في الحدث الذي يشير اليه الفعل ويربطه بالفاعل، «... فاعلم ان اغراض التباس، تحدث في ذكر الافعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم ان يقتصر على اثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير ان يترضوا لذكر الممولين، فاذا كان الامر كذلك كان العمل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنك لا ترى له مفعولاً لا لمظاً ولا تقديرأ، ومثال ذلك قول الناس: فلان يمل ويصدق... المعنى في جميع ذلك على اثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة حتى كأني قلت صار اليه الحل والعقد^(٢)»، فالعمل في مثل هذه الحالة لازم وليس متعدياً، لأن الجملة اكتملت معنى ومبنى وهذا هو الحد الأدنى

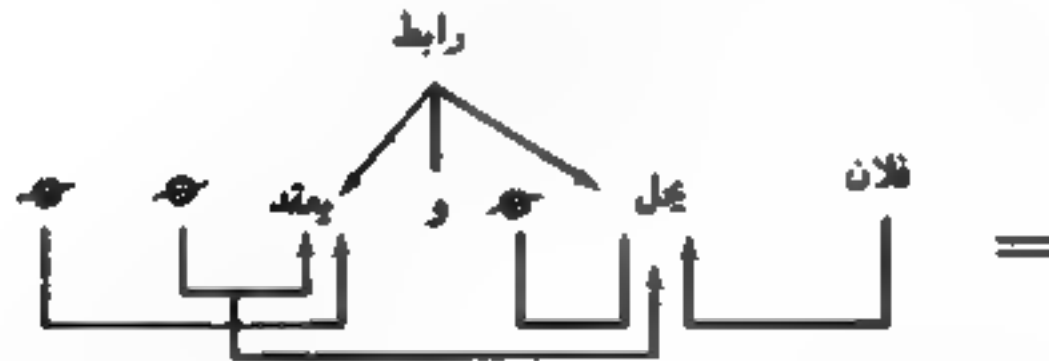
(١) دلائل الاعجاز: ص ١١٨.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١١٨ - ١١٩.

من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وهو الجملة،
 «وهكذا كل موضع كان القصد فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلاً
 لشيء وان يجبر بأن من شأنه ان يكون منه، او لا يكون الا منه، او
 لا يكون منه، فان الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الفرض
 وتغير المعنى، الا ترى انك اذا قلت: هو يعطي الدنانير، كان المعنى
 على انك قصدت ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطائه او انه
 يعطيها خصوصاً دون غيرها، وكان غرضك على الجملة بيان جس ما
 تناوله الإعطاء لا الاعطاء في نفسه، ولم يكن كلامك مع من نعى ان
 يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه..... فهذا قسم من خلو
 الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون له مفعول يمكن النص عليه^(١)،
 فهذا القسم وان كان يبدو انه لا يعد في الجملة التحويلية، الا انه، في
 حقيقة امره، يتضمن تحويلاً بلاغياً ويقود الى معنى، ويمثل اصلاً كبيراً
 عظيم النفع في البناء اللفوي.

فلان يجمل ويمقد، اصلها: يجمل فلان

ويمقد ◊ ◊ ← فلان يجمل ◊ ويمقد ◊ ◊



وأما النوع الثاني فهو المفعول الذي له قصد معلوم في الجملة، الا
 انه يُحدد من اللفظ لدليل الحال عليه^(٢)، وذلك لأن القصد بين

(١) السابق، ص ١١٩

(٢) السابق، ص ١٢٠.

المتكلم والسامع مع حذفه (المفعول) يكون جلياً واضحاً لا لبس فيه،
فإذا ما وقع اللبس امتنع حذف المفعول به، وقد رصد النحاة عدداً من
الحالات التي يكون فيها حذف المفعول ممتنعاً^(١) منها:

- (أ) إذا سد سد الفاعل نائباً عنه،
(ب) وفي جملة التعجب: ما أكرم محمداً.
(ج) وإذا حذف عامله: تمياً لنا وراحة لغيرنا.
(د) إذا وقع جواباً عن سؤال: ماذا كتبت؟^(٢) الدرس.
(هـ) إذا وقع محصوراً: ما قابلت إلا علياً^(٣).

وبدراسة دقيقة للأمثلة السابقة يرى الباحث أن الجمل (أ، ب، ج) لا
تقت بصلة وثيقة للجملة ذات الفعل التمدي، ذلك إذا نظر إلى
الجملة ذات الفعل المبني للمجهول واستثناها؛ لأن التحويل فيها جرى
في مبني الفعل فاقترض حركة في المفعول به غير الحركة التي له في
الأصل، فبقي المفعول معمولاً ولكنه أخذ الضمة اقتضاءاً للتحويل في
الفعل، فيبقى المثالان (د، هـ) هما اللذان يعبران عن امتناع حذف
المفعول، ففي المثال (د) قد حذف الفعل والفاعل، وبقيت كلمة
(الدرس) قائمة لتحمل معنى يحسن السكوت عليه، وتمثل الجملة: كتب +
ت + الدرس، وذلك للإيجاز ولأنه علم لدليل الحال عليه، فهذه جملة
تحويلية فعلية كان التحويل فيها بالحذف لغرض الإيجاز:



أما المثال (هـ) فهو جملة تحويلية فعلية، جاء التحويل فيها بالزيادة،
فحملتها المواة:

(١) انظر المجموع: ١/١٦٧.
(٢) انظر: شرح التصريح ١/٣١٤ - ٣١٥.

قابل + ت + علياً

فعل + فاعل + مفعول

فكانت الزيادة هي (ما + الا) واقتضت ترتیباً معيناً لا يتغير، لحرص يتعلق بالمعنى، وهو المحصر الذي يأتي في درجة عالية من درجات التوكيد، والتوكيد معنى يسمى اليه المتكلم ويتوق له السامع، فتكون الكلمات في ترابطها في الجملة كما يلي:



ورصد النحاة كذلك عدداً من النقاط التي يكون حذف المفعول به فيها جوازاً، ثم يسوا المعاني التي يكون الحذف لها، فمنها الابهاز، ومنها الاحتقار والازدراء، ومنها الاستهجان... إلخ^(١) وانت ترى ان هذه معان يكون البناء الجملي لتحقيقها هدفاً عند كل من المتكلم والسامع، وكثيراً ما يكون الحذف ابلغ في تحقيقها من الذكر، يقول المخرجاني: «... الا انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه الى لفظك، والسبب في ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الفرض، ... فلم ينطق بالمفعول لتخلص الناية لاثبات (الفعل للفاعل)^(٢) » وان اردت ان تزداد تبيناً لهذا الاصل، اعني وجوب ان تسقط المفعول لتتوفر الناية على اثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب فانظر الى قوله تعالى: ﴿ولا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسفون، ووجد من دونهم امرأتان تذودان، قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى الى الظل﴾ فيها حذف مفعول في اربعة مواضع...^(٣)»

(١) انظر شرح التصريح. ٣١٤/١ - ٣١٥.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١٢١.

(٣) السابق. ص ١٢٤.

٤ - الحركة الأعرابية: «إن العرب قد نطقت على سجيتهما وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها عللة^(١)» فحاء النحاة في عصر الخليل بن أحمد، ووضعوا العليل النحوية يصفون الظواهر اللغوية، «فكل من فرق له عن علّة صحيحة وطريقة لنهاة كان خليل نفسه وأما عمرو فكمه^(٢)»، ولكن النحاة - بعد القرن الثاني الهجري - انصرفوا عن السير في خط وصف الظواهر اللغوية والنحوية كما هي، ينظرون إلى المعاني «ويجعلون الحركات دلائل عليها ليتسّموا في كلامهم^(٣)». وأولموا بكثرة البحث عن الأسباب التي تسبب هذه الحركات يقول أبو حيان: «والنحويون مولعون بكثرة التعليل، ولو كانوا يضمون مكان التعليل أحكاماً نحوية مستندة إلى السماع الصحيح لكان أجدي وأمنع»، فكان «من العليل ما يؤدي إلى كلام العرب، كقولنا: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب.....» و(منها) ضرب يسمى علّة العلة، مثل أن يقولوا لِمَ صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً.... وهذا ليس بكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب^(٤).....» وبقي منهم (النحاة) من ينظر إلى الظواهر اللغوية نظرة وصفية يعتمد في حكمه على المعنى فيجمل المصطلح النحوي بمصطلحاً لغوياً يتضمن معنى تُعدُّ الحركة الأعرابية علامة عليه وإشارة له، يقول ابن الطراوة في العامل في المنصوبات (الاشتغال، والنادى.....): «إن هذه الأسماء ونحوها منصوبة بالقصد إلى ذكرها خاصة، من غير حاجة إلى الإخبار عنها وتسليط عامل لفظي عليها^(٥)»، إلا أن معظم النحاة قد أخذوا

(١) الإصحاح في ظل النعم، الزجاجة: ص ٦٦.

(٢) الخصائص: ١٩٠/١، وانظر ١٦٤/١، ١٧٣.

(٣) الإصحاح: ٦٩.

(٤) نقلاً عن: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيويه - خديجة الحديثي - ص ٢٥٢.

(٥) الاقتراح: ص ١١٨، وانظر الخصائص ١٧٣/١ والإصحاح في ظل النعم ص ٦٤.

(٦) نقلاً عن: مقدمة الرد على النحاة تحقيق محمد البياص ص ٢٢ - ٢٣.

يبحثون في المامل والمعمول والتعطيل والتأويل، يجعلون الحركة الاعرابية وتبريرها هدفهم، لا يجيدون عنه ولا يحاولون، فالحركة الاعرابية في اللغة العربية ظاهرة موجودة على أواخر كلماتها في مراكيبها وفي أقدم النصوص العربية المعروفة، وكان لهذه الحركات معاني في نفس العربي المتحدث بالعربية على سجيته وطبيعته، ولم ينقل عنه شيء من أسماء الملل التي جاء بها النحاة فيما بعد لأغراض تعليمية في بداية الأمر، سئل الخليل عن العلة: «عن العرب أخذتها أم احترعتها من نفسك، فقال: إن العرب نطقت على سجيته وطبعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي»^(١)..... قلنا: هي ظاهرة موجودة في العربية منذ أقدم العصور المعروفة حافظت عليها لأنها تمثل أداة طيعة تساعد المتكلم ليتسع في كلامه معبراً عما في نفسه من معاني^(٢)، كسائر أخواتها من اللغات السامية وإن كانت تبدو قليلة كما في اللغة الأكادية، وما يمكن أن يتأول في العبرية والحبشية والبطية، فيبدو أن الأكادية قد عرفت الحركات الثلاث التي تعبر عن حالات الرفع والنصب والجر في بداية أمرها، ولكنها تخلت عن واحدة واحتفظت باثنتين ووظفت واحدة منها لحالتي النصب والجر وهي المنحة، وأبقت على العسة للرفع، ثم اختزلت هذه الحركات لتنتهي إلى واحدة وهي الكسرة^(٣). أما الآرامية فيرى بعض الباحثين أن لا أعراب فيها^(٤)، مع أن صلة القرى بينها وبين أخواتها الساميات تشير إلى احتمال وجود الأعراب فيها في

(١) الإصحاح في علل النحو ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) السابق ص: ٦٩.

(٣) انظر - إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن ص ٥١، وانظر محمود فهمي حجازي، عم اللغة ص ١٤٤، وانظر مرصعة الأعراب، معدة الناشرين ص ٢.

(٤) إبراهيم آيسن، من أسرار اللغة، ص ٢١٢.

مرحلة من مراحل تطورها، أما النبطية فإن النقوش تشير الى حالات الاعراب فيها كاللغة العربية تقريباً فالضمة للرفع والفتحة للنصب والكسرة للحرف^(١)، وأما العبرية فيرى عدد من العلماء أن الهاء التي ترتبط بالكلمة أحياناً مشيرة الى الاتجاه هي بقية حركة الفتحة التي هي علامة للنصب، وإن كان قليل منهم قد رفض هذا القول^(٢). وهكذا كان الحال في تفسير العلماء للهاء التي جاءت في الحبشية^(٣)، ولكن دراسة العلماء للغة العبرية وتتبعهم لما فيها من نصوص قديمة بين أن في الاسماء ما يشبه الضمة في الفاعلية وما يشبه الفتحة في المفعولية^(٤) ذلك مع أن فريقاً من الباحثين يرى أن الحركات في العبرية طارئة ومن اختراع النحاة في القرنين السابع والثامن، وضعوها في ضوء نظام الحركات في كل من اللغة السريانية واللغة العربية^(٥).

كما سبق، تبدو الصلة والمضاربة بين العربية وأخواتها اللغات السامية، واضحة جلية في استعمال الحركات الاعرابية للإشارة الى معاني لغوية وحالات يرمز اليها بابواب محوبة، بل وكانت العربية أوضح من غيرها في هذا المجال، وبقيت فيها الحركات ذوات دلالة على تلك المعاني الى يومنا هذا، في حين قلت أو انقرضت في غيرها من اللغات السامية التي كانت قائلها في كثير من جوانبها «.... وكنعان بن سام بن نوح

(١) صبيح الصالح. دراسات في لغة اللغة من ٥٧، وانظر: ابراهيم السامرائي، لغة اللغة للمقارن: ص ١٥

(٢) انظر ابراهيم أنيس من أسرار اللغة ص ٢١٥. وانظر

S. MORAG, The Vocalization Systems of Arabic, Hebrew and Aramic, Mouton 1962 P P 12-34.

(٣) انظر: ابراهيم السامرائي: لغة اللغة للمقارن ص ١٦.

(٤) السابق

(٥) انظر: ريجي كهل: اللغة العبرية: ص ٦٥ - ٦٦ وانظر يوهان فوك العبرية. ص ٣٤٦.

ينسب اليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية^(١)، ويقول ابن حزم: «من تدبر العربية والعبرانية والسريانية، ايقن ان اختلافها انما هو من تبديل الفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وانها لغة واحدة في الأصل»^(٢)، احتفظت العربية بالحركات الاعرابية دالة على الحالات الاعرابية التي جسدتها بحاة العرب اعتاداً على استقراء قاموا به، يقول بروكلمان: «لقد احتفظت العربية القديمة بحالات الاعراب الثلاث الرئيسية سالمة، غير أن الحركات قد قصرت، ولا تحتفظ بطولها الا في الوقف والفاية أحياناً»^(٣)، ويقول في موضع آخر: «وقد ظل اعراب الاسم الموروث من قديم الزمان في اللغة البابلية القديمة كاملاً، غير أنه ضاع بالتدريج شيئاً فشيئاً منذ وقت مبكر، كما حدث ذلك في كل اللغات السامية الحديثة السن، أما اللغة العربية بحكم انعزالها في الجزيرة العربية فظلت تحافظ على صيغها القديمة وظواهرها اللغوية بما في ذلك الحركات الاعرابية»^(٤) وهكذا ظلت الحركات الاعرابية في اللغة العربية تشير الى معاني مرتبطة بحالات: الرفع والنصب والجزم، في حين أنها في معظم أخواتها أخذت تشير الى الاتجاه المكاني أو الى اطار واسع كبير من أطر الحالات التي تشير اليها الحركات، أو أنها تلاشت في قسم منها وبقي منها قسم، يقول بروكلمان: «وفي الحبشية بقيت حالة الرفع في الأعداد مثل *atadad* واحد، أما حالة النصب بالنهاية (هـ) فقد بقيت حية كلية، غير أن دائرة استعمالها قد اتسعت، اذ تدخل في حالة الإضافة للدلالة على حالة

(١) الخليل بن أحمد، العين ١/٣٣٢.

(٢) ابن حزم. الأحكام في أصول الأحكام: ١/٣، وانظر: بروكلمان. فقه اللغات السامية ص ١١، ١٢.

(٣) بروكلمان: فقه اللغات السامية ص ١٨.

(٤) السابق: ص ١٠٠.

الرفع، وفي العبرية لم تبقى كذلك إلا في حالة النصب (h) غير أنها لا تدل على حالة المفعول المباشر، بل على الاتجاه المكاني نحو شيء ما، لا غير، نحو hūsā، أي: إلى الخارج، وفي الآرامية لم يبق قيا عدا حالة النصب في آرامية العهد القديم إلا بعض حالات الأعراب المتجمدة، وفي السابلية القديمة لا تزال حالات الأعراب الثلاث كما كانت منذ العهد القديم^(١). وقد استعملت العربية بالإضافة إلى الحركات الأعرابية القصيرة (Vowel signs) الحروف المسماة حروف العلة «الألف والواو والياء» تشير إلى حالات الأعراب الثلاث الرفع والنصب والجر، وحافظت على استعمالها بكيفية أو توزع معين لم تخرج عليه إلى يومنا هذا - إلا ما جاء في لهجات بعض القبائل مخالفاً لما جاءت عليه اللغة العربية المشتركة والتي كانت تلقى الإشعار بها في أسواقهم أو في مندياتهم - في حين أنها قد تحولت في أخواتها الساميات وانصرفت لتشير إلى ما لا تشير إليه في العربية، يقول بروكلمان: «إن الواو والياء في العبرية والآرامية، قد فقدتا في بعض الأصول وظيفتهما الأصلية باعتبارهما صوتين صامتتين بعد أن تحولت الأصوات المركبة القديمة إلى أصوات بسيطة، فإن هذين الحرفين قد استملا كذلك في كتابة حركات مثل (هـ - و - ي - ن) ليست في الأصل أصواتاً مركبة، ويشبه هذا استخدام الهاء في العبرية والهمزة في الآرامية للتعبير عن الفتحة الطويلة (h)، وقد عمت رموز الحركات هذه في العربية أكمل تمام، مما يدل على أن هذه الأصوات، الواو والياء والهاء والألف ظهرت كحركات في اللغات السامية، لكن باختلاف في الاستخدام، فالعربية استخدمت الواو والياء والألف، والعبرية استخدمت الواو والياء والألف والهاء، والآرامية استخدمت الواو والياء والهمزة

(١) السابق: ص ٣٧.

وهكذا دواليك^(١)، فالحركات الاعرابية التي هي من أهم الظواهر اللغوية في اللغات السامية، احتفظت بها اللغة العربية^(٢) المنطوقة والمكتوبة على حد سواء^(٣). فكان العربي ينظم كلمات الجمل التي يطق بها يرفع الفاعل وينصب المفعول... دون أن يعرف هذه المصطلحات التي وصفت - كما ذكرنا - في عصر أراد فيه العلماء وضع القواعد والقواعد التي تجنب اللسان الوقوع في الخطأ، فان سمع كلاماً يخالف في نظمه ما ألفه في لفته، أدرك أنه استعمال خاطيء يخالف السليقة اللغوية التي هو عليها، ودون أن يدرك ان هذا يجب أن يكون منصوباً لأنه... أو أن ذاك يجب أن يكون مرفوعاً لأنه.....، فهذه مصطلحات قامت على جمع الظواهر الماثلة وتسميتها باسم عرفت به فيما بعد وكانت له حركة معينة بها يميز بين المعاني السحوية، اذ لولاها ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من مبعوث ولا تعجب من استفهام.... ولا نعت من تأكيد^(٤)، فالحركة موجودة في اللغة، وما كان عمل النحاة الا محاولات لتبرير هذه الحركة، وليس كما يزعم بعض الباحثين من أن الحركات كانت من وضع النحاة^(٥)، بعد أن حبكت خيوطها وثم نسجها بطريقة محكمة في أواخر القرن الاول الهجري أو أوائل القرن الثاني على يد قوم من صناع الكلام عاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الاعراب حصناً منيماً امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية الا على

(١) بروكلمان: فقه اللغات السامية: ص ٣٧.

(٢) وانظر: يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية: ص ٦، وسر صناعة الاعراب، ابي جني، مقدمة الناشرين ص ٣، وانظر: أصول النحو العربي، محمد خير حلواني ص ١٣٢.

(٣) وانظر يوحنا فك: العربية ص ١٠ - ١١.

(٤) ابن فارس: الصحاح: ص ٤٢.

(٥) ابراهيم أسس، من أسرار العربية: ص ١٩٨ - ٢١٥.

قوم سموا نيا بعد بالنحاة^(١)!!!! الحركات الاعرابية موجودة في اللغة العربية فونيات أصيلة فيها، يطلق بها العربي ليفيد معنى معيناً، ثم يعبرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديداً، وليس كما يرى بعض الساحسين «أنهم كثيراً ما يلجأون الى التحريك عند التقاء الساكنين أو لتيسير ارتباط الألفاظ ببعض^(٢)»!!!! فقد كان عمل النحاة الأول وصع وصفي لهذه الحركات وكيف تنطق بها العرب، طلب أبو الاسود الدؤلي من كاتبه: خذ المصنف وصيفاً يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شقي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين^(٣)، ثم تطور وصفها على يد الخليل ومن جاء بعده من تلاميذه الى ما هي عليه في أيامنا هذه في شكل الفتحة والضمة والكسرة وتووين الفتح وتووين الضم وتووين الكسر، والألف والواو والياء في حالات، يصمون الطق بها، وبها يعربون عن المعاني المختلفة في أنفسهم «الاعراب هو الابانة عن المعاني بالألفاظ، الا ترى أنك اذا سمعت: أكرم سعيد اياه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع احدها ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم احدها من صاحبه^(٤)»، فإذا كان الاعراب هو الابانة أو البيان عما في النفس^(٥) والإفصاح والإيضاح عن القوالب الذهنية

(١) انظر: ابراهيم أبيس، من أسرار العربية: ص ١٩٨ - ٢١٥، وانظر ربحي كمال، اللغة المصرية: ص ٦٥ - ٦٧، وانظر: فقه اللغة للقارن، ابراهيم السامرائي ص ١٢١.

(٢) السابق ص ٢٣٧ وانظر: الكتاب ٢٤١/٤، داود صمد، أبحاث في اللغة العربية ص ٩٨، والإيضاح في علل النحو - الزجاجي ص ٧٠.

(٣) ابن النديم، الفهرست ص ٥٩.

(٤) الخصائص: ٣٥/١.

(٥) انظر شرح المعمل: ٧٢/١.

بأصوات مطبوقة (فونيات) ومن هذه الأصوات أصوات صائتة وأخرى صامتة تتحد فيما بينها لتكون مورفيمات، تتحد وتتنظم فتكون بدورها جملًا تجسد المعنى الذهني وتكشف عنه، وإن أي تغيير في المورفيمات يؤدي إلى تغيير في المورفيمات، وبتغيير المورفيم تتغير الصورة الذهبية التي يشير إليها ذاك المورفيم، بقول مثلاً، أسد، فتتغير صورة ذهبية معينة هي صورة الحيوان المعروف (الأسد) فإن غيرنا (أ) ووضعنا مكانها صوت الفاء مرة، وصوت..... الخ فإن الصورة التي تظهر ليست هي الصورة الأولى، وهكذا لو غيرنا صوت السين إلى صوت النون أو..... الخ فإن الصورة تتغير لا محالة، فتبين كل كلمة عما فيها من معنى ارتبطت به في ذهن كل من التكلم والسامع، وهذا هو الاعراب لغة، يقول ابن جني: «وأما لفظة الاعراب فانه مصدر اعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه، وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له..... وأصل هذا كنه قولهم وذلك لا يميز إليها من الفصاحة والاعراب والبيان، ومنه قوله في الحديث: «الثيب تعرب عن نفسها»^(١) ومن الإبانة والافصاح عما في النفس استمال الحركة المناسبة على أواخر الكلم في الجملة، يقول ابن يمش: «الاعراب هو الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها»^(٢)، ويقول ابن السراج في الاعراب: «إن يتعاقب آخر الكلمة حركات ثلاث، ضم وفتح وكسر، أو حركتان منها فقط، أو حركتان وسكون باختلاف العوامل، فإذا زال العامل زالت الحركة أو السكون»^(٣) ونقول لاين السراج وللسيطوطي الذي يقول: «..... هو

(١) الخصائص: ٣٧/١، وانظر شرح المصل: ٧٢/١.

(٢) شرح المصل: ٧٢/١.

(٣) اللوجر في النحو: ص ٢٨، لنا هنا بمصدر عزم بداية الحروف عن الحركات في التصريح عن حالات الاعراب، لمزيد من المعلومات انظر: الخصائص ١٣٥/٢.

أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في محل الاعراب^(١)، وللأشموني الذي يقول: «الاعراب هو ما جاء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف^(٢)» هؤلاء يقولون: إن الحركة الاعرابية، شأنها شأن أي فونيم في الكلمة، له قيمة وأثر في الافصاح والابانة عما في النفس من معنى، فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والافصاح عنه، (هذا فيما نسميه بالحركة الاعرابية التي لا تأتي اقتضاءً لعنصر تحويل جديد، عنصر زيادة، كما ذكرنا سابقاً)، فإذا قال المتكلم، مثلاً: الأسدُ (بالضمة)، فإن السامع يدرك أنه قد أراد نقل خبر ليس غير، ولكنه إن قال: الأسدَ (بالفتحة)، فإن المعنى يتغير إلى معنى التحذير الذي هو في ذهن المتكلم ويريد أن يفصح عنه، ولا يستطيع تغيير أي فونيم في الكلمة غير هذا الفونيم، فانه إن غير فونياً آخر في الكلمة تغيرت الصورة الذهنية التي ترتبط بها الكلمة بسبب - كما ذكرنا - فلا سبيل أداً إلى التعبير إلا في فونيم الحركة الذي يؤدي إلى صورة ذهنية جديدة ولكنها تتصل بالأولى بسبب، فما كان التغيير في الحركة إلا نتيجة للتغيير في المعنى، يقول ابن جني: «ولما كانت معاني المسمين مختلفة كان الاعراب الدال عليها مختلفاً أيضاً^(٣)»، وليست الحركة نتيجة لأثر عامل كما يرى جمهور النحاة الذين أخذوا يبحثون في الظواهر اللفظية اللفوية المتأثلة ويجمعون ما تماثل في الحركة بسبب علّة معينة ليصمموها في قسم نحوي كبير (المرفوعات والمصوبات والمحرورات

= ٣١٩/٢، الانصاب مسألة: ٢، ٣، ابن خليل ٤٢/١ - ٧٩، الكتاب ١٣٠/١، ٥/٢ - ٤١٢/٣٠٧.

(١) الجمع: ٤٢/١.

(٢) شرح الأشموني ١٩٥/١.

(٣) الخصائص: ٣٧/١، وانظر: سر الصناعة ص ٣١ - ٣٤، مدونة الكوفة، مهدي المحرومي: ص ٢٥٦.

والجزومات) ثم ليفصلوا القول فيها في أبواب نحوية، يضمها كل من هذه الأقسام، فنشأ عندهم ما يسمى بالعامل، الذي له أثره القوي في إيجاد حركة اعرابية معينة على آخر كل كلمة من كلمات الجملة، وتغنوا في أقسامه وأنواعه، فمتى العامل المعنوي ومنه العامل اللفظي.

أما العامل المعنوي فهو الذي لا يظهر في البناء الجملي ولكن الحاجة اليه كثيرة لتبرير حركة اعرابية على كلمة من كلمات الجملة ولا وجود لعامل لفظي يمكن أن تسند الحركة اليه، وهو عامل يتعلق بالمعنى - في حقيقة الأمر - ولكن الرغبة في تبرير الحركة صرف السحاة عن المعنى إلى المبني وتطبيق القاعدة "....." ولا بد لكل معمول من عامل لفظي أو معنوي، وكان أهل الكوفة يسمون هذا العامل الخلاف أو الصرف^(١).

والعامل المعنوي عند السحاة يكون في موضوعين:

١ - الابتداء وهو العامل في المبتدأ، وهو عامل معنوي يعني التجرد من الموامل اللفظية، فنقول: محمد مجتهد، يرفع (محمد) بدون عامل ظاهر في الجملة يسبب ذلك، في حين إذا دخلت عليها (كان) أصبحت مرفوعة بها، عند بعضهم، وإذا دخلت عليها (إن) نصبتها.... الخ. وقد ذهب بعضهم إلى أن العامل في هذه الحالة هو الأسناد^(٢)، وإلى هذا ذهب إبراهيم مصطفى^(٣) من المحدثين.

٢ - التجرد من الموامل، وهو عامل معنوي يعمل الرفع في الفعل المضارع، فإن سبقه ناصب نصب، وإن سبقه جازم جزم وإن لم يكن

(١) انظر الانصاف، مسألة: ٧٥ ومباني القرآن - القراء:

(٢) وانظر المجموع ١/١٥٩، الاشياء والظواهر ١/١٤٩، مباني القرآن - القراء ٢/٧٤ - ٧٥.

(٣) إبراهيم مصطفى، أحياء النحو، ص ٥٣.

هذا أو ذاك رفع، ومن النحاة من يرى أن العامل هنا هو وقوع الفعل
موقع الاسم.

وأما العامل اللفظي^(١)، فقد طال حديث النحاة فيه، وكثر تقسيمهم
له، فمنه الأفعال التي تعمل في الأسماء، ولذا فهي أقوى العوامل
وأكثرها أثراً في كلمات الجملة، فهي تعمل في الفاعل وفي المفعولات وفي
الحال وفي التمييز.... وتعمل في المفرد، وفي الجملة، ومنها ما يعمل في
مفعول به واحد، ومنها ما لا يكتفي إلا بآتين أو ثلاثة، ومنها ما يقع
تأثيره على مفعولة تقدم عليه أو تأخر عنه. ومنه الحرف ويبنى الفعل في
القدرة على التأثير (في العمل)، ومن الحروف ما يختص بالدخول على
الأفعال والعمل فيها، ومنها ما يختص بالعمل في الأسماء، ومنها غير
المختص، فمنها ما يسبب الكسرة، ومنها ما يسبب الصلة، ومنها ما
يجب أن تكون السكون (الجزم) من آثاره الظاهرة أو المقدرة، ومنها ما
ينصب.

ومن العوامل اللفظية قسم ثالث وهو اضعفها (وهو الاسم)، لأن
الأصل فيه أن لا يعمل إلا أنه لما مائل الحرف في قسم منه (أسماء
الشرط) عمل عمله، ولما مائل العمل (المشتقات: اسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة والمصدر...) عمل عمله.

فكان من نتائج الأسراف في البحث عن العامل وأثره أن أخذ
النحاة يبحثون عن مبرر لكل حركة اعرابية على أواخر الكلم في
الجملة، وانصرفوا عن المعنى والبحث فيه انصرافاً كبيراً في حين
كان عليهم أن ينظروا إلى الحركة الاعرابية على أنها رمز لتعريف في
المعنى وليست بأثر - كما ذكرنا -، لأن المتكلم عندما يتكلم إنما يقصد

(١) وانظر: شرح ابن عنيلى ٣٢٣/١، شرح الأشوئى ٤٦٣/١، الانصاف مسألة: ١٤،
١٨، عند الحمد طلب أصول النحو وتاريخه من ٢٨١

ان يوصل الى السامع معنى بعينه، فان شاء ان يغير هذا المعنى غير الحركة، يقول الزجاجي: «ان الاسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً اليها. ولم يكن في صورها وأبـيـنـها أدلة على هذه المعاني... وليتسموا في كلامهم ويقدموا الفاعل ان ارادوا ذلك او المفعول عند الحاجة الى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني^(١)». ويقول ابن مضاء: «ان حركات الاعراب لم توجد لتدل على عوامل معينة، وانما جاءت لتدل على معان في نفس المتكلم^(٢)». ويقول ابن فارس: «من العلوم الجلية التي خصت بها العرب الاعراب، الذي هو الفارق بين المعاني المتكاثرة في اللفظ، وبه يعرف الجـرء الذي هو اصل الكلام. ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد^(٣)». وفي هذا كله ما يشير بجلاء ووضوح الى ان الحركة الاعرابية - في حالات - لها دور لا يقل في اهميته عن دور اي حرف من حروف الكلمة في الوصول الى المعنى الدلالي للجملة، يقول: اكرم علي خالد، بالرفع فيها، فلا يتبين السامع من وقع له الاكرام من وقع منه الاكرام، ولكن ان نصبنا احدهما فاننا نضع حداً للبس فيتضح الفاعل من المفعول، مصلاً عما تعطيه الحركة من مرونة للتقديم والتأخير فنقول: خالد اكرم علي، علي اكرم خالد، اكرم خالد علي، ولكل من هذه الجمل معناها الذي يود المتكلم ان يعبر بها عن اهتمامه بجزء من اجزائها - كما بينا

(١) الاصحاح في علم النحو: ص ٦٩ وانظر: الرهر للسيوطي: ٣٢٧

(٢) الرد على النحاة: ص ٨٧.

(٣) الصاحي: ص ٤٢. وانظر رأياً مختلفاً لهذا الرأي عند المحدثين والمحدثين في الاصحاح للزجاجي: ص ٧٠، الاشياء والنظائر: ١/٧٦، من أسرار الله، ابراهيم أبيس ص ١٤٢، ١٥٨، ٢٢٤، في أصول اللغة والنحو، قواد تـرـزـي: ص ١٨٧، أبحاث في اللغة العربية، داود عبده ص ١١٤.

سابقاً - وسنقتصر الحديث هنا على دور الحركة الاعرابية التي هي عصر من عاصر التحويل في الجملة التوليدية، في الابواب المحوية التالية: الاعراء، والتقدير، والاختصاص، واسماء الافعال وكم الاستفهامية والخبرية، والاسم المنصوب بعد واو المعية، والعمل المصارع المنصوب بعد الواو، يرى النحاة ان الناصب في التقدير والاعراء، وفي الاسم المنصوب بعد واو المعية وفي العمل المنصوب بعدها وفي الاختصاص، هو عامل محذوف يقدرونه مرة فملاً متعدياً تقديره احذر او الزم او اخص، ومرة اداة تأتي بعد الواو تقديرها ان، وثالثة يرون ان العمل اللازم المذكور في الجملة هو الذي يعمل بعد ان مكنته الواو من ذلك!!

نقول: (أ) الاسد

١/ب) السيارة السيارة

ج) اياك المراه

٢/أ) الكتاب

ب) اخاك اخاك

فالجملة (١/أ) جملة تحويلية لجملة توليدية هي: هذا الاسد، ثم جرى عليها تحويل بالحذف اعتماداً على الاشارة او على السياق الذي تقال فيه، فبقيت كلمة (الاسد) في حالة الرفع لتشير الى جملة خبرية لا يقصد منها التكلم غير الاخبار بما جاء فيها من معنى، ولكن التكلم عندما اراد ان يعبر عن معنى جديد يختلف عن المعنى في الجملة التوليدية الاصل، وعنه في الجملة التحويلية بالحذف، كان عليه أن يعبر في أحد أجراء هذه الكلمة الجملة (لأنها تحمل معنى يحس السكوت عليه وليست بحاجة الى كلمة تقدر من السياق وترتبط بالاشارة، ولا بحاجة الى علاقة الاساد التي هي ركن رئيس في بناء الجملة في اللغة العربية)، فان وقع التعبير كما ذكرنا سابقاً في أي من هويط الكلمة فاما تستقل

لتعبر عن صورة ذهنية أخرى، فكان لا بد من إجراء التعبير في فوهم الحركة، فتستبدل الفتحة بالضمّة، وينتقل المعنى من الاحبار الى التحذير، قالفتحة هي العنصر الذي حول الجملة من باب الى باب ومن معنى الى معنى جديد، فهي ركن في الكلمة تشير الى المعنى وليست نتيجة لفضل عامل محذوف لا يجوز اظهاره في بعض الحالات (العطف والتكرار)، ولست أدري حقاً ما قيمة هذا العامل المحذوف الذي لا يجوز اظهاره، وان ظهر فقد نقل التعبير الى معنى غير الذي كان له، لست ادري ما قيمته غير محاولة تبرير الحركة الاعرابية التي هي الفتحة، والتي يجب ان تكون اثرأ لعامل، والعامل يجب ان يكون هنا فعلاً متمدياً^(١). والذي نراه ان هذه جملة تحويلية اسمية جاء فيها التحويل بتعير الحركة الاعرابية للتعبير عن معنى التحذير، ومثلها تماماً الجملة (أ/٢) ولكن التعبير جاء هنا لينقلها الى معنى الحث على اخذ الكتاب وملازمته، فالمعنى هو الذي اوجب الحركة، فاصبحت دليلاً عليه ووسيلة له، ولعل من نافلة القول ان الجملة التحويلية (احذر الاسد، الزم الكتاب) كان النحاة واللغويون العرب قد صنفوها في الجملة الطلبية، التي تكون نعمتها الصوتية مستوية.

احذر الاسد

في حين اما عند النطق بالجملة التحويلية التحذيرية ننطقها بنبرة صوتية صاعدة.

الاسد الاسد

ولعل الفتحة هنا تجسيد للنغمة الصوتية التي تقع الجملة في اطارها.

(١) انظر شرح الفصل ٢٩/٢، شرح التصريح ١٩٢/٢ - ١٩٥.

أما الجملتان (ب/١، ب/٢) فالقول فيها لا يختلف كثيراً عنه في الجملتين السابقتين، ولكن فيها عنصر تحويل بالزيادة، (السيارة الكتاب)، وكل زيادة في البنى تقابلها زيادة في المعنى، وما الزيادة هنا إلا للتوكيد، لتوكيد المعنى الذي جاء به التحويل في الكلمة الأولى، ولو كانت الكلمة الأولى قد أخذت الفتحة أثراً لعامل (محدوف) لجاز أن يمرر هذا العامل هنا، وهذا موضع ينص النحاة على عدم جواز ظهور العامل فيه، فالجملة تحويلية اسمية مؤكدة، مرة للتحذير (ب/١) وأخرى للأغراء (ب/٢).

أما الجملة (ج/١)، فإياها جملة تحويلية اسمية، جملتها التي تحولت عنها هي: انت والمرء، فيكون الثاني معطوفاً على الأول مرفوعاً والخبر (المسد) محذوفاً عنهم من السياق، ولكن لما كانت المعاني أكثر من القوالب اللفظية، فإنه لا بد من التعبير في سبيل الكلمات لتؤدي معاني جديدة، فكان التعبير بنقل المرفوع إلى حالة النصب، فأصبحت: إياك والمرء، لتفيد التحذير، ولو أظهرت أي فعل يمد هذا المعنى في مثل هذه الجملة لخرجت عما تفيد من التحذير إلى الطلب الهادي^(١)، في حين أن ما فيها وفي الجمل السابقة عليها من معنى الانفعال (affective meaning) لا يحمي على متذوق هذه اللغة العالم بها^(٢).

أما جملة الاختصاص التي يرى النحاة إياها تأتي لعدد من المعاني، منها التواضع والمعر وبيان النوع أو العدد... الخ فإياها يرى إياها جملة

(١) وانظر G W Allport, Attitude, in Readings in Attitude theory and measurement, ed. by M. Fishbein, New York, 1967, P 7 - 8

(٢) انظر Khalil AMAREH, The affective meaning of some exclamatory styles in Arabic grammar, in AL - Ashiyya, 15, 1982, P.P 66 - 81

وانظر: عبد المجيد عابدين، المدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية، القاهرة ١٩٥٦، ص ٦١ - ٦٢.

تحويلية اسمية واما معناها فالرئيس فهو الفخر والتعظيم ليس غير، وما
 جل التواضع او بيان العدد او النوع الا لتشير الى معنى التعظيم او
 لتوحي به، وجعلتها التوليدية الأصل هي: مسند اليه + مسند.

نحن + العرب، نحن الجنود، انا المعلم... الخ

ومعناها هنا الاخبار، ونفعتها هي النعمة الصوتية المستوية، وهي تامة
 للمعنى والمبنى، فتحمل معنى يحسن السكوت عليه، ولكن اذا اراد
 المتكلم ان يمتاز بنصه (فرداً او جماعة)، فانه يصد الى تعبير حركة
 الاسم الذي يلي الضمير، من الضمة التي كانت تحقق الاسناد بين الكلمة
 التي هي على آخرها والضمير السابق، الى فتحة^(١)، فيرتب على ذلك
 شيان: احدهما: انتهاء الاسناد بين الضمير والاسم الذي يليه، الاسم
 الذي اصبح مركزاً للفخر وبؤرة لمعناه في الجملة، فاصبحت الجملة بغير
 الاسناد لا تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وبدا لم تعد جملة تامة، بل
 ليست جملة، والثاني: حاجة المسند اليه الى مسند، اي حاجة الجملة الى
 تامة لتصبح جملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فتتحول الجملة الى
 جملة تحويلية يكون تركيبها كما يلي:

نحن العرب نكرم الضيف

فاعل مقدم + موضع الفخر + فعل + مفعول به



ويتبع هذا تغيير في النعمة الصوتية التي تصبح نعمة مرتفعة في
 اولها (صاعدة) لتعبر عن الاهمية والعناية التي جاءت بالتقديم، ثم تعود

(١) وانظر 72 P P 71 C. Darwin, Expression of Emotions,

وانظر 74 P C E Ogden and others, the measurement of meaning,

لتعير في خطها الأصل:



ولا علاقة للفتحة على الاسم الذي يلي الضمير بعامل محدود تقديره اعني او احص، وما كان ذلك الا لرغبة السحاة في ايجاد مبرر لكل حركة على اواخر الكلم في الجمل، وانك ان اظهرت هذا العامل، فانك (المتكلم) لا تحسن بالمعنى والاعتزاز الذي تجده عند عدم اظهار هذا الفعل المقدر، اما اعني الجندي احي الديار، نحن نحن المسلمين اقوياء بالايام، ولا يجد السامع من معنى المعنى والتعالي ما يجده في الجملة في حال عدم ذكر هذا العامل، فالمحركة الاعرابية (الفتحة) هي تعير عن القصد والمعنى وليست اثرأ لتسليط عامل لفظي عليه^(١).

اما ما يسمى اسماء الافعال فمهما ما يرى النحاة انها قد جاءت اصلاً اسم فعل: كهيئات وصه واي، ومهما ما جاءت محوكة عن مصدر: نزال صبراً.. ومهما ما هو محول من ظرف او جار ومجرور، وقبل ان نقصر حديثنا هنا على القسم الاخير، فاسأنا ملفت الانتباه الى المناقشات المطولة الكثيرة التي ناقش فيها اللغويون والنحاة من القدماء والمحدثين، دلالتها على الحدث والرمز، وقسوها علامات الافعال وعلامات الاسماء، وخروجهم من هذا بأنها تفتقر الى الحدث والزمن، وبأنها لا يمكن ان تدرج في باب الاسماء ولا في باب الافعال اعتقاداً على قول العلامات

(١) وهذا هو رأي ابن الطراوة في عدد من النصوص. انظر الرد على السحاة، المقدمة، بتحقيق محمد علي الشا ص ٢٢ - ٢٣.

وانظر D. Katz, «The functional approach to the study of attitudes» in,

Reading in Attitude, theory and measurement, P 460

وانظر J. Vendryes, Language, P 140

المميزة لهذا أو ذاك^(١).

نقول: أ - اليك الكتاب

ب - امامك الفصيلة

والجملـة (أ) مكونة من حرف الجر + الضمير + الاسم المعرف بال التعريف^(٢)، ويمكن ان يأخذ الاسم الضمة، فتكون الجملة خبرية: الكتاب اليك، ولكن لما كان المتكلم لا يريد الاخبار بل اراد معنى آخر هو من القوة في الحث على امر معين، ليس من السير التعبير عنها بغير مثل هذه الجمل^(٣)، فانه يغير حركة السند اليه (الكتاب) من الضمة الى الفتحة ليغير عن هذا المعنى، فالفتحة تعبر هنا عن معنى وليست اثرأ لعامل محذوف مدت مسده (اليك) التي هي بمعناه وهو (حد) وهكذا الحال بالنسبة للجملة (ب) التي يرى السحاة انها اسم فعل منقول من الظرفية، وما نراه ان الجار والمجرور وكذلك الظرف قد بقي كل منها على ما هو عليه في الاصل، وقد جرى التحويل في الحركة الاعرابية على الاسم الذي يليه لتعبر عن المعنى الجديد. اما الاسم المنصوب بعد واو المية، استوى الماء والخشبة فهو اسم فضلة تال لواو بمعنى مع تالية لجملة ذات فعل او شبهه^(٤)، وقد وقع

(١) لمزيد من التعميل انظر: الانصاف مائة، شرح الفصل ٢٥/١ - ٥٢، شرح التصريح ١٩٥/٢

(٢) وانظر شرح التصريح ١٩٧/٢

(٣) وانظر. L S Vygotsky, thought and Language, The M.I.T.Press, 1974, P P 119, 131 - 132

E S. Bogardus, Fundamentals of Social Psychology, New York, 1931, P 62

N. Bull, The Attitude theory of motion, New York, 1951, P 3.

B. Malinowska, The Probleme of meaning in Primitive Languages, supplement I in the Meaning of Meaning by Ogden and Richards, P P 311, 318

(٤) انظر: شرح التصريح ٣٤٣/١.

خلاف طويل بين النحاة في العامل في الاسم بعد الواو، قالصريون يرون أن العامل هو الفعل^(١)، ومن النحاة من يرى أن الواو هي العامل ومنهم (وهو الجرمي)^(٢) من يرى أن العامل هو الفعل اللازم بواسطة الواو، وأما الكوفيون فيرون أن العامل هو الخلاف، والخلاف عندهم عامل معنوي^(٣)، أي أن الاسم جاء محالاً في الحكم لما قبله فنصب. ولن يطيل الوقوف لمناقشة هذه الآراء التي يبدو منها القصد والمراد، وهو محاولة تبرير وجود الحركة الاعرابية (الفتحة) على آخر الاسم بعد الواو التي ليست هي واو الحال، ولا هي واو العطف، فلو كانت الواو للحال لوجب أن يأتي بعدها جملة اسمية صدرها متداً مرفوع، ولو كانت للعطف لوجب أن يكون الاسم مرفوعاً على نية تكرار العامل: استوى الماء واستوت الخشب، ولو كانت بمعنى مع لوجب أن يكون الاسم بعدها مبروراً حال الاسم بعد مع، وأما القول بأن العمل اللازم (استوى) قوي على العمل بواسطة الواو، فقول ضعفه واضح لا يحتاج معه إلى رد زيادة على القول بأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال حضر علي وخالداً.

ننظر إلى النص في الجملة التالية: استوى الماء والخشب (بالمنة)

فاه - بلا ريب - يفيد أن الماء كان متموجاً فاستوى، وكذلك كانت الخشب متموجة فاستوت واستقامت، ولكن لما كان النص الذي يريد المتكلم ليس هذا، فقد كان عليه أن يغير في حركة الاسم بعد الواو ليصبح منصوباً، فالحركة هنا دليل على معنى، وعصر من عصر التحويل في الجملة الأصل، وليست نتيجة لتسلط عامل (بحار السحاة في

(١) انظر الانصاف: مسألة ٦٦.

(٢) وهو الجرماني، انظر للمعامل الماتة.

(٣) انظر الانصاف: مسألة.

تحديده) عليه، ولعل الكوفيين قد قصدوا بقولهم (الخلاف) ما يقصده
 اختلاف المعنى بين الرفع والنصب. ومن الجدير بالملاحظة ان العمل
 يمكن ان يحمل في استاده الى فاعله على الحقيقة، ولكن تكراره بعد
 الواو امر غلّ بالمعنى، نقول: سار علي والنيل، فإسناد العمل (سار) الى
 الفاعل (علي) هو اسناد حقيقي ثم جاءت الواو رابطاً يربط ما بعدها
 محمولاً لمعنى آخر يختلف المعنى القائم على الحكم المبني على الاسناد
 السابق:

سار علي و الخشب
 سار علي و الخشب

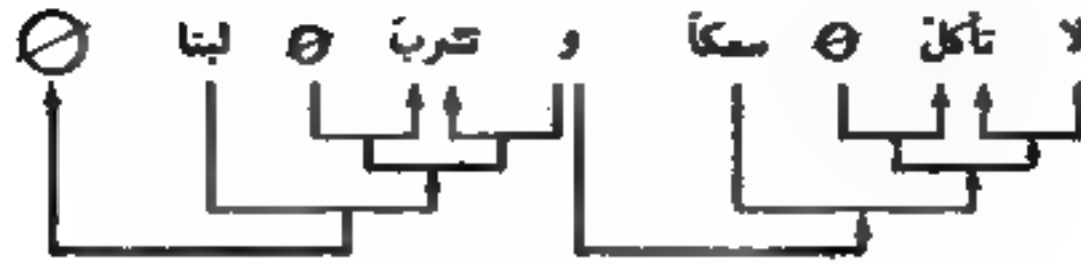
ولا يختلف القول في نصب الفعل المضارع بعد الواو كثيراً عن
 القول في المسألة السابقة، نقول:

لا تأكل سمكاً وتشرب لبناً،

فاذا كانت السكون على آخر الفعلين، فإن المعنى هو تسلط النهي
 على الاثنين بصرف النظر عن الرمي او المكان، فلو كان المتحدث
 الذي ينطق هذه العبارة طبيباً يلقيها على سمع مريضه، فإن هذا
 سيدرك ان طبيبه يحسه من تناول هذين النوعين من الطعام، في حين
 انه اذا نصب الفعل الثاني، فإن المعنى سيكون بطلب السهي عن الجمع
 بين هذين الفعلين في آن واحد. فالمحركة هي المونم الذي عمد المتكلم
 الى تغييره ليعبر عن معنى جديد، وليست نتيجة لتسلط عامل مقدّر
 تقديره (ان)^(١)، وانت ترى معي ان تقدير (ان) بعد الواو واسم العمل
 المضارع واضح الدلالة على رغبة القائلين بهذا في البحث عن مبرر
 لتبرير وحود الفتحة على آخر الفعل على غير ما تكون عليه لو كانت

(١) انظر: الانصاف، مسألة، وشرح التصريح ٢٤٣/١ وما بعدها.

الواو للعطف، وبذا يكون ترابط الكلمات كما يلي:



أما (كم)^(١) فهو عند النحاة اسم، وله في العربية استعمالان: يستفهم به عن العدد، ويخبر به عن معنى خبري بمعنى كثير، ولإيهامه فانه يحتاج الى تمييز مجيء بعده: كم كتاب قرأت، كم بلد زرت، فالتكلم يخبر عن كثرة الكتب التي قرأها، وعن كثرة البلدان التي زارها، اما عندما تكون للاستفهام عن عدد فانها تحتاج الى تمييز منصوب يكشف عنها غموض الإيهام، كم كتاباً قرأت؟ كم بلداً زرت؟، فالتكلم يسأل سامعاً مخاطباً عن عدد الكتب التي قرأها وعدد البلدان التي زارها، ويقول النحاة ان كم الاستفهامية تشترك مع كم الخبرية في أمور أهمها: انها اسمان، وانها مبهمان يحتاج كل منهما الى تمييز، وانها مبنيان، وانها يقعان في صدر الكلام، ولكنها يفترقان في أمور: ان الكلام مع كم الخبرية يشمل التصديق والتكذيب بخلافه مع كم الاستفهامية، وان الكلام مع الخبرية لا يحتاج الى اجابة، في حين ان الاجابة ركن رئيس في الحوار بين المتكلم والمخاطب مع كم الاستفهامية، وان تمييز كم الخبرية مجيء مفرداً ومجيء جمعاً، نقول: كم كتاب قرأت، ونقول: كم كتب قرأت، اما تمييز كم الاستفهامية فلا مجيء - عند البصريين - الا مفرداً، في حين يرى الكوفيون فيه الافراد والجمع. وس اهم نقاط الاعتراق بينهما، ان تمييز كم الخبرية واجب الجهر، وتمييز كم الاستفهامية

(١) انظر: شرح الفصل، الكتاب.

واجب النصب الا اذا سبقت كم بحرف جر. والذي نراه ان الجملة قبل دخول كم عليها كانت جملة توليدية اسمية او فعلية، قرأت كتاباً. فدخلت عليها (كم) لتفيد معنى الاستفهام عن عدد الكتب التي قرأت، وليس عن امر يتعلق بالحدث او ما في الفعل من زمن، فقدم المفعول وجوباً فاصبحت الجملة جملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها باستخدام عنصرين من عناصر التحويل: الزيادة والترتيب، ولكل دوره في المعنى، ولكن لما كانت المعاني اوسع من المباني اللغوية، فان المبني يمكن ان يستعمل، بل ويجب ان يستعمل لاكثر من معنى، فاراد المتكلم هنا ان يعبر عن معنى الكثرة فاستعمل كم التي هي كم السابقة ولكنه غير حركة الاسم الذي يليها، من النصب الى الجر، فكانت الكسرة هي عنصر التحويل في هذه الجملة، اذ ان حركة (كتاباً) يجب ان تكون في الحالتين قياساً على قواعد النحو التي ترى ان الفعل (قرأ) فعل متعد يحتاج الى مفعول به، وان حركة المفعول هي حركة النصب، فجرى التغير في حركة المفعول ليعيد معنى جديداً، فالكسرة علامة معنى ودليل عليه، وليست حركة ناعمة من تسلط عامل عليها مقدر او ظاهر، وهكذا الحال مع الجملة التوليدية الاسمية: لك عمة (يا جرير) بضم (عمة) فحصل فيها تقديم للعناية والاهتمام بعد ان دخلت عليها كم، التي هي اداة وليست باسم بحال من الاحوال، اذ ليس فيها نقطة واحدة من نقاط الاسم وتحديد، ثم جرى فيها تحويل آخر وهو تغيير حركة المسد اليه الى الكسرة التي هي علامة لمعنى الكثرة مع (كم) التي تقتضي هذه الحركة قياساً على ما جاء عن العرب، واما قول البصريين بأن تمييز كم الخبرية يجب ان يكون مفرداً فالاستعمال اللغوي يقف ضده مناصراً قول الكوفيين.

يقول الشاعر:

كم ملوك ————— بآباد ملوكهم ونعمسهم سؤقة ————— بادوا

ويقول آخر (الفرزدق):

كَمْ عَمَةٍ يَا جَرِيرَ وَخَالَةٍ فِدَعَاءٍ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي.
ونرى ان الفرق الرئيس بين هاتين الاداتين يوجد في المعنى، الذي هو الفرق بين الاستفهام للعلم بما يجمله المتكلم ويعلمه السامع المخاطب، والاخبار الذي يعلمه المتكلم علم اليقين ويجمله السامع او المخاطب. ويوجد كذلك في المبني، وهذا مائل في الحركة الاعرابية كما فصلنا القول فيه سابقاً، وفي النغمة الصوتية التي هي في الاخبار نغمة صوتية مستوية بينما هي ذات نغمة صوتية صاعدة في معنى الاستفهام^(١).



٥) التنغيم

... وحد اللغة انها مجموعة من الاصوات يمر بها كل قوم عن اغراضهم^(٢)، فهي ظاهرة اجتماعية مكونة من مجموعة محدودة من الرموز الصوتية اللغوية، وتكتسب معناها عن طريق التداول بين افراد المجتمع الذي يتحدث بها. واما علم الاصوات كما يعرفه ترويتسكوي، فهو العلم الذي يتناول الجانب المادي للاصوات المتمثلة في التعاطب الالساني^(٣)، ويضيف علم النطق الى مهمة علم الاصوات جمع الظواهر الصوتية الدالة

(١) S. H. EL ANI, Arabic Phonology PP 92-96

(٢) وانظر: الخصائص.

(٣) ورنالد ايلوار - مدخل الى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق

١٩٨٠ م، ص ٨٦

في التخاطب البشري، كالنغمة والنبر^(١).

وأما النبر، وهو أحد الفونيمات التي لها دور في معنى الكلمات في بعض اللغات، ولها دور في معناها كذلك. ويكون بتقوية صوت في كلمة معينة ليرتفع على غيره من اصوات الكلمة ذاتها بطاقل من عوامل الكمية والضغط^(٢)، وينتج عند مرور الهواء في الحنجرة محدثاً اهتزازاً في الاوتار الصوتية يتسم بالشدة والارتفاع في حدود الكلمة الواحدة، فيسقطها - في بعض اللغات - من الاسمية الى الفعلية، او من الفعلية الى الاسمية، وتمتد اللغة الانجليزية من افضل الامثلة لهذا، وان من عاش ما في الغرب، في بريطانيا بخاصة، لا بد ان يكون قد ادرك في بداية حياته هناك شيئاً من المعاناة في كيمية السطق ببعض الكلمات وتحديد نبرها ليفهم سامعه انه يقصد الفعل وليس الاسم، او عكس ذلك، ولا بد ان يكون قد وقف امام الطريقة اللطيفة التي يعتمد اليها الانجليزي مردداً الجملة المطوقة لتصويبها بوضع النبر في موضعه الصحيح مشدداً ليلفت انتباه المتكلم غير الانجليزي الى موضع النبر الصحيح. ومن الواضح ان اللغة العربية لا تعتمد على النبر في تصنيفها الصرفي^(٣) فلا نستطيع الاعتماد على النبر في القول بأن كتب تحولت الى كتاب، كما يدعي بعض المنتظمين في قاعات الدرس في بعض الجامعات العربية، اما ان كان النبر على الكلمات في الجملة، او على كلمة واحدة في الجملة لاظهارها على بقية كلمات الجملة فان ذلك يكون برباً سياقياً دلاليّاً نسميه التنعيم «Intonation»، ولا يكون التنعيم في الجمل الا لمعنى، فاذا قال قائل: حضر علي، فان الغرض من الجملة يختلف

(١) السابق: ص ٨٦

(٢) وانظر: قام حسان، مباحث البحث في اللغة، ص ١٦.

(٣) انظر: خليل عابرة: نبر الكلام المطوق وعوامله بين الوصفية والعبارة في اوراق الامال اللامية والمضاربة، مجلة الاقلام، عدد

باحتلاف الكلمة التي يديرها المتكلم، فان زاد نبر الكلمة الاولى (حضر) فانه يود ان يؤكد الحدث، حدث الحضور وليس غيره، ولكنه اذا نبر الكلمة الثانية (علي) فانه يؤكد ان الذي حضر هو علي وليس خالداً او غيره، ولكي المتكلم يستعمل النبر احياناً في اطار اوسع منه على الكلمة في الجملة، فيصحب كلمات الجملة كاملة - ان كانت الجملة مكونة من عدد من الكلمات، او يكون على الكلمة التي هي الجملة في الكلمة الجملة، فتنتقل الجملة من باب نحوي الى باب نحوي آخر، ويظهر ذلك بارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء النطق بالجملة، للتعبير عن معانٍ مختلفة في نفس الانسان^(١)، وتقسم النغمة الى صاعدة وهابطة ومستوية، وقد قسم استاذنا الدكتور قام حسان هذه الأطر الى سلبية وإيجابية في كل^(٢). فنرى ان النغمة المستوية تكون في الجملة الخبرية، وتكون الصاعدة في الاستفهام والامر، وتكون الهابطة في الندبة والتفجع. وقد ادرك النحاة العرب القدماء قيمة النغمة الصوتية في تحويل الجملة من باب الى باب ولكنهم لم يكتبوا عنه كثيراً، اذ أن هذا الميدان ما يزال في العربية بكرة يحتاج الى اقلام الباحثين الذين يدونون نتائج ابحاثهم في المختبرات الصوتية الحديثة^(٣)، فهم يفرقون بين الجملة التقريرية الخبرية والجملة الاستفهامية باحتواء الثانية على نغمة صوتية معينة وان كان في صدرها اداة من ادوات الاستفهام، كقوله تعالى ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فهذه الآية تقرأ بنغمة

(١) انظر ابراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٧٥، وانظر: أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي: ص ١٩٥ وما بعدها.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر سامح البحث في اللغة: ص ١٦٥، وانظر:

K. AMAIREH, in, *Journal of semiotic studies*,

(٣) ان من أعمد المحاولات في هذا الميدان هي محاولة الدكتور سلطان الطائي في كتابه «Arabic Phonology».

صوتية مستوية، فيقول المفسرون والنحاة ان هل هنا ليست للاستفهام وانما هي بمعنى (قد) التي للتوكيد والتحقيق، ويقول الشاعر:

حق اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمنق هل رأيت الذئب قط

وهي جملة خبرية تقريرية تعني «جاؤوا بمنق يشبه لون الذئب»، وذلك لان النغمة الصوتية تشير الى معنى الاخبار وليس الى معنى الاستفهام^(١)، وهناك جل ليس فيها اداة استفهام ولكنها يجب ان تقرأ بنغمة صوتية صاعدة لتكون النغمة في موقع الاداة من حيث الوظيفة والمعنى، يقول تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك. تبغى مرضاة ازواجك﴾ والمقصود: «أبتغي مرضاة ازواجك» ولو قرأها قارئ بنغمة صوتية مستوية لأخرجها من معناها الذي اريد بها، ويقول عمر بن ابي ربيعة.

قالوا: تحبها، قلت بهراً عدد النجم والحصى والتراب.

فان «تحبها»، هي جملة استفهامية مع ان لا اثر لاداة تفيد هذا المعنى في الجملة، ومثل هذا كثير في كلام العرب وشعرهم، ولعل الاستعمال اللغوي المعاصر في مختلف انحاء العالم العربي قد هدر استعمال اداة الاستفهام معتمداً على النغمة الصوتية التي بها يحول الجملة من خبرية إلى استفهامية إلى تعجييبية إلى انكارية تقريرية، فالجملة التوليدية: كتب التلميذ الدرس، ونغمتها مستوية، يمكن ان تتحول الى: كتب التلميذ الدرس، بنغمة صوتية صاعدة لتفيد الاستفهام، وبنغمة صاعدة جداً مع نبر احدى كلمات الجملة لتفيد معنى الدهشة او الاعجاب، فالجملة في وضعها الثاني والثالث هي جملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها باستخدام النغمة الصوتية للوصول الى معنى بعبية، وانت تدرك ما تتحول اليه الجملة التالية من معنى بالنغمة الصوتية،

(١) وانظر، كمال بشر: علم الأصوات ص ١٨٩، ١٩٥.

وشتت ها اللوحة التالية التي تبين اهم عناصر تحقيق سلامة البنية الشكلية (المبنى) في الجملة واهم عناصر التحويل للوصول الى المعنى الدلالي:



مصطلحات لا بد من توضيحها

بينما فيما سبق ما نقصده بالجملة التوليدية أو النواة أو المنتجة، وقلنا: بأنها الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى محس السكوت عليه، وبينما الأطر الرئيسة للجملة النواة، والمعنى الرئيس الذي تنظم له الكلمات في جملة نواة، اسمية أو فعلية، وفصلها القول في أن أي تغيير في الجملة النواة يحول الجملة إلى جملة تحويلية، وبينما عناصر التحويل التي تدخل الجملة فتؤدي إلى تحويل في المبني يتفق مع التحويل في المعنى الذهني، وفصلها القول في كل عنصر، وفي قداحل العناصر وتعاونها للوصول إلى المعنى الدلالي الذي تعيده الجملة، ويختلف هذا المعنى باختلاف التركيب، وقلنا بأننا نرى في وضع هذا المعيار القائم على الوصف ما يجيبنا البحث عن قصد المتكلم الذي يعمده تشومسكي نقطة رئيسة في نظريته - كما أوضحناه في موضعه - فيري تشومسكي أن على السامع أن يجتهد للوصول إلى حدس المتكلم الذي يعد ركناً أساساً في الوصول إلى المعنى الدلالي للجملة، في حين أننا إذا وضعنا معياراً نبين فيه تحول المعنى من جملة إلى أخرى مأخوذاً من اللغة وقياساً على ما جاء فيها على ألسنة المتحدثين بها سليقة، فإن ذلك سيفتحني عن البحث عن حدس المتكلم الذي ليس من اليسير الوصول إليه أن لم يكن من المستحيل، وقد عمل سابير E. Sapir جاعداً لتقنين الطرق أو تعميدها للوصول إلى ما في ذهن المتكلم، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وكانت هذه النقطة بخاصة من أهم ما ثار عليه رميته بلومفيلد L. Bloomfield، مبيناً أن البحث عما في نفس المتكلم يمزج بالباحث في كثير من قضايا علم النفس التي لا تفيد البحث اللغوي، بل وتعمده كثيراً عن الوصول إلى المعنى الكامن في الجملة، والذي يمكن أن يوحد معها اعتقاداً على ما فيها من أصوات ومبانٍ صرفية تنظم في مراكيب محوية، وترى بعد ذلك أن علينا أن نوضح ارتباط كل من الجملة

التوليدية والتحويلية بالمعنى الدلالي، أو أن نبين المعنى الذي يكون في كل منها، وصلته بالصورة الذهنية الكامنة في ذهن المتكلم.

ترتبط الجملة التوليدية بالصورة الذهنية الأولى للمعنى الذي يرمي إليه المتكلم أو يقصده، فيعبر عنها بجملة يمكن أن تدرج في أحد الأطر الرئيسة للجملة التوليدية - التي أوضحناها سابقاً - وتكون جملة خبرية بسيطة لا تركز فيها على شيء واقعا يهدف منها المتكلم أن ينقل خبراً يوصله إلى السامع، وبذا فإن الجملة النواة ترتبط بها البنية البسيطة للمعركة، ودعنا نسمي هذه خلافاً لما قصده تشومسكي «البنية السطحية S.S. Surface Structure»، ولا يقصد بالسطحية التركيب الظاهر أو الوجه المنطوق من الجملة، بل هو تعبير نقصد به قرب المعنى وعدم دخوله في التركيب الجملي الذي يشير إلى معنى محوّل من المعنى اليسير، أو إلى المعنى المركب، فالجمل:

علي مجتهد

محمد رسول

مجتهد علي

بلغ محمد رسالته

جمل توليدية تحمل خبراً أو معنى قريباً S.S.، ولكنها ان دخلها عنصر من عناصر التحويل، فإنها تتحول في مبنائها إلى جملة تحويلية وفي معناها إلى معنى آخر غير المعنى الذي كان لها سابقاً بزيادة عليه أو حذف منه أو.... فنقول:

ان علياً مجتهد

والله أن علياً مجتهد.

محمد الرسول.

علي مجتهد.

... الخ

فنقل المعنى الى معنى مركب هو التوكيد في جزء من أجزاء الجملة أو فيها كلها، وهكذا يجب أن يفهمها السامع، فلو سمع السامع مثلاً. علي يجتهد فانه يدرك ان المتكلم يقصد بتقديم الفاعل عناية واهتماماً به، وان لم يكن المتكلم يرمي الى ذلك، فانه قد اختار ترتيباً كان ينبغي أن يختار غيره، وهكذا لو نطق أحد الجمل في المجموعة الاولى (التوليدية أو النواة أو المنتجة) بنغمة صوتية صاعدة فانه قد نقل الجملة الى الاستفهام أو الانكار أو..... وهذا ما يجب أن يفهمه السامع، فان ذلك من شأنه ان يقنن المعاني ويضعها في قوالب يتقنها المتكلم ولا يضل في طريق الوصول اليها السامع، ولا نحتاج معها الى البحث عن حدس المتكلم intuition، ويكون المعنى التحويلي الجديد الذي تضمه الجملة التحويلية هو المعنى العميق، ونقصد بالمعنى العميق D. S. Deep Structure المعنى الذي يرمي اليه المتكلم ويهدف الوصول اليه أو يهدف توصيله الى السامع بصارات يحاول أن يرتب كلماتها من جديد، أو أن يمحذف منها، أو أن يزيدها عليها أو أن يغير في الحركات الاصل التي كانت لها، أو أن يسطقها بنغمة صوتية جديدة تفيد المعنى الجديد. وما هو جدير بالذكر ان الجملة التوليدية المتضمنة S. S. تخضع لقواعد وقوانين النحو التوليدي التي هي علامات سلامة البنية الشكلية، فان قال قائل:

أحضر الولدين الكتابان

فان هذه ليست جملة؛ لأنها لا تراعي قواعد سلامة البنية الشكلية في اللغة العربية، وربما كان ما جاء به ابن مضاد القرطبي في قول العلل الاول تحليل سليم مقبول لما يقبل من الحركة الاعرابية ودورها في سلامة البنية الشكلية. فان كانت الجملة سليمة في مساهها، فاما يجب أن تمر بمنطقة القياس اللغوي، ونقصد به أن يكون للجملة بعد التحويل نظير فيما نطقت به العرب، فلو قال قائل:

بلغ محمد الرسالة

لكانت جملة توليدية تحمل معنى يقصد بها الاخبار عنه، ولكن اذا غير المتكلم ترتيب الكلمات هكذا:

(أ) محمد بلغ الرسالة.

(ب) بلغ الرسالة محمد.

(ج) الرسالة بلغ محمد.

(د) محمد الرسالة بلغ.

فان لكل معناها العميق الذي في نفس المتكلم ويفهمه السامع، أما الجملة الاحيرة (د) فعلى الرغم من أن السامع يدرك ان فيها معنى، إلا أنها لا تعد جملة لأنها لا تحقق القياس اللغوي، فتزد لأنه لم يرد في لسان العرب ما يمكن أن يقاس عليه هذا الترتيب، أما إن جاز الترتيب كما في الامثلة (أ، ب، ج) فان الجملة تخرج من منطقة النحو التوليد وقواعده Generative Rules لتدخل في منطقة النحو التحويلي Transformational Rules الذي له قواعده وقوانينه ومعناه، ونمثل هذه الدورة كما يلي:

بلغ محمد الرسالة		محمد بلغ الرسالة
G.R. \supset S.S. \Rightarrow	→	T.R. \supset D.S.
VSO \supset الاخبار \Rightarrow	→	OVS \supset التوكيد
محمد الرسالة بلغ \Rightarrow	X	X

فيبقى اسم الجملة بعد التحويل كما كان قبله، ولكن كلمة التحويل تشير الى أن معنى جديداً قد انتقلت اليه، ويبقى الاسم أو الوصف الذي أعطي لكل كلمة في تركيبها التوليدي هو داته في تركيبها

التحويلي، وهنا تبرز قيمة المعنى في التحويل، فكل تحويل يكون لمعنى، فالجملة: الرسالة بلغ محمد تكون فيها كلمة الرسالة هي المفعول به المقدم لعرض التوكيد والعناية. وفي الجملة: محمد بلغ الرسالة، تكون كلمة محمد هي العاقل ولكنه مقدم لغرض التوكيد، وفي كل منها معنى عميق تصمته جملة تحويلية فعلية. وبذا تكون البنية السطحية S.S. هي البنية التي تكون في الجملة النواة التي تضبطها القوانين والقواعد التي تتحكم في نظم الكلمات الرئيسة الظاهرة في تلك الجملة G.R. أما البنية العميقة D.S. فهو المعنى الذي تتضمنه الجملة التحويلية الخاصة لقواعد النحو التحويلي T.R. والتي تهدف لتحقيق المعنى المراد التحول إليه أو التركيز على جانب من جوانبه مثلاً في مبنى حرفي من مباني الجملة، وما لم تكن هناك حاجة للتغير في مواقع الحكم أو المباني الصرفية لأمر يتعلق بالمعنى، فإن المستويين يتطابقان،



فإن كانت تلك هي الحالة، فإن في الجملة عدداً من الكلمات، تعد الأركان الرئيسة فيها، وعليها تقوم قواعد بناء الجملة في الأصل، تلحق بها بقية كلمات الجملة، فتأخذ مواقعها في ضوء قواعد النحو التحويلي^(١)، وقد يسأل سائل عن الأسس التي نعتمدها في الحكم بأن ما نسميه تركيب الجملة التوليدية هو الأصل وإن الجملة التحويلية هي

(١) وانظر N Chomsky, *Aspects of theory of syntax*, M. I. T. Press, 1972, pp. 10.

16 - 138, 139

(٢) وانظر J F Staal, *word order in arabic and Universal grammar*, Holland.

FF 1967, p. 8.

جملة ناتجة، فنقول بأن السحاة العرب القدماء قد وضعوا الجملة العربية في قسمين: اسمية وهي التي تبدأ باسم أو بما يقوم مقامه، وفعلية وهي التي تبدأ بفعل، ويكون ترتيب كلمات الجملة في هذين القسمين غالباً مطابقاً للظامين VSO, SVO، على حد سواء، وما يأتي سؤال آخر، أي الظامين اداً يحقق البنية التحتية، وأيهما يمثل البنية السطحية؟ للإجابة، لا بد من اتباع طريقة الاحصاء لجمع عدد كبير من الجمل، وهذه هي الخطوة الأولى في الدراسات اللغوية، والتي تقوم على احصاء الشواهد من أفواه الناطقين باللغة (أو من كتب التراث في حالتنا هذه)، ثم تكون الخطوة الثانية بدراسة المسابك التي قبلت فيها الشواهد والتراكيب اللغوية لبيان الغرض المقصود من كل تركيب، ثم وصف الكيفية التي انتظمت عليها المباني الصرفية في التراكيب لتحقيق ذلك الغرض، ومن ثم تأتي المرحلة الثالثة من الدراسة وهي المقابلة بين نظامي التركيب الواحد VSO, SVO، اللذين يشيران إلى المعنى ذاته مع الإشارة إلى الاختلاف في درجة التوكيد أو الافصاح أو الاهتمام أو العناية...، وأخيراً تأتي مرحلة استنباط القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي يتم في ضوءها ترتيب الكلمات في كل تركيب لتحقيق المعنى المقصود، فالجمل التي تشير إلى تغير في ترتيب الكلمات لتغير في المعنى هي التراكيب التي تمثل البنية التحتية أو العميقة D.S.، فتطرح منها مجموعة القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي تمت الجملة الأولى في ضوءها G.R. ثم تتم ملاحظة ما يطرأ على هذه الجمل من تغير في مواقع كلماتها وما يلحق بها من حذف أو إضافة.... فتوصف كل حالة وصفاً دقيقاً، ثم تتم دراسة هذا الوصف لرصد مجموعة قواعد وقوانين النحو التحويلي^(١) T. R.

(١) أنظر J. Greenberg, Some Universals of grammar with Particular reference to the order of meaningful elements, P. 103 ff.

يرى تشومسكي أن الركن الرئيسي الذي يجب أن تحققه النظرية اللفوية عند البحث في البنية التحتية هو تحديد الغرض (حدس المتكلم) من التركيب اللفوي وإظهاره من العلاقات النحوية القائمة بين الابواب النحوية التي تنتمي إليها كلمات التركيب^(١)، ولذا فإن القول بأن اللغة العربية تسير في بناء تراكيبها الاصل على النظام SVO يتعد بدراستها عن المنهج الوصفي القائم على تتبع المعنى ووصف الكيفية التي تنظم عليها المباني الصرفية للتعبير عن ذاك المعنى، وينحويها نحو التحليل القائم على:

$$S \rightarrow (S) NP + Pred.$$

ولا مبرر لهذا التحليل الا الوصف الظاهر السريع لكثير من الجمل شائعة الاستعمال في العربية المعاصرة: علي قدم من المدرسة، محمد سافر أمس، خالد قابلني في السوق....، فيكون تحليلها كما يلي:

$$SVO = S(NP) + Pred (VP)$$

وهذا يقتضي البحث عن مجموعة من القواعد التحويلية التي يتم في ضوئها نقل الفعل الرئيس في الجملة (بؤرتها) .. ونقل الاسم المتقدم فيها، الى موقع آخر للوصول الى المعنى المراد، وإعادة هذين الركنين الرئيسيين الى موقعيهما الاصل في الجملة، فان المعنى يبدو أقل توكيداً، في ذلك الركن منه في الجمل في تركيبها الحالي. ويبدو كذلك ان مجموعة القواعد التحويلية التي تلزم في هذا التحليل تشملها قواعد التحليل الاول VSO، وتبقى بحاجة دائمة إليها، فيكون تحليل الجملة التالية مثلاً:

محمد بلغ رسالته

$$SVO = S(NP) + V (VP) \rightarrow V + S (Pron.) + o$$

(١) أنظر N. Chomsky, Aspects of theory of Syntax, P 30 ff, 54 - 55

في حين يكون تحليل الجملة ذاتها طبقاً للمنهج الاول كما يلي:

$$VSO = VP \supset NV + O$$

ولو افترضنا منهجاً ثالثاً لتحليل مثل هذه الجملة كما يلي^(١):

$$? \rightarrow = VP + NP$$

لكان تحليل الجملة في ضوءه كما يلي:

$$? \rightarrow VP (VS) + NP (O)$$

وهذا يعني أنها تدير طبقاً للمنهج الثالث المذكور سابقاً، نوضعه
بالرسم التالي:

$$? \rightarrow = \begin{array}{c} \swarrow + \searrow \\ S \end{array} + V + O$$

وهذا يقتضي مجموعة كبيرة من القواعد والقوانين التحويلية التي يتم طبقاً لها نقل S من موقعه ليصل بين الركنين الرئيسين المتبقين في الجملة V, O، ولكن هذا المنهج وان بدا فيه الاعتداد على المنهج الوصفي، الا أنه يبقى قاصراً عن الوصول الى البنية العميقة للتركيب الا باستخدام مجموعة معقدة من قواعد التحويل لا تزيد البحث والباحث الا بعداً عن اليسر في الوصول الى المعنى.

ولرى البنية العميقة وارتباطها بالجملة التحويلية، والبنية السطحية وارتباطها بالجملة النواة أو التوليدية، ننظر في الجمل التالية:

أ/١ - جاء علي VS

ب - مات علي VS

ج - قابل علي خالداً VSO

(١) وانظر F. Anshen and P. Schreiber, *on focus transformations of modern Arabic language*, 1968, PP. 44, 292 - 97, 793.

أ/٢ - علي حضر SV [S (Pron)]

↙e

ب - ريد مات SV [S (Pron)]

↙e

ج - علي قابل خالدًا SV [S + (Pron) + o]

↙e

فإن الجمل (أ/٢، ب، ج) طبقاً لمنهج اهل البصرة تكون من الجمل الفعلية، لأنها تبدأ باسم مرفوع، فالاسم في أولها مبتدأ والجملة بعده خبره، ومرتبطة به وجوباً برابط يمود عليه وهو الضمير المستتر، وقد وضعناه بين قوسين (Pron)، ويعرب فاعلاً للعمل، العمل الذي هو في حقيقة الأمر موضع الحدث الذي قام به الاسم المتقدم^(١) كما هو الحال في (أ/١، ب، ج) وإنما كان التقديم لأمر يتعلق بتوكيد جزء من أجزاء الجملة، يقول ابن يعيش: (....) وذلك نحو قام زيد وسيقوم زيد، وهل يقوم زيد، فريد في جميع هذه الصور فاعل من حيث أن الفعل مسند إليه ومقدم عليه، سواء فعل أو لم يفعل، ويؤيد اعراضهم عن المعنى عندك وضوحاً أنك لو قدمت الفاعل فقلت: ريد قام، لم يبق عندك فاعلاً وإنما يكون مبتدأ أو خبراً ممرضاً للموامل اللفظية^(٢)، فإذا تابعنا التحليل في ضوء هذا النظام فانتا منجد ان النظام اللفوي الذي جاءت عليه الجمل (أ/٢، ب، ج) هو SVO، وبذا فإن الجملة مكونة من

(١) وانظر S. Smith and D. Wilson, Modern Linguistics, the result of chomsky's revolution, Indiana Univ. Press 1979, P. 101 ff.

(٢) شرح للفصل ٧٤/١

جملتين: اسمية، مكونة من مبتدأ وخبر، وفعلية، مكونة من فعل وفاعل مقدر ومفعول به. وهذا التحليل SVO هو وصف التركيب المنتج أو التوليدي الذي يضم المعنى الاول للصورة الذهنية عن المتكلم Surface Structure، ليس غير، في حين ادرك النحاة القدماء، معظمهم، السية العميقة والتحول في المعنى الذي يتم له التحول في المبني، Deep Structure، يقول الجرجاني: «لا يتصور أن تعرف للفظ موضوعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخي في الألفاظ من حيث هي الفاظ ترتيباً ونظماً، وانك تتوخي الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك^(١)»، فيكون ترتيب الكلمات في تركيب جملي معين بطريقة معينة ليحقق معنى يريده المتكلم، وهكذا يجب أن يفهمه السامع، فيقدم ويؤخر مباني التركيب ليصل الى ما يريده من معنى، ويقول رأيت Wirght: ان الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في اللغة العربية، هو أن الاولى تصف حدثاً، أما الثانية فتصف شخصاً أو شيئاً، ويكون ترتيب الكلمات فيها بطريقة تحقق ذلك، الا اذا كانت هناك رغبة في تأكيد قسم من أقسام الجملة، فإن هذا يكفي لأن يكون سبباً للتفسير في مواقع الكلم^(٢)»، وبذا تبقى الجملة جملة واحدة تضم معنى يختلف في أهمية أجزائه وتوكيدها عما كان عليه قبل هذا التقديم.

واذا اعدنا دراسة الجملتين (أ، جـ) تبين انها تنطبقان على المسجع الاصل VS، وتحققان المعنى الذي يرمي اليه المتكلم من السظم بين العمل (جاء) والامم (علي). وبين العمل (قابل) والاسمين (علي، حالداً)، فانطبقتا بذلك على قواعد الجملة التوليدية G.R، او ان

(١) دلائل الاعجاز: ص ٩٣.

(٢) W Wright, A grammar of the Arabic Language, 3rd ed. Cambridge University Press, Vol. 2, P 25

قواعد التوليد هي التي استعملت لبناء كل من الجملتين للتعبير عن للمعنى القريب أو البنية السطحية S.S.، ولكنها في (٢/أ، جـ) تحولتا إلى SVO باستعمال قوانين النحو التحويلي T.R. تتضمن معنى جديداً D.S. بتقديم الفاعل على الفعل أو بتقديم الجزء الذي يراد العناية به، وإذا احتاج المتكلم إلى مزيد من التوكيد وضع بعد الفعل ضميراً يعود على الاسم المتقدم يزيده عناية وتوكيداً، ويعرب توكيداً لفظياً، يصرف النظم عن القول بأن الظاهر لا يؤكد بضمير أو العكس^(١). ويكون تحليل الجملة:

$$SVO \Rightarrow S(NP) + V(VP) \supset V + NP(Pron.) + O(NP) \Rightarrow [S + [pred. \supset [V + Pron + O]]]$$

في حين أن تحليل الجملة في ضوء منهج أهل الكوفة يتفق مع وجهة النظر اللغوية المعاصرة كما يلي:

$$VSO \Rightarrow SVO \left\{ \begin{array}{l} S + V + O \\ Agent + V + O \end{array} \right.$$

فالاسم المتقدم هو فاعل الفعل الذي يليه، ولكنه قد قدم لغرض في المعنى، فهو فاعل مقدم في جملة تحويلية فعلية.

ويمكن أن يرتبط التقديم بعنصر تحويلي آخر، هو النعمة الصوتية،

$$VS \Rightarrow SV \quad \text{فبقول: طائر يتكلم!؟}$$

$$VSO \Rightarrow SVO \quad \text{عدوك يحترمك؟}$$

فالتركيبان في أصلها التوليدي: يتكلم طائر، يحترم عدوك أياك، ولكن موضع الدهشة والمجب لا يظهر في هذا النوع من التركيب فيحري تحويل في الجملتين بتقديم موضع المعبب والدهشة، ثم تنطق كل جملة بالنعمة الصوتية التي تحقق انتقال الخبر إلى الدهشة، نعمة صوتية

(١) أنظر شرح للفصل ١٢/٣، ٩٩، ٧٤/١.

صاعدة بعد أن كانت تنطق بنغمة صوتية مستوية، وقد عبّر النحاة عن النغمة الصوتية الصاعدة في مثل هذين المثالين بأنها من الاستفهام محذوف الأداة، والتقدير عندهم: أطائر يتكلم؟! أعدوك يحترمك؟!، ولا ريب، أن المعنى التحويلي العميق مع ما في الجملتين من الترتيب والنغمة الصوتية واضح مختلف عن المعنى القريب في الجملتين التوليديتين.

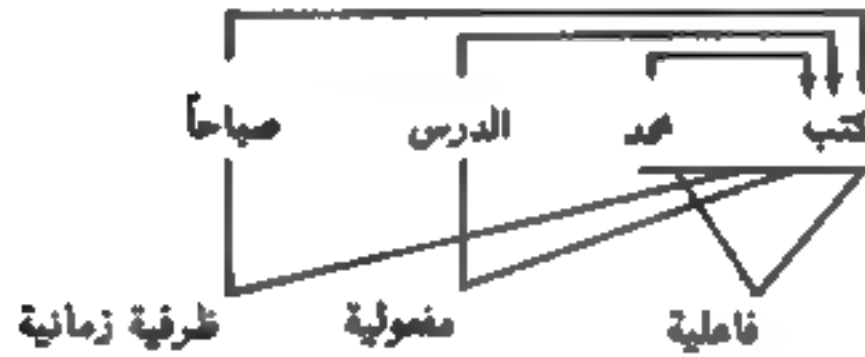
وأما أغراض التحويل فإبراز المعاني المتعددة المتباينة التي تؤديها اللغة بتراكيبها المختلفة، التوكيد والمعنى والاختار والتوسيع، والابحاز للفصاحة والبلاغة،... الخ، بصرف النظر عن قائل عناصر الزيادة في الأثر الإعرابي الذي تتركه على الكلمات التي تليها، فيمكن أن يجمع في المعنى مثلاً كل الطرق التي تؤدي معنى النفي ولا أثر للحركة فيها في المعنى وهكذا في التوكيد وغيرها، ويظهر إلى الحركة الإعرابية على أنها حركة اقتضاء لهذه الأداة أو تلك مع الاهتمام بالمعنى الذي يريده المتكلم بإدخال هذه الأدوات في الجمل، وكذا المعنى الذي يفهمه السامع عند سماع الجمل التي فيها هذه العناصر.

ولننمذ دراسة تطبيقية، نطبق فيها هذا المنهج، ونجمع فيها الأساليب اللغوية من الأبواب النحوية المتعددة، ونأخذ مادة هذا التطبيق من دواوين الشعراء: لبيد، زهير بن أبي سلمى، امرئ القيس، قيس بن مقبل، وقد أعدنا قسماً كبيراً منها، فاستجابت المادة للمنهج بل وانطقت عليها مبرزاً ما فيها من جمال وحسن ومعنى، ونستعين بالله لنشره قريباً.

ظاهرة التلازم

نقصد بالتلازم اتحاد كلمتين أو أكثر اتحاداً وظيفياً حتى أنها تعد كالكلمة الواحدة في موقعها في التركيب الجملي، فتؤدي معنى واحداً،

تقسيمه يبعده عما اراده له المتكلم، فيكون الاتحاد بين الكلمتين بعلاقة نحوية معينة ثم ترتبطان ببيورة الجملة (الفعل في الجملة العملية والمستدا في الجملة الاسمية، التوليدية او التحويلية)، والتلازم نوعان: نوع يكون الفصل فيه بين المتلازمين ممكن سائغ، بل ويؤدي عرضاً بلاعياً أو يوصل الى معنى تحويلي، وهو القائم بين الفعل والفاعل^(١). فالعلاقة القائمة بينهما هي علاقة الفاعلية، ولكن الفاعل يمكن ان يتقدم او يتأخر وان كان الاصل فيه ان يلي الفعل - كما اوضحنا في الجملة التوليدية -، ولكنه قد يتقدم، فيكون ذلك لغرض التوكيد والعناية، وقد يتأخر لغرض العناية والاهتمام بما قدم عليه، ولكنه يرتبط بفعله حتى انها ليعداں كالكلمة الواحدة، ثم ترتبط بقية كلمات الجملة بها ارتباط الدوائر بالبيورة هكذا:



وربما كان هذا الترابط بين الفعل والفاعل هو الذي دفع الحاجة الى القول بأنه لا بد لكل فعل من فاعل، مذكور او مقدّر، وهو الذي يدفع المحلل او المحرّب لان يبحث عن فاعل لمجرد ذكر كلمة (فعل). لأن الفعل بحاجة دائماً الى فاعل ليتحد معه ويلازمه ليستقيم معناه، والفاعل

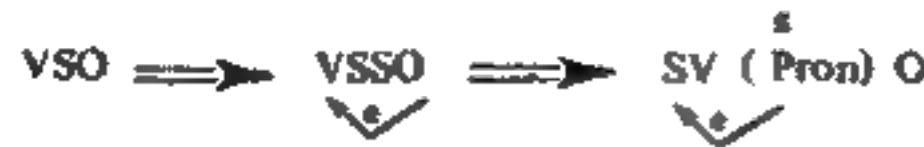
(١) أنظر: أمرار العربية، ابن الانباري ص ٧٩

بحاجة الى ما يسند اليه فيكون له معنى يشير اليه ترتيبه مع ما يسند اليه وموقعه منه، فيبقى الفاعل فاعلاً وان تقدم أو تأخر، ولكن معناه في حالتى التقديم والتأخير ليس هو اياه. تركيزاً واهتماماً وعناية، قبل التقديم او التأخير، ويمكن ان يتقدم الفاعل او يتأخر ويذكر في الوقت ذاته مرة اخرى ولكن في صورة ضمير يعود على التمدد او المتأخر. ويكون لمزيد من التوكيد والعناية والاهتمام. وهو الامر الذي يرفضه النحاة بحجة ان الضمير يجب ان يعود على ظاهر متقدم، وبحجة ان الظاهر لا يؤكد بضمير^(١)، نقول:

الطالب غادر / هو / الصف.



فيذكر المتحدث ان الاصل الذي يجب ان تكون الجملة عليه، (الجملة النواة) المتضمنة البنية السطحية S.S. وهو: غادر الطالب الصف، فاحتاج الى معنى اعنى من مجرد الاخبار، فكان عليه ان يقول: غادر الطالب الطالب الصف، واللغة تقل استبدال الضمير بالاسم الظاهر، فاصبحت الجملة: غادر الطالب هو الصف، ولما احتاج المتحدث الى معنى عميق آخر، والمقام ها مقام توكيد^(٢)، فقد قدم (الطالب) على الفعل فاصبحت: الطالب غادر هو الصف، فيكون تحليلها:



(١) وانظر شرح الفصل ٤٢/٣

(٢) البحر المحط ٤٢/١ - ١١.

ولعل في هذا ما يفسر لنا بوضوح اتساق لغة أكلوني البراغيث مع اللغة العربية السليمة، ولا يحول دون قبولها مع كثرتها في كتب التراث ومع وجودها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، يقول تعالى: ﴿صموا وسموا ثم تاب الله عليهم، ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ ويقول تعالى في قراءة حمزة والكسائي: ﴿أما يلقان عندك الكير أحدها أو كلاهما﴾ ويقول: ﴿واسمروا النجوى الذين ظلموا﴾.

وجاء في الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وجاء فيه أيضاً: «يمتزلن الخيصر المصلى».

وقال الشاعر:

يلومونني في اشتراكي النخيل أهلي فليسكم اليوم
ويقول آخر:

تولى قتال المارقين بنمه وقسود أسلماء مبعود وحم
ويقول الشاعر:

فتح الربيع محاسناً القصبها غر الحائث
ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى رأي أحد الباحثين الغربيين Rabin في أن لغة أكلوني البراغيث هي لهجة قبيلة عربية قديمة كانت لغتها تسير في ترتيبها طبقاً للإطار الاصل للغة العربية VSO، فلا تسمح بتقديم الفاعل على الفعل، فيجب أن تبدأ الجملة الفعلية عندهم بفعل، ومع أننا لا نسلّم بوجهة نظر رايبين، إلا أننا نرى فيها درجة من الاتساق مع منطق اللغة، فهذه القبيلة كانت تذكر الماعل بعد الفعل، فإذا أرادت أن تؤكد، فلا بد من تكراره لفظاً أو على صورة صميره،

(١) C. Rabin, Ancient west - Arabian, London, 1951, p 168

تتكون الجملة التوليدية التي تتضمن المعنى القريب: اكل البراعيت اياي، VSO تتحول الى: اكل البراعيت البراعيت اياي VSSO أو: اكل البراعيت هم اياي: فالتحق الضمير بالفعل ولكن يرسم آخر وهو الواو التي هي لاصقة تعبر عن اسناد الفعل الى الجماعة وتؤكد المسد اليه في هذا المقام، فتصبح الجملة: اكلوا البراعيت اياي. ثم جرى في الجملة تحويل آخر طبقاً لقواعد النحو التحويلي، فاصبحت: اكلوني البراعيت، باضافة نون الوقاية التي لها وظيفة صوتية نص عليها علماء العرب في كثير من اعمالهم، فما كانت الواو الا لتوكيد العاقل في هذه اللهجة.

وبأخذ نموذجاً آخر مما يتم فيه التحويل من جملة نواة الى جملة تحويلية او من بنية سطحية الى معنى عميق، نأخذ مما يتقدم فيه المفعول به، مرة بلا عائد واخرى بالضمير العائد فيما يسمى بباب الاشتغال، نقول: التلميذ اكرم المعلم $VSO \rightarrow OVS$ ، فهي في الاصل VSO ثم تحولت الى OVS لمعنى تحويلي عميق هو توكيد المفعول به عن طريق عنصر من عناصر التحويل (الترتيب)، والعرب ان ارادت العناية بشيء قدمته، فكلمة (التلميذ) معمول به مقدم باجاء الحاة، وذلك لعدم وجود لبس بين حركة الاسم المتقدم (التلميذ) وحركة الاسم الذي يقع في اول الجملة (المبتدأ)^(١) كما هو الحال عند تقديم الفاعل اما في الجملة: الطالب اكرمه، فعلى الرغم من انه لا لبس في الحركة بين المفعول والمستدأ الا ان نحاة البصرة يقدرون فعلاً بعمل فيها السبب يفسره العمل المذكور بعده، لتكون (الطالب) معمولاً به للعمل المقدّر^(٢)،

(١) وانظر: المع ١١١/٢، ١١٢، الكواكب الدرية - محمد بن أحمد الاهدل، دار

الكتاب العلمية، بيروت، شر دار النار - مكة ٥/٢.

(٢) انظر رأي ابن معاص في الرد على النحاة ص ٩٨.

لأن العمل المذكور في الجملة قد حصل على مفعوله الذي هو الضمير، وليس هذا للعمل عما يتعدى إلى مفعولين فلا سبيل إلى تبرير الفتحة على (الطالب) إلا بالقول بمعامل محذوف يضره المذكور بعده، فيكون تحليل الجملة عند أهل البصرة -

VSO /// + VSO ///

أي أنها مكونة من جلتين، وبذا فإنها من حيث المعنى تكون جملة مؤكدة مؤكدة لفظياً، وينصب التوكيد على أجزائها كلها (الفاعل والفاعل والمفعول به)، والقريب أن يكون النصب قد وقع على الاسم المتقدم بمعامل محذوف وجوباً، لا يجوز إظهاره، ويشترط أن يكون بمائلاً للمذكور بعده^(١)، ومن الطريف كذلك أن هذا المقدم قد يشترط فيه الرفع الواجب، في حالات: خرجت قادا زيد يضره عمرو، ولو نصب بتقدير الفعل لصد المعنى^(٢)، في حين يرى أهل الكوفة أن الفعل إنما يتصرف إذا كان متصرفاً في نفسه، فالاسم المتقدم على الفعل بالفعل الواقع على الماء^(٣)، يقول صاحب الكافية، يرى أهل الكوفة أن الفعل عامل في (زيد) كما أنه عامل في ضميره: «وانما جاز عندها (الكسائي والفراء) أن يعمل الفعل الطالب لمفعول واحد في ذلك المفعول وفي ضميره معاً في حالة واحدة لأن الضمير في المعنى هو الظاهر، فتكون فائدة تسليطه على الضمير بعد تسليطه على الظاهر المقدم تأكيد إيقاع الفعل عليه ولو قبل على مذهبها أن المنتصب بعد الفعل الظاهر هو

(١) الكواكب النرية: ٦/٢.

(٢) السابق ٦/٢، وانظر الانصاف مسألة ١٢، وشرح الفصل ٢٠/٢.

(٣) الانصاف مسألة ١٢، الكتاب ٦٧/١.

بدل الكل من المنصوب المتقدم لكان قولاً^(١)، فيكون تحليل الجملة عند أهل الكوفة.

$$VSO \Rightarrow OVS (Pron) + Pron$$

ونحن نرى ان المتكلم انما أراد تأكيد جزء من المعنى ممثلاً بجزء من الجملة، وليس بالجملة كلها، بالفعل به، فقدّمه، يقول ابو حيان: «والتقديم عندنا انما هو للاعتناء والاهتمام بالفعل، وسب اعرابي آخر فاعرض عنه، فقال: اياك اعني، فرد عليه: وعك اعرض، فقدّم الأهم^(٢)»، ولما أراد مزيداً من التوكيد (التكلم) ذكره مرة ثانية في موضعه الاصل، فأصبحت الجملة: أكرمت الطالب الطالب، فاستبدل بالطالب ضميره، والعرب تجتنب اجتماع المشبهين^(٣)، وليس الاستبدال بالطالب المتقدم، لأنه حينئذ يحتاج الى ما يعود عليه، متقدماً عليه. فبدا تصل الجملة الى وضعها التحويلي المعلي الاخير، الطالب اكرمته، فالجملة في قواعد النحو التوليدي هي VSO ثم تحولت طبقاً لقواعد النحو التحويلي ولتنفيذ معنى جديداً، الى OVS ثم جاءت زيادة لمزيد من التوكيد، هكذا:

$$VSO \Rightarrow OVSO \Rightarrow OVSO (Pron)$$

(١) انظر: الكافية ١٦٧/١ - ١٦٣، وانظر شرح التصريح: ٣٥٠/١، وحاشية الصبان ٥٧/٢

(٢) البحر المحيط: ٢٤/١.

(٣) الأشباه والنظائر - السيوطي ٢٢/١.

فتكون كلمة الطالبية: مفعولاً به مقدم لغرض التوكيد.
واكرم: فعلاً ماضياً وقاعله...
الهاء: ضميراً متصلاً ذكر توكيداً للعرض من
تقديم المفعول به وهو توكيد له.

ولا يختلف القول كثيراً في الجملة السابقة عما يمكن ان يقال في
الجملة ذات الفاعل للمقدم المتيقن بإداة تختص بالدخول على الفعل^(١)،
اذا، إن كما في: اذا السماء انشقت، اذا السماء انفطرت، ان احد من
المشركين استجارك فاجرهم، واد ان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او
اعراضاً^(٢)...، نأخذ الآية الاولى لتحليلها طبقاً لمهجي البصرة،
والكوفة وليتضح ما نقصده بقولنا البنية العميقة القائمة على تحويل
الجملة من توليدية منتجة الى تحويلية ناتجة.

«اذا السماء انشقت»، يرى اهل البصرة انها مكونة من جملتين،
حيث ان السماء فاعل لمعل محذوف يفسره المذكور بعده: اذا انشقت
السماء انشقت هي: Art [VSO///+ VSO///] = S وبذا
يكون التوكيد توكيداً لفظياً، جملة بجملة، يقول سيبويه: أن حروف
الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال، وذلك لأنهم شبهوها بما
يجزم^(٣). كما أنهم لا يحبرون أن يكون الاسم الواقع بعد هذه الأدوات
مستنداً لأن الابتداء هو التمري من العوامل اللفظية المظهرة أو
المقدرة^(٤)، ولكن الذي نراه أن الجملة هنا محاولة تحمل معنى عميقاً غير
الذي كان لها عندما كانت توليدية: انشقت السماء، حجرية، اد أنها

(١) وانظر: شرح التصريح: ١/٢٠٥، ٢٠٨.

(٢) وانظر الانصاف مسألة: ٨٥، ٨٦.

(٣) الكتاب ٣/١٠٠.

(٤) الانصاف مسألة ٨٥.

أصبحت تحويلية فعلية مؤكدة:

→ = Art [VS] ⇒ Art [SV]

فالسما فاعل مقدم للفعل انشقت لغرض التوكيد، ثم كانت التاء في آخر الفعل إشارة إلى جنس المسند إليه المقدم لتحديد والتذكير به، وبدا يكون التركيب بكامله جملة واحدة.

S → = Art [VS] ⇒ Art [SV + NM] ^(١)

وربما كان هذا الذي دار في ذهن الاخفش عندما قال برأين مخالف في أحدهما الآخر، فقال في كتابه معاني القرآن ^(٢) بأن هذه الأدوات مختصة بالدخول على الفعل، وأما فيما ينقله عنه صاحب معني اللبيب فهو يرى أن هذه الأدوات ليست مختصة، فتدخل على الاسم تارة وعلى الفعل أخرى ^(٣).

قلنا إن التلازم قسماً وقد عرضنا القسم الأول. أما الثاني فهو التلازم الذي لا يتم الفصل فيه بين المتلازمين وإن تم فذلك قبيح، لا تأخذ به العربية إلا في حالات قليلة ممدودة، ولها تخرج لغوي وإن عدّها النحاة شاذة. ويمثل هذا القسم الظواهر اللغوية التالية:

١ - التلازم بين المضاف والمضاف إليه وبين حرف الجر ومجروره:

يقول ابن جني: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز، وهو اقبح منه الفصل بين المضاف والمضاف إليه» ^(٤)، وذهب البصريون إلى أنه لا

(١) .Noun Modifier = NM

(٢) معاني القرآن ٥٣٤/٢.

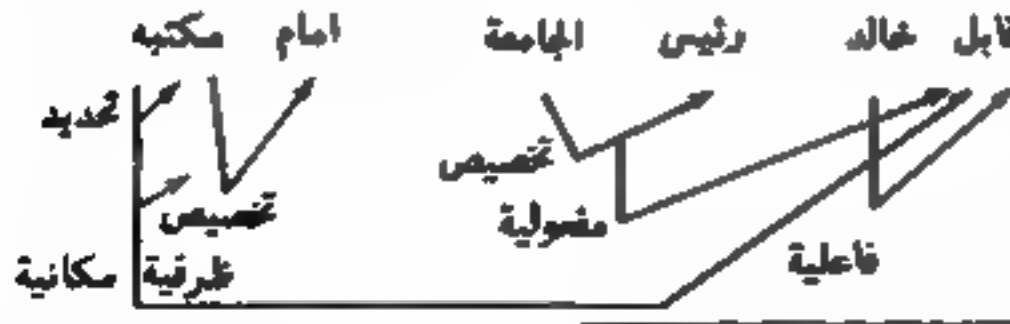
(٣) انظر معني اللبيب ٩٣/١

(٤) الخصائص، ٣٩٥/٢

يجوز المصل بين المضاف والمضاف اليه^(١)، بغير الطرف وحرف الجر في حين يرى اهل الكوفة ان ذلك جائز بغير ما ذكره البصريون، ورجح ابو حيان رأي الكوفيين بقوله: «واجازها جمهور الكوفيين، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة النسوبة الى العربي المصريح الهض، ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قل ان يظهر اللحن في لسان العرب^(٢)، وذلك في الآية: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم﴾، والذي نراه ان المضاف والمضاف اليه كالكلمة الواحدة تتحدان برابط نحوي هو الاضافة ثم ترتبط الكلمة الناجمة (من حيث المعنى) ببؤرة الجملة (المبتدأ او الفعل) نقول مثلاً:



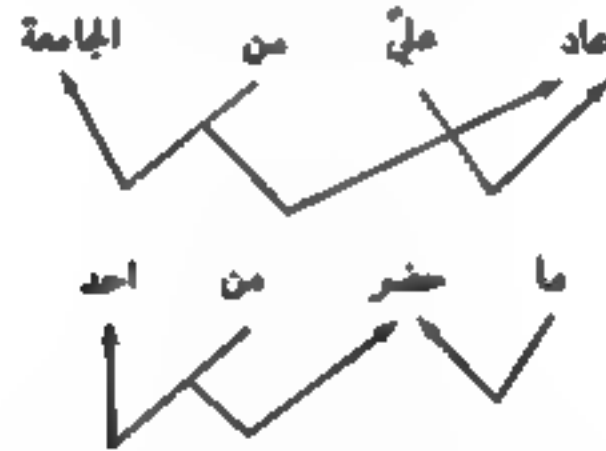
فمنذما نحلل مثل هذه الجملة، نعدّها VSO، ولكن المفعول به فيها مكون من كلمة محدّدة مخصّصة لكلمة مبهمّة، والكلمتان في موقع واحد (رئيس الجامعة) مفعول به، ونقول:



- (١) انظر، الانصاف ٩٠، معاني القرآن - الفراء، ٢٥٧/١، وانظر البحر المحيط
٢٢٩/٤ - ٢٣٠، وشرح الفصل ٢١/٣ - ٢٣.
(٢) البحر المحيط: ٢٢٩/٤٠ - ٢٣٠.

رئيس الجامعة، ترتبط بالفعل ارتباطاً مكملًا بعلاقة المفعولية عوامام مكتبه، ترتبط بالفعل ارتباط الاشارة الى مكان، فالاسم المضاف مع الاسم الذي يضاف اليه يكونان في الحكم والاعراب بمثابة الكلمة الواحدة، تأخذ حكماً واحداً في الجملة وترتبط بالبوّرة ارتباطاً بجميع بينهما.

٢ - وما ذكرناه عن المضاف والمضاف اليه نقوله عن الجار والاسم الذي يأتي بعده. فالارتباط بينهما لا يميز ادخال عنصر جديد، يقول ابن جني: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز»^(١)، فيرتبطان بعلاقة الاقتضاء ولتعدد المعنى الذي يفيد حرف الجر: العاية المكابية او الزمانية، او الواسطة، او الاستعانة او للتبويض او الاستعلاء... او غير ذلك^(٢). ويكون ارتباطها ببوّرة الجملة ارتباط الكلمة الواحدة، فتأخذ حكماً واحداً بصرف النظر عن الحركة التي اخذها الاسم المجرور، فهي حركة اقتضاء، ولا اثر لها في معنى الجملة، فالحرف هو الذي يعطي المعنى المراد، التوكيد او الواسطة... اما الاسم فيأخذ الحكم، مع ان حركته هي حركة حالة الجر. نقول:



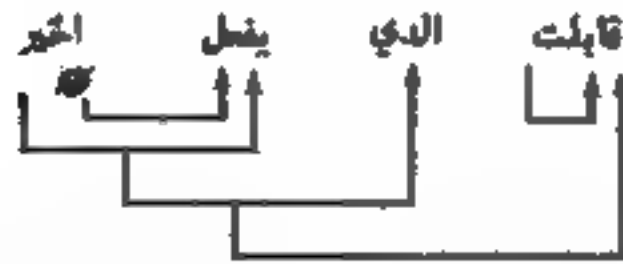
ونقول:

(١) الخصائص: ٣٩٥/٢

(٢) انظر: معاني الحروف، الرماني، معاني القرآن، التراء ٧٨/٢، ٢١٥/٢، معني اللبس ١٠٥/١، ٧٦/١، تفسير القرطبي ٩٠/١٨

فجاء الجار والمجرور في الجملة الاولى تنمة او عنصر تحويل ليعيد عن المكان الذي عاد منه الفاعل، ولا اثر للحركة الاعرابية على آخر كلمة (الجامعة) لانها حركة اقتضاء لحرف الجر (من)، اما في الجملة الثانية فقد جاءت كلمة (احد) هي الفاعل وجاءت (من) للتوكيد. اما (احد) فهي الفاعل وان كانت حركته الكسرة، فالكسرة هنا كسرة اقتضاء ليس غير، ولا اثر لها في المعنى، كما فصلنا القول في شبه الجملة في «الزيادة عنصر من عناصر التحويل».

٣ - التلازم بين الموصول والصلة: لا نرى حاجة للحديث في امكان الفصل بين الموصول والصلة، فقد تحدث في هذا الموضوع عدد كبير من النحاة، من القدماء والمحدثين، والذي نعنيه هنا بالتلازم ان الاسم الموصول، لابهامه وعدم اشارته الى مدلول بعينه، لا ينفك يحتاج الى ما يأتي بعده، جملة فعلية أو اسمية، ويكون مع صلته في المعنى والحكم كلمة واحدة، ترتبط بصورة الجملة لتقوم بدورها في المعنى، وقد ادرك النحاة العرب القدماء هذا الذي نذهب اليه، وذلك بقولهم: «جملة الصلة لا محل لها من الاعراب»، وذلك لأنها جاءت لتحديد الاسم قبلها ولتخصيصه.



فالجملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها للتوسيع والكشف عن معنى صميم. وما القول: لا محل لها من الاعراب، الا محاولة لتبرير العمل والفاعل والحركة الاعرابية.

٤ - التلازم بين الممت والمنعوت: لا نرمي من هذا العنوان ان
ناقش قضية المصل بين التابع والمتبوع، ولا احلال احدهما مكان
الآخر، ولكننا نقصد انه ان وجدنا في الجملة فوجب ان يكونا في الحكم
كلمة واحدة، لا يتم معناها في سياقها الا بذكر شقها الثاني، مثلها في
ذلك مثل المصاف والمصاف اليه، نقول:



فارتبطت (الطالب المجتهد) باكرمت كالكلمة الواحدة.
وربما كان توسيع هذا البند ليشمل بقية التوابع امراً تقبله اللغة،
ويسر امكان الوصول الى ما في التراكيب من معان.

استناداً الى فكرة التحويل، يستطيع الباحث ان يجمع المعاني
اللغوية الكبرى التي تكون لها التراكيب اللغوية في ابواب رئيسية، يجمع
فيها العناصر التي تؤدي معنى بيمين بصرف النظر عن الحركات التي
تقتضيها هذه العناصر. فيمكن ان يجمع التوكيد بالتقديم والتأخير
والتوكيد بالاداة والتوكيد بالنبر او التنعيم... في باب واحد، والسفي
بليس وما ولا ولات وبغيرها في باب واحد... وهكذا في بقية المعاني.
والله سأل ان يوفقنا لأن نفرغ من هذا العمل قريباً، وان يكتب
لنا عليه اجر النية الحسنة. انه مع المولى ونعم النصير.





.

8

المراجع العربية

- ١ - الأخفش - صفاتي القرآن - ت. د. فايز فارس الحمد، الكويت، المطبعة المصرية، ١٩٧٩.
- ٢ - الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح.
- ٣ - الاستنبولي، صدر الدين: المومى فى النحو الكوفى، شرح محمد بهجة البيطار.
- ٤ - الاسترابادى، رضى الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ت. محمد نور الحسن وغيره دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥.
- ٥ - الاسترابادى، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية ط ٢، ١٩٨٢ م.
- ٦ - الاشمونى: شرح الاشمونى.
- ٧ - الاصفهاني - الدورة الماخرة فى الامثال السائرة: ت. د. عبد الحميد قطامش مطابع دار المعارف - القاهرة، ١٩٧١.
- ٨ - ابن الانبارى: اسرار العربية.
- ٩ - ابن الانبارى: الانصاف فى مسائل الخلاف. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩.
- ١٠ - ابن الانبارى: نزهة الالباء فى طبقات الادباء، ت. ابراهيم السامرائى بغداد، ١٩٥٩.
- ١١ - أنيس، ابراهيم: الاصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية ط ٥، ١٩٧٩.

- ١٢ - أنيس، ابراهيم: من أسرار العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥.
- ١٣ - الأهدل، محمد بن أحمد: الكواكب الدرية، دار الكتب العلمية بيروت، نشر دار الباز - مكة، ١٩٣٨.
- ١٤ - ايلوار، رونالد، مدخل الى اللسانيات، ترجمة بدر الدين قاسم، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠.
- ١٥ - براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، اخرجه وصححه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢.
- ١٦ - بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف.
- ١٧ - بروكلمان، فقه اللغات السامية.
- ١٨ - بشر، كما محمد، علم اللغة العام - الاصوات - القاهرة ١٩٧٣.
- ١٩ - البفلي، محمد قنديل: وحدة الامثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٦٨.
- ٢٠ - بكر، يعقوب: دراسات في فقه اللغة العربية.
- ٢١ - ترزي، فتواد: في أصول اللغة والنحو.
- ٢٢ - ثعلب، أبو العباس: محاسن ثعلب، ت: عبد السلام هارون ١٩٦٠.
- ٢٣ - المبرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، نشر: عبد المنعم خماجي، القاهرة ١٩٦٩.
- ٢٤ - المبرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، نشر: محمد رشيد رضا.
- ٢٥ - المبرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة الحلبي - القاهرة، ١٩٣٨.

- ٢٦ - الجمل، سليمان بن عمر: الفتوحات الالهية، عيسى الباي الحلبي - القاهرة.
- ٢٧ - ابن جني، ابو الفتح - الخصائص، ت: محمد علي السجار، دار الهدى للطباعة - بيروت.
- ٢٨ - ابن جني، ابو الفتح، سر صناعة الاعراب، القاهرة ١٩٥٤.
- ٢٩ - ابن جني، اللع في العربية، ت فايز فارس.
- ٣٠ - حجازي: محمود فهمي، علم اللغة، الخانجي، القاهرة.
- ٣١ - الحديثي: خديجة: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيويه.
- ٣٢ - ابن حزم: الاحكام في أصول الاحكام.
- ٣٣ - حسان، تمام: التراث اللغوي عند العرب، في مجلة فصول العدد الأول ١٩١٣.
- ٣٤ - حسان، تمام: اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠.
- ٣٥ - حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، ١٩٧٤.
- ٣٦ - حسان، تمام: الأصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
- ٣٦ - حسين، عبد القادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، ١٩٧٠.
- ٣٧ - حلواني، محمد خير: أصول النحو العربي.
- ٣٨ - الحموي، ياقوت: معجم الادباء، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٩ - أبو حيان، البحر المحيطة. مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٨ هـ.
- ٤٠ - خرما، نايف: أصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٨.
- ٤١ - ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت ١٩٧٨.

- ٤٢ - زاده، طاس كبرى، مفتاح السعادة.
- ٤٣ - الزبيدي، ابو بكر، طبقات النحويين، ت ابو الفصّل ابراهيم - دار المعارف.
- ٤٤ - الزجاجي، الايضاح في علل النحو، ت مازن المبارك ١٩٥٩.
- ٤٥ - الزجاجي، كتاب اللامات، دمشق ١٣٨٩ هـ.
- ٤٦ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفصّل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٧.
- ٤٧ - زكريا، ميشال: الألفية التوليدية والتحويلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢.
- ٤٨ - زهايم، رودلف. الامثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٢.
- ٤٩ - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦.
- ٥٠ - الزمخشري: المستقصى في الامثال، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٧.
- ٥١ - السامرائي: ابراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨.
- ٥٢ - السامرائي: ابراهيم: في النحو العربي مقد ونباء، دار الصادق - بيروت ١٩٦٨.
- ٥٢ - السامرائي: مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، حماة، ١٩٧٤.
- ٥٣ - السجاعي: حاشية السجاعي على القطر.
- ٥٤ - السدوسي، ابوفيد، كتاب الامثال، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧١.
- ٥٥ - ابن السراج، الاصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،

- مطبعة النعمان - النجف ١٩٧٣.
- ٥٦ - سيويه، الكتاب، ط، بولاق، وطبعة هارون، عالم الكتب.
- ٥٧ - السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، حيدر آباد، ١٣٥٩ هـ.
- ٥٨ - السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفصل
ابراهيم وغيره، دار احياء التراث.
- ٥٩ - السيوطي، معجم المصنف، بيروت، دار المعرفة.
- ٦٠ - الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، الرياض، ١٩٨٠.
- ٦١ - الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين -
بيروت ١٩٧٦.
- ٦٢ - الصبان، حاشية الصبان.
- ٦٣ - الصمدي، عبد المتعال، النحو الجديد، دار الفكر العربي،
القاهرة ١٩٤٧.
- ٦٤ - ابو صوفة، محمد: الامثال العربية ومصادرها في التراث،
مكتبة الاقصى - عمان.
- ٦٥ - طلب، عبد الحميد، أصول النحو وتاريخه، مكتبة الشباب،
القاهرة.
- ٦٦ - عبد الباقي، محمد مؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن
الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٧ - عبد النور، جاور، المعجم الادبي، دار العلم للملايين، بيروت
١٩٧٩.
- ٦٨ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد الريان، دار
المعمر.
- ٦٩ - عمده، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت.
- ٧٠ - ابن عصفور، شرح جل الزجاجي، الجزء الأول، بغداد.

- ٧١ - المطار، حاشية المطار على شرح الازهري.
- ٧٢ - ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، دار الفكر - ١٩٧٩.
- ٧٣ - الهادي، ابو السعود، تفسير أبي السعود، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٤ - عميرة، خليل: البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، في مجلة الأقلام بغداد عدد ٩، ١٩٨٢.
- ٧٥ - عميرة، خليل، معجم الامثال والاقوال في لسان العرب. تحت الطبع.
- ٧٦ - عميرة، خليل، نبر الكلام وعوامله بين الوصفية والمعيارية في أوزان الافعال الماضية والمضارعة، الاقلام.
- ٧٧ - عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦.
- ٧٨ - عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، دار المعارف، القاهرة.
- ٧٩ - عمر، أحمد مختار، من قصايا اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤.
- ٨٠ - عون - حسن، دراسات في اللغة والنحو، الاسكندرية ١٩٦٦.
- ٨١ - الفارابي: ديوان الادب، تحقيق أحمد مختار عمر ١٩٧٤.
- ٨٢ - ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة، ت أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٧.
- ٨٣ - المارسي، ابو علي: المائل السكريات، ت اسماعيل عميرة عمان ١٩٨٠.
- ٨٤ - الفراء، ابو زكريا: معاني القرآن، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٩٧٢.

- ٨٥ - القراييدي، الخليل بن أحمد: المين بغداد ١٩٦٧.
- ٨٦ - فك، يوهان: العربية دراسات في اللفظة واللهجات والأساليب - القاهرة ١٩٨٠.
- ٨٧ - الفيروزآبادي: القاموس المحيط.
- ٨٨ - القالي، أبو علي: الامالي، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٥.
- ٨٩ - ابن قتيبة، أدب الكاتب، ت محمد عي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٩٦٣.
- ٩٠ - القرطبي: الجامع في أحكام القرآن، مصور من طبعة دار الكتب، دار الكاتب العربي القاهرة، ١٩٦٧.
- ٩١ - القرطبي، ابن مضاء: الرد على النحاة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٩.
- ٩٢ - القزويني، جلال الدين: التلخيص في علوم البلاغة، ت عبد الرحمن البرقوقي، دار الكاتب العربي - بيروت.
- ٩٣ - كمال، ربحي: اللغة العبرية.
- ٩٤ - ابن مالك، تسهيل الفوائد وتقريب المقاصد، القاهرة.
- ٩٥ - المبرد، أبو المباس: المقتضب، ت محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت ١٩٦٣.
- ٩٦ - الخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه.
- ٩٧ - الخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة.
- ٩٨ - ابن مضاء: الرد على النحاة، ت شوقي ضيف، وت: محمد البنا.
- ٩٩ - مصطفى، ابراهيم: احياء النحو، القاهرة ١٩٥٩.
- ١٠٠ - مطلوب، أحمد: البلاغة العربية.
- ١٠١ - المهيري، عبد القادر: «مساهمة في تحديد الجملة الاسمية» في

- الحوليات التونسية عدد ٥ ، ١٩٦٨ .
- ١٠٢ - أبو موسى ، محمد: خصائص التركيب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ١٠٣ - الميداني ، مجمع الامثال ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٥٥ .
- ١٠٤ - ابن التديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٠٥ - هارون ، عبد السلام محمد: الاساليب الانشائية في النحو العربي .
- ١٠٦ - ابن هشام ، اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، ت محمد عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٠٧ - ابن هشام: شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد عبد الحميد .
- ١٠٨ - ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى - تحقيق محمد عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٠٩ - ابن هشام: مفني اللبيب ، تحقيق محمد عبد الحميد ، مطبعة المدني - القاهرة .
- ١١٠ - ابن يمش ، شرح المفصل ، عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتن - القاهرة .

المراجع الأجنبية

- 1) AMAIRE, K. A. «Various elements ascertaining meaning in Arabic grammar» in Journal of semitic studies, vol. 26, No. 1, 1981.
- 2) AMAIREH, K. A., «The affective meaning of some exclamatory styles in Arabic grammar», in Al-Arabiyya, 15, 1982.
- 3) AMAIREH, K. A., «Aspects of classification and functional syntax in classical Arabic grammar» in, International Journal for Arabic and Islamic studies, vol. 1, 1984.
- 4) EL-ANE, S. Arabic phonology, Mouton, 1970.
- 5) ANDERSON, S. R., The organization of phonology, New York, Academic Press, 1975.
- 6) BACH, E, Syntactic theory.
- 7) BAKER, C. L. Stress level and auxiliary behavior in English, Linguistic inquiry II: 167-181, 1971.
- 8) BERMAN, A., on the VSO Hypthesis, Linguistic inquiry, V: 1-37, 1974.
- 9) BERMAN, A, and MICHAEL, S. Observations on sentential stress, Language 48-325, 1974.
- 10) BIERWISCH, M., Two critical problems in accent rules, Journal of Linguistics, 4: 173-178, 1968.

- 11) BLOOMFIELD, L., *Language*, New York, Holt, Rinehart and Winston 1933.
- 12) BOLINGER, D., *The atomization of meaning*, *Language* 41:555-573, 1933.
- 13) BRAINE, M.D.S., *On two types of models of the internalization of grammars*, New York, Academic Press, 1971.
- 14) BRESNAN, J.W. *On complementizers: Toward a syntactic theory of complement types*, *Foundations of Language* 6: 297-321, 1970.
- 15) BRESNAN, J.W., *Stress and Syntax: A Reply*, *Language* 48, 326-342, 1972.
- 16) BRESNAN, J.W., *On the form and functioning of transformational rules*, *Linguistic inquiry* 7: 3-40, 1976.
- 17) BURT, M.K., *From deep to surface structure: An introduction to transformational syntax*, New York, 1971.
- 18) CARROLL, J.B., *The study of Language*, Harvard Univ. Press, 1960.
- 19) CHOMSKY, N. *Syntactic structures*, the Hague: Mouton, 1957.
- 20) CHOMSKY, N., *Current issues in Linguistic theory*, the Hague: Mouton, 1964.
- 21) CHOMSKY, N. *Aspects of the theory of syntax*, Cambridge, Mass, MIT Press 1965.
- 22) CHOMSKY, N., *Language and mind*, New York: Harcourt 1968.
- 23) CHOMSKY, N. *Topics in the theory of generative*

grammar, The Hague, Mouton, 1966.

- 24) CHOMSKY, N. Studies on Semantics in generative grammar, The Hague, 1972.
- 25) CHOMSKY, N. Reflexions on Language, New York, 1975.
- 26) CHOMSKY, N. The Logical structure of Linguistic theory, New York, 1975.
- 27) CHOMSKY, N., Conditions on rules of grammar, Linguistic analysis, 2-4, 1975.
- 28) DARWIN, C., Expressions of emotions.
- 29) ELGIN, S.H., What is Linguistics? Englewood Cliffs, N.F.: Prentice Hall, Inc, 1973.
- 30) FILLMORE, C.J., The position of embedding transformations in a grammar, Word, 19: 208-231, 1963.
- 31) FROMKIN, V. and ROBERT, R., An introduction to Language, New York, 1974.
- 32) GREENBERG, J.H., Some universals of grammar with particular reference to the order of meaning Ful elements, in Joseph, H. Greenberg, ed. Universals of Language, Cambridge, Mass, MIT, Press 1963.
- 33) GROSU, A., On the Left-branch condition, Linguistic inquiry, V: 308-319, 1974.
- 34) HALLE, M., Stress rules in English: A New Version, Linguistic Inquiry, IV: 451-464, 1973.
- 35) HARRIS, Z.S., Methods in structural Linguistics.
- 36) HARRIS, Z.S., Co-occurrence and the transformation in Linguistic structure, Language, Vol. 33, 1957.
- 37) HARRIS, Z.S., The transformational models of

- the Language structure, *Anthropological Linguistics*, 1959
- 38) HARRIS, Z.S., *Mathematical Structure of Language*, New York 1968.
 - 39) HARRIS, Z.S., *String analysis of Sentence structure*, Mouton 1965
 - 40) HETZRON, R., Phonology in Syntax, *Journal of Linguistics*, vol. VIII, 251-265, 1972.
 - 41) HOCKETT, C.F. *A course in modern Linguistics*, New York, 1958.
 - 42) JACKENDOFF, R.S., An interpretive theory of negation, *Foundations of Language* 5:218-241, 1969.
 - 43) JACKENDOFF, R.S., Gapping and related rules, *Linguistic inquiry* II: 21-35, 1971.
 - 44) JACKENDOFF, R.S., On some questionable arguments about quantifiers and negation, *Language* 47: 282-297, 1971.
 - 45) JACKENDOFF, R.S., *Semantic interpretation in generative grammar*, Cambridge, Mass. MIT Press, 1972.
 - 46) JACKENDOFF, R.S., Toward an explanatory semantic representation, *Linguistic inquiry* 7: 89-150, 1976.
 - 47) Jacobs, and Rosenbaum, *Transformations, style and meaning*, M.I.T Press, 1971.
 - 48) JESPERSEN, O., *The philosophy of grammar*, New York, 1965.
 - 49) KATZ, J. and PAUL, M., *An integrated theory of Linguistic descriptions*, Cambridge, Mass, MIT Press, 1964.
 - 50) KIMBALL, J. *The formal theory of grammar*,

Englewood Cliffs, N.J. Prentice-Hall, Inc, 1973.

- 51) KUNO, S., The position of Locatives in existential sentences, *Linguistic inquiry* 11: 333-378, 1971.
- 52) KUNO, S., Constraints on internal clauses and sentential Subjects, *Linguistic Inquiry* IV: 363-385, 1973.
- 53) KUNO, S., Conditions for verb Phrase deletion, *Foundations of Language* 13: 161-175, 1975.
- 54) LYONS, J. Introduction to theoretical Linguistics, London Cambridge, Univ. Press, 1968.
- 55) Ogden and Richard, The meaning of meaning.
- 56) RABIN, Ancient west-Arabic, London, 1951.
- 57) ROBINS, R.H. General Linguistics, An introductory survey, London, 1964.
- 58) SAPIR, E. Language, New York, 1921.
- 59) SMITH, S. and WILSON, Modern Linguistics, the result of chomsky's revolution, Indiana Univ. Press, 1979.
- 60) TERWILLIGER, Meaning and mind, Oxford, 1968.
- 61) ULLMANN, S., Principles of semantics, Oxford, 1957.
- 62) WINTER, W., Transforms without Kernels, *Language* 41: 484-89, 1965.
- 63) WRIGHT, W., A Grammar of Arabic Language, Cambridge Univ. Press, 1898.



الفهرس العام

الموضوع الصفحة

الاهداء	٥
مقدمة المؤلف	٧

الفصل الاول

دراسات في علم اللغة	١١
اهتمام القدماء بدراسة اللغة	١٣
بين علم اللغة وفقه اللغة	١٧
ميادين علم اللغة:	
علم اللغة العام	١٩
علم اللغة التقابلي	٢٠
علم اللغة التاريخي	٢٢
علم اللغة المقارن	٢٣
علم اللغة الوصفي	٢٤
علم اللغة ومستويات التحليل اللغوي	٢٥
عوامل اعاقا الدرس اللغوي عند العرب	٢٩

الفصل الثاني

اعلام النهضة بالدرس اللغوي في الغرب ونظرياتهم	٣٧
فرديناندي سوسير	٤٠

١٢	ادوارد ساير
١٥	ليونارد بلومفيلد
١٨	زيلغ سايبى هاريس
٥٢	نوام تشومسكى
٥٤	اسس النظرية التوليدية التحولية
٦٠	اهم عناصر التحويل

الفصل الثالث

٧١	منهج وتطبيق
٧١	الجملة العربية بين التوليدية والتحويلية
	عناصر التحويل
٨٨	١ - الترتيب
٩٦	٢ - الزيادة
١٢٦	شبه الجملة
٢٣٤	٣ - الحذف
١٤٩	٤ - الحركة الاعرابية
١٧١	٥ - التنعيم
١٧٨	مصطلحات لا بد من توضيحها
١٨٩	ظاهرة التلازم
٢٠٥	قائمة المراجع العربية
٢١٣	قائمة المراجع الاجنبية
٢١٩	محتويات الكتاب